مباحث
فى الثقافة الإسلامية

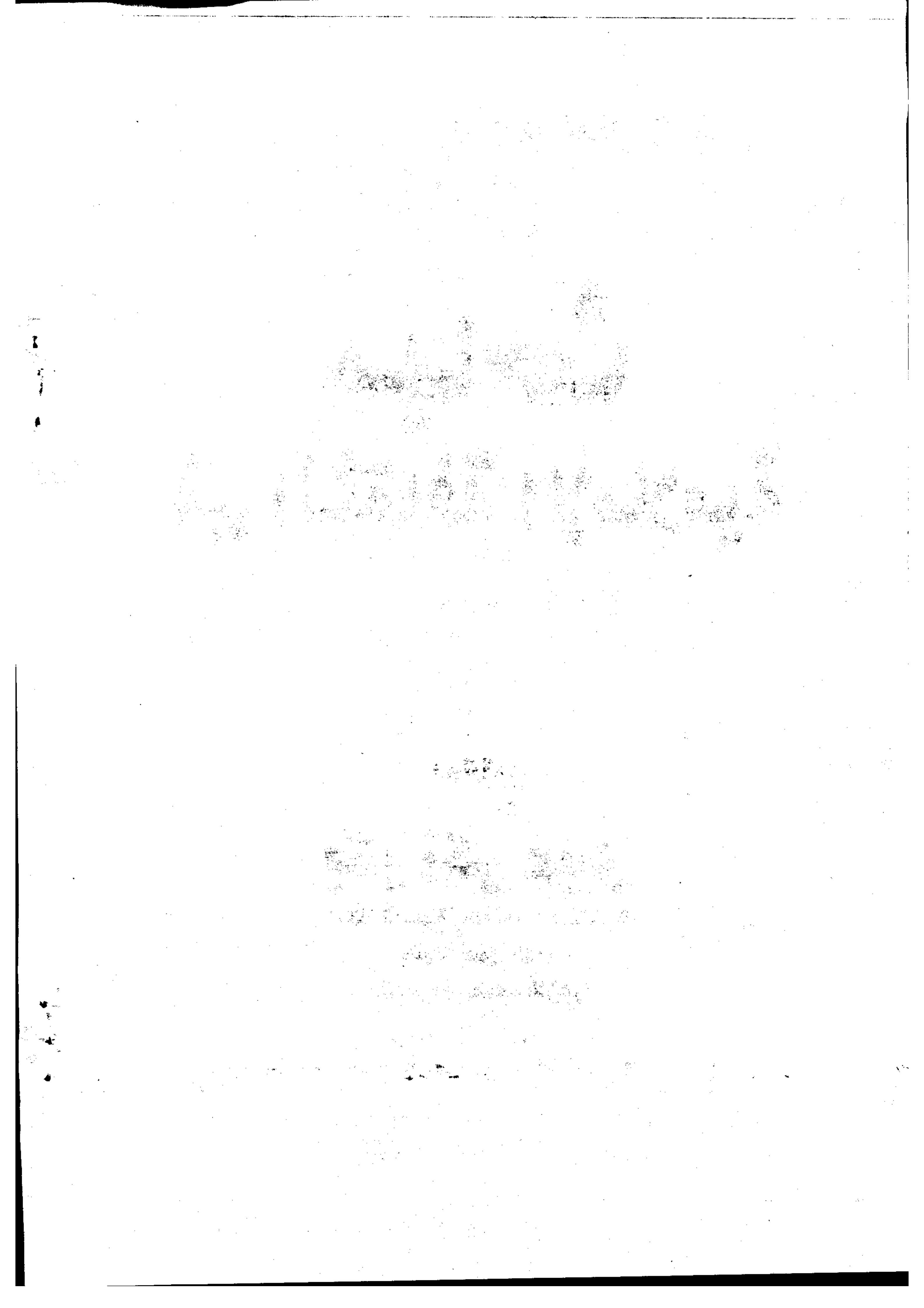
دكتور

بكر زكى عوض

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين

القاهـرة- جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد :

من البدهيات أن الصراع الفكري لا يقل حده عن الصراع العسكري لأن فيه فقدان للهوية وتغييب للذات وتسليم الإرادة للآخرين كجمل أخذ بزمامه فهل له أن يحيد أو يميد عن خازمه؟

والفكر الإسلامي يحارب من الداخل والخارج ، وقد ضعف في الآونة الأخيرة لعجز أهله عن تقويته بمعطيات العصر من البحث القوي ، ولضعف أمته في ميزان القوي العالمي ، ولخلل في رصيده الإسلامي ولحجب عن التعامل المباشر مع مصادره الأصلية ، بل وإن من المسلمين من اقتنع بالفكر الغربي فأصبح يردد مفرداته ويلوك كلماته ويدور في فلك الثقافة الغربية وينتقد بل ويطعن في الثقافة الإسلامية ، وهو ما جعلني أكتب هذه الأبحاث في هذه العجالة لتحرير الفكر وتنوير العقل ودرء الاتهام عن الإسلام وإقامة الدليل على أصالة الثقافة الإسلامية وتنوعها وقابليتها للتجديد والتطوير وقدرتها على مسايرة العصر وقد حرصت على تناول الأمور التالية بالبيان :

١- مفهوم الثقافة والعلاقة بينها وبين العلم والحضارة .
٢- خصائص الثقافة الإسلامية .
٣- الصراع الثقافي في العصر الحاضر .

٤ـ أصالة الثقافة الإسلامية من خلال مصادرها ٠
٥ـ التجديد في الفكر الإسلامي والخطاب الديني٠
٦ـ المواجهة العلمية للشبهات القديمة والحديثة ضد الإسلام ٠
٧ـ قضية خلق الإنسان ورد نظرية النشوء والإرتقاء٠
٨ـ قضية نشأة العقيدة الإلهية بين الدين والفكر الغربي٠
٩ـ قضية الإسلام والعلم التجريبي ٠

وأرجو أن تكون هذه الصفحات مفتاحا للمَعرفة قد أعطيته لطالب الدعوة إلى الله ، ليلج من خلاله بطون الكتب ويتعرف على كيفية التعامل مع الذات والقضايا المعاصرة والله من وراء القصد ٠

* * *

أ٠د/ بكر زكي عوض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين

وبعد،..

فمنذ ظهر الإسلام وهو فى صولات وجولات، مع غيره من العقائد والديانات، كما ظهرت أيديولوجيات شتى، لم تفتر عن مناصبة الإسلام العداء، وفى القرن العشرين، اتفق أهل الباطل من الدينيين (اليهود والنصارى بخاصة) واللادينيين (الشيوعيين) على محاربة الإسلام والمسلمين، فأسسوا مدارس وأنشأوا معاهد، وبنوا معابد خاصة بالتبشير والاستشراق، بل تحولت الرهبنة فى السنوات الأخيرة فى الأديرة إلى العكوف على الفكر الإسلامى، يهدف ذلك كله فى النهاية، إلى تشويه صورة الإسلام، والطعن فيه وفى مصادره سندًا ومتنًا، محاولين إقامة الدليل على أن زمنه ولى، وأن الاستغناء عنه أو الوقوف به عند حد الاعتقاد القلبى، أمر ينبغى السعى إليه، والدعوة له بصورة مباشرة أو غير مباشرة...

وحيث إن البشرية لا غنى لها عن قوانين ضابطة، وقواعد محكمة وأسس يتم الرجوع إليها فى أمور المعاش -كقاسم مشترك لدى الجميع- والمعاد- كقاسم مشترك بين أتباع الأديان- فقد رأينا الشيوعيين يقدمون نظرياتهم كبديل عن الأديان عامة والإسلام بخاصة، وبذلوا كل جهد ممكن فى تصدير ثورتهم إلى الشرق الإسلامى، وتبنّوا دعاة لأفكارهم فى ديارهم وديارنا، فرأينا أحزابًا تعلن الشيوعية أو الاشتراكية كشعار بديل عن الشعارات الدينية والقومية، ثم نادوا بضرورة وحتمية الحل الاشتراكى، وبذل بعضهم جهدًا خارقًا فى لىّ النصوص القرآنية، ليجعل الاشتراكية متفقة مع الإسلام، أو ليجعل من

نصوص القرآن والسنة دليلاً على أصالة الاشتراكية كحديث (المسلمون شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار)[1]، كما جعلوا من حديث الرسول ﷺ (من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له..)[2] الحديث. سندًا لدعوتهم كما روّجوا لدعوة أبي ذر، حين قام خطيبًا، يطالب الأغنياء برد أموالهم إلى الفقراء، فجعلوا منه إمام الدعاة إلى الاشتراكية..

والعجب كل العجب، أن بعض علماء المسلمين كتب في هذا المجال، ملتمسًا مبررات للاشتراكية في ظل الحكم الاشتراكي -كما يزعمون- والصواب الديكتاتوري. وقد كتب آخرون في نفس الوقت ناقدين ذلك التوجه، وإن كان صوت الفريق الأول، قد غلب صوت الفريق الثاني، لاعتبارات سياسية، وأما أصحاب الاتجاهات الدينية، فمنهم من لم يشغل نفسه بنقد الإسلام أو اتهامه، واكتفى بالتمسك بمذهبه كالبوذيين والبرهمانيين ومن على شاكلتهم.

ومنهم من بذل كل جهد ممكن لتشويه صورة الإسلام، وحرص على تصويره للناس بأنه الخطر الداهم الذى سيجتاح البشرية بعد سقوط الشيوعية، وقد تبنى هذه الدعوة صنفان من البشر هما : اليهود والنصارى..

أما اليهود : فلهم الحول والطول في بلاد الغرب، من الناحية الإعلامية والتأثير على التوجهات والأيديولوجيات، فباتوا يجاهرون صراحة بخطر الإسلام وخطر المسلمين على الغرب، وأعلنوها رسميًا في المحافل والصحف والمؤتمرات والمنتديات، أن الغرب في خطر من الإسلام. وأن العدو الجديد بعد الشيوعية هو الإسلام، وأصبح الغرب مقتنعًا بهذه الفكرة، فها هو يحارب كل توجه ديني

---

(1) الحديث مسند أحمد ٣٦٤/٥، أبو داود ك البيوع ٦٠، ابن ماجه، ك الرهون ١٦.

(2) الحديث، مسلم ك اللقطة ١٨، وابو داود ك الزكاة ٣٢، حم ٣٤،٣.

إسلامى، وأصبحنا نفرح للغاية فى بلاد الإسلام، عندما نرى أو نسمع كافرًا فى ديار الغرب يثنى على الإسلام بكلمات تجارية أو سياسية أو إعلامية.

وأما النصارى : فحرصهم على تشويه صورة الإسلام قائم، وبخاصة أنهم يعلمون أن الدين الوحيد الذى واجه النصرانية وهزمها فى ميدان الفكر والسيف هو الإسلام، وأن جهد المبشرين -وإن كثروا- مع ما تيسر لهم من وسائل وإمكانات، يبدده عقل عالم مسلم واحد أعزل إلا من سلاح العلم، وأن الخواء الدينى فى الغرب، قد دفع أهله إلى حياة من البؤس والشقاء، جعلتهم مهيئين لتلقى دينًا يحقق راحة نفسية وقلبية وروحية، ولن يجدوا ذلك إلا فى الإسلام، إذا حسن عرضه طرحًا وسلوكًا وتطبيقًا من أهله.. وقد نتج عن الاتجاهات السابقة المعادية للإسلام كثير من الشبهات والشكوك، طرحت فى الشرق والغرب، وروج لها كما يروج لكل بضاعة وبخاصة الفاسدة، وانخدع بتلك الشبهات الحمقى والمغفلون من ديار الشرق والغرب، ووجدنا فى بلادنا من يردد عجز الإسلام عن تقديم الحلول لكثير من المشكلات، وتجاوز بعضهم حد الاعتدال، فزعم أن زمن الإسلام قد ولّى، وأننا فى زمن العلم، وقد أثمرت تلك الدعوات ثمارًا عفنة، يأكلها من لا يعى، فتضر قلبه وعقله، وتؤذى غيره، وهذا ما دعانا إلى تناول الإسلام -فى بعض جوانبه- بالكتابة لإقامة الدليل على سمو الإسلام ورقيه، وحاجة البشرية جمعاء إليه كنظام يدعو إلى الحق والعدل والمساواة والحرية والكرامة والشورى والإخاء الإنسانى بين الناس أجمعين، مع بيان دور الإسلام فى الحركة الثقافية والعلمية، وبيان خصائص النظم الإسلامية عما سواها من نظم وضعية، أو منسوبة إلى الوحى مع بيان أثر الإسلام فى العلوم والمعارف النظرية، ودور علماء المسلمين فى العلوم التجريبية.

ولا يفوتنى أن أنوه، بأن هذه الدراسة لا تنحو منحى معينًا، فليست فقهية ولا تفسيرية ولا شارحة للسنة ولا قائمة على أحكام وقواعد لغوية، وإنما

هى ثمرة تجوال العقل فى بساتين المعرفة، لقطف طيب الثمر من كل الشجر، مع مزج ذلك كله مزجًا عقليًا، ييسر سبيل فهمه والانتفاع المباشر به لكل قارئ، وهو يشكل فى نفس الوقت جهاز مناعة لدى المبتدئين، وجهاز قناعة لدى المتقدمين، وسلاحًا للدفاع عن الإسلام لدى المشتغلين بالدفاع، فضلاً عن كون المكتوب بصيصًا من نور الإسلام فى أيام حالكة السواد، كثرت فيها غيوم الكفر والفسق والحقد على الإسلام والمسلمين، فحجبت شمس الإسلام عن الظهور ويبقى الأمل قائمًا فى أن تنقشع تلك الغيوم وتزول تلك الحجب، لتظهر الشمس من جديد، وتعود راية الإسلام ترفرف بالعدل والسلام والحق على سطح المعمورة (ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبًا).

مدلول كلمة ثقافة في اللغة والاصطلاح

أولاً: في اللغة :

كلمة (ثقافة) مادتها (ثقف) وهي من الكلمات العربية الأصيلة، وقد وردت بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، فمنها ما ورد في قوله الحق سبحانه : ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾[1]. وقول الحق : ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾[2]. وقوله تعالى : ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾[3]. وخطابه لنبيه ﷺ ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم﴾[4]. وقال في حق المشركين ﴿ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾[5]. وتحذير المسلمين من خطر المشركين ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء﴾[6].

ومن مجموع معاني الآيات السابقة ندرك أن الكلمة تفيد معنى : الوجود، التواجد، الحلول، الإدراك، التمكن، الاستعلاء.

وقد وردت الكلمة في لغة العرب مضافة إلى المحسوسات والمعقولات. أما إضافتها إلى المحسوسات فتعني تهيئة الشيء لما صنع له، فيقال : سيفه ثقاف، وثقف السيف إذا شحذه وأمضاه (أي سنه وجعله مهيئاً للقطع).

وأما إضافتها للعقل فتعني : الفطنة والحذق والفهم وسعة الأفق. وقد

---

[1] البقرة : ١٩١.

[2] آل عمران : ١١٢.

[3] النساء : ٩١.

[4] الأنفال : ٥٧.

[5] الأحزاب : ٦١.

[6] الممتحنة : ٢.

نسبت بعض القبائل العربية نفسها إلى الكلمة بأسلوب المبالغة وهي قبيلة (ثقيف).

وفي ضوء ما سبق لا ندرك تفاوتًا بينا بين معنى الكلمة في القرآن ومعناها في معاجم اللغة، فالعقل لا يثقف ولا يوصف صاحبه بالثقافة إلا إذا طلب ذلك الإنسان العلوم والمعارف، فظفر بها وأدرك منها قدرًا كبيرًا، وصار ذلك قائمًا به.

ثانيًا : الثقافة في الاصطلاح :

ذكر الباحثون لها تعاريف شتى منها :

١- مجموع عناصر الحياة أشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات[١].

٢- مجموعة الأفكار والعادات التي يكتسبها أي مجتمع من المجتمعات ويشترك فيها أفراده وتنتقل من جيل إلى جيل[٢].

٣- هي مجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الإنساني كالسياسة والحقوق والفن والدين والمعرفة العقلية بمختلف صورها[٣].

٤- هي الصورة الحية للأمة التي تحدد ملامحها ونظمها واتجاهاتها وفكرها وسلوكها في الحياة.

٥- مجموعة المثل والمعتقدات والمبادئ والمناهج التي تعتنقها أمة وتلتزم بها في سائر الميادين[٤].

---

[١] عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ٢٩.

[٢] كلوكهن وكلي، مفهوم الثقافة، ٢٠٣

[٣] نقلاً عن أضواء على النظم والثقافة الإسلامية، د/ عبد الغفار عزيز وآخرين، ص ١٠.

[٤] النظم والثقافة الإسلامية، ص ٥.

٦- الأخذ من كل فن بطرف، أو معرفة شيء عن كل شيء.

هذا عن مفهوم الثقافة الاصطلاحي بوجه عام، أما مفهومها في الإسلام فهي تلك العلوم والمعارف التي تحلت بها الأمة الإسلامية بعد تلك الحالة التي كانت عليها الأمة العربية في عهد الجاهلية[1].

وقال آخر: الثقافة الإسلامية: هي مجموعة العلوم والمعارف والفنون التي عرفت للأمة الإسلامية على مدى تاريخها واختلاف عصورها، ولها جوانب ثلاثة، يتفرع عن كل منها علوم ومعارف وفنون:

الجانب الأول: هو الجانب الديني ويتفرع عنه علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك من كل ما له صلة بالعقيدة والشريعة.

الجانب الثاني: هو الجانب اللغوي ويتفرع عنه علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغير ذلك من كل ما له صلة باللغة العربية.

الجانب الثالث: المادي ويتفرع عنه كل العلوم الكونية من طب وفلك وطبيعة وكيمياء وجبر وهندسة وغير ذلك من كل ما يتعلق بالكون ومظاهره، وهذه الجوانب الثلاثة يكمل بعضها بعضًا»[1].

حكمة تقييدها بالإسلام:

العلوم والمعارف أكثر من أن تحد أو تعد، والإسلام لا يقدر من العلوم والمعارف إلا ما يخدم البشر، ويحقق لهم السعادة، في مجملهم، لا ما يحقق السعادة لفرد معين أو طائفة معينة ويشقي الآخرين، ولذلك رأينا نهيًا عن بعض المعارف التي لا مردود لها من الناحية الإيجابية كالسحر والشعوذة والرقص المثير والنحت المؤدي إلى الفتنة (الصور والتماثيل) ويلحق بذلك كل علم ومعرفة تتنافى مع أخلاق الإسلام ومبادئه وقيمه، باعتبارها هادمة للأخلاق لا بانية لها،

---

[1] أحمد القرعي، واقع ومستقبل الثقافة الإسلامية، مجلة منبر الإسلام، ٣ / ١٩٧٨، نقلاً عن: معالم النظم والثقافة الإسلامية، ص ٦٦.

كالأفلام الساقطة والمسلسلات الهابطة، وكتب الشذوذ ومجلات الفتنة ورسوم الجنس... الخ.

علمًا بأن ما أقره الإسلام من علوم ومعارف يبلغ حدًا فى الكثرة، وما نهى عنه فهو غاية فى القلة، مما يدل على اتساع دائرة المعرفة فى الإسلام.

ويمكن القول : إن القيد بكونها إسلامية باعتبارها قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتستقى منهما بدءًا ولا تلجأ لسواهما إلا إذا لم يتوفر فيهما الشىء المطلوب (المسكوت عنه) ولا أذهب إلى ما ذهب إليه غيرى، من كون القيد مخرجًا لكل ثقافة غير إسلامية كالثقافة العمالية والثقافة الاجتماعية، وثقافة الطفل، ... الخ. فكل معرفة هادفة هى مما أمر الإسلام بها، فالثقافة العمالية -مثلاً- هدفها حفظ الأبدان، ونحن نعرف المقولة المشهورة : صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان وإذا كنا نستورد من الغرب بعض وسائل الثقافة العمالية، فقد نتج ذلك عن عجز علماء المسلمين فى إخراج قواعد ضوابط وعوامل صيانة للأجساد من منظور إسلامى، تتفق مع العلوم العصرية التى اتسمت بسمة الميكنة وتقدم الآلة.

مميزات الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات :

تتميز الثقافة الإسلامية بميزات تبلغ حدًا فى الكثرة، ومن هذه المميزات ما يلى :

١- قيامها على أساس من الدين.

فالموحى به جوهرى فى الثقافة الإسلامية، ولا يغفل متكلم النص المقدس (القرآن الكريم) وكذلك الاستعانة بالسنة، ومثل المتكلم الكاتب، فقلما خلت الكتابة من اللمسة الروحية الإيمانية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وللألوهية الحظ الوافر فى هذا الأمر، وحسبنا أن السنة دعت إلى عدم

إغفال الاستعانة با لله فى كل شىء، وفى الحديث : «**كل أمر ذى بـال لا يبدأ فيه باسم ا لله فهو أبتر**»[١]، كما أمر رسول ا لله ﷺ أن يستعين بربه فى بعـض المواطن خاصة ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[٢]. كما أمرنـا بذلك بصيغة العموم ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك ربى أن يحضرون﴾[٣].

وقلما خـلا خطـاب أو كتـاب، أو فاتحـة مجلـس أو خاتمتـه أو اجتمـاع لطعام أو شراب بل فى قضـاء الشـهوة، وقضـاء الحاجـة مـن ذكـر ا لله سبحانه وتعالى.

٢ـ تغرس فى المسلم الشعور بالذاتية الإسلامية :

وتبصرْ بمنزلته كمسلم، وتربط بينه وبين سـائر المسلمين برباط الـدم والدين والنسب، أو برباط الدم والدين أو برباط الدين، وهى تحترم إنسانية الغير وإن خالفنا فى المعتقد، وتجعل له من الحقوق علينا ما لم تجعـل الثقافـات الدينيـة الأخرى للخارجين عليها.

٣ـ قضت الثقافة الإسلامية على كل تقاليد الجاهلية :

فوحدة المنشأ، واتحاد المصدر وإبطال العنصريـة، والقطـع بالتسـوية فـى العناصر التى كون منها الإنسان كل ذلك جعل عالم المسلمين وجاهلهم، غنيهـم وفقيرهم، رجالهم ونساءهم يعلنون دومًا هــذه العبـارات، كلنـا أولاد آدم، كلنـا من تراب، كلنا إلى الدود، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.. الخ.

---

[١] الحديث، اتحاف السادة المتقين ٣،٤٦٦، كنز ١/٢٥.

[٢] النحل : ٩٨.

[٣] المؤمنون : ٩٧، ٩٨.

٤ـ أبقت الاحترام وفرضته فى نفس الوقت :

فلا يعنى القضاء على الجاهلية وتفاخرها بالآباء، والتسامى بالأنساب أو الأموال أن تهدر المنزلة والمكانة، وأن لا ترى الحقوق، وقد صرح الحق باحترام طوائف على سبيل الوجوب منها : أولياء الله، الصالحين، أهل العلم الملتزمين، كبار السن، الوالدين...، وفي السنة **«ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه»**[١]. كما ورد فى الحديث **«أنزلوا الناس منازلهم»**[٢]. وقوله -عليه السلام- **«ارحموا عزيز قوم ذل وغنيًا افتقر»**[٣]. وكم كان ﷺ، يكنى أصحابه ويلقبهم إكرامًا واحترامًا لهم.

٥ـ تحرص الثقافة الإسلامية على غرس الرقابة الإلهية فى الصدور:

فمنذ نعومة أظفار الناشئة يتلقون من أولياء أمورهم كلمة حرام، هتروحوا النار. ربنا شايفنا، فينشأ الناشئة فى الإسلام، وقد نمت الرقابة الإلهية نموًا مطردًا مع النمو الجسمانى.

٦ـ تقوم الثقافة الإسلامية على أساس من الأخلاق :

ولها معيار تقاس به، ويتم الاحتكام إلى المبادئ التى وردت فى القرآن والسنة، مع كل علم أو معرفة جديدة، وحسبنا موقف المفكرين المسلمين، من دعوة الغرب فى مؤتمر السكان الذى عقد بمصر، الرافض لاباحة الشذوذ الجنسى بين النوعين، ورفض تدريس الثقافة الجنسية -التى دَعَوْا إليها- والرفض لدعواهم إلى عدم تحريم الإجهاض والأرحام المستأجرة، فضلاً عما يقره الغرب من ثقافات لا يأذن الإسلام بها، كالصداقة قبل الزواج، والتى تصل إلى حد المعاشرة

---

[١] الحديث، مسند أحمد ٢٠٧/٢، مجمع الزوائد ١٤/٨.

[٢] الحديث، أبو داود ٤٨٤٢، كنز العمال ٥٧١٧.

[٣] الحديث، اتحاف السادة المتقين ٥٥٩/٨.

الجنسية فترة من الزمن وقليلاً ما تكون الصداقة بعد الزواج ممتدة بعلم كل من الزوجين، وما قصة "تشارلز" و"ديانا" بغائبة عن أحد من المثقفين، بل وصل الأمر بكل منهما إلى حد المجاهرة بالصداقة على صفحات الجرائد وشاشات التليفزيون، مع الإعلان عن المعاشرة الجنسية، وتقبل كثيرون هناك تلك التصريحات بلون من الارتياح، والتمسوا لأميرتهم المحبوبة العذر فى سلوكها مع عشيقها، كرد فعل لسلوك زوجها مع عشيقته فى الوقت الذى يرفض فيه الإسلام ذيوع تلك المعارف وشيوعها، وباعث ذلك حرص الإسلام على نقاء المجتمع وطهره، وعدم تفشى تلك الأوبئة فيه، وأما علم قلة قليلة بتلك الأخلاق لنقدها، وإظهار زيفها وإبطال الدعوة إليها، وإقامة الدليل على أن الإسلام قدم بدائل مشروعة، تحقق إشباعًا فى تلك المجالات فى إطار الحل فهو أمر محمود.

لقد نهى الإسلام عن ذكر ما يستقبح، سواء أكان الذاكر لذلك من وقعت منه المعصية أو من رآها أو علم بها، وحسبنا تحريم الغيبة والنميمة، والهمز واللمز والغمز فى الإسلام، وبين رسول الله ﷺ فى الحديث أن «كل أمتى معافى إلا المجاهرون. قالوا : ومن المجاهرون يا رسول الله، قال : من بات عاصيًا قد ستره ربه فأصبح كاشفًا ستر ربه، يقول فعلت الليلة كذا وكذا»[1].

نسبية الثقافة :

لا يوجد معيار محدد تقاس به ثقافة هذا أو ذاك، وإنما القياس مرده إلى العرف، والواقع، فمن يدرك قليلاً من المعرفة إذا جلس وسط من لا يدركون منها شيئًا فهو ... ، وإذا جلس هو أمام غيره من أهل المعرفة استشعر جهله، وأدرك ثقافة غيره، وهكذا الغير، بشرط أن لا يصاب الإنسان بشىء من الغرور

---

[1] الحديث : البخارى ٢٤/٨، الزهد ب ٨ رقم ٥٢.

يدفعه إلى القول بأنه أعلم الناس، عندها يظن أن قليلاً من المعرفة -قد قام به- جعله أعلم الناس، وأنه قد أدرك منتهى العلوم والمعارف، وكم رأينا متعالمين لا قبل لهم بالعلم، يسير الواحد منهم كأنه الطاووس، فى زهوه وخيلائه، فإذا ما فتح باب المناقشات العلمية، تأكد للجميع أنه الطبل الأجوف. إن الاعتقاد بنسبية الثقافة يدفع المثقف إلى عدم التوقف عند حد معين فى الطلب، ومن ظن أنه قد أحاط بكل شيء علمًا، فعليه أن يدخل مكتبة ما من المكتبات العامة، وينظر إلى محتواها، ويسأل نفسه : كم قرأ من كتبها وكم وعى مما قرأ، وما هي قدرته على معالجة قضية من القضايا من فكره ؟ عليه أن ينظر إلى المؤلفات الأجنبية مع نظرته للمؤلفات العربية، ويستعرض العلوم والفنون وما ألف فيها، وماذا استوعب مما ألف فيها، ليدرك معنى قول الحق سبحانه ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[1] . وينزل على أمر الله لنبيه أن يدعوه بهذا الدعاء (وقل رب زدنى علمًا).

بين الثقافة والعلم

فى السنوات الأخيرة رأينا كثيرين من المشتغلين بالدراسات الدينية الإسلامية يتناولون مصطلح "ثقافة" ومصطلح "علم" بالبيان، ويفرقون بين مدلول الثقافة ومدلول العلم، وما دفعهم إلى ذلك إلا التعريفات التى وفدت من الغرب حول مدلول هذين المصطلحين.

فقد مال علماء الغرب إلى تعريف الثقافة بأنها «الكل المعقد الذى يتضمن المعرفة والعقيدة والأخلاق والقانون والتقاليد وكل القدرات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا فى مجتمع»[2] .

---

[1] الإسراء : ٨٥.

[2] فى الفكر والثقافة الإسلامية، ١٥.

وقيل إنها : مجموعة الأفكار والعادات التي يكتسبها أي مجتمع من المجتمعات ويشترك فيها أفراده، وتنتقل من جيل إلى جيل.

وفي إطار تحليل هذين العنوانين وغيرهما مال كثيرون إلى أن الثقافة تهتم بالمعرفة النظرية والعلوم ذات الصلة بحياة الإنسان في عاداته وتقاليده كالدين والفن والفلسفة والاجتماع.

وأما المعرفة العلمية فهي قاصرة على البحوث والتجارب المعملية، وهي الجديرة بإطلاق كلمة "العلم" عليها.

وعلى هذا الأساس فرقوا بين العلم والثقافة قائلين :

أولاً : الثقافة هي : العلوم والمعارف النظرية القائمة بذات الإنسان.

العلم هو : العلوم والمعارف التطبيقية التجريبية.

ثانيًا : الثقافة محلية

العلم عالمي :

فالعادات والتقاليد الاجتماعية والفنون والآداب، وبعض الظواهر الدينية، تختلف عن مدينة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، وبين الشرق والغرب أو بين المجتمع الإسلامي واللاإسلامي، خلاف ثقافي واسع، وبعضها لا يصلح للتطبيق في ديار غيره..

أما نتائج العلم فهي عالمية، بمعنى أن كل قانون علمي، وإن اكتشف في مكان ما فإنه قابل للتطبيق في سائر الأمكنة، إذا توافرت سبل التطبيق فقانون الطفو والجاذبية، وكذلك الطب والأدوية، كل ذلك صالح للتطبيق في أي مكان وإن كان الاكتشاف في ديار غير دياره.

ثالثًا : الثقافة عامة :

العلم خاص :

فما من إنسان إلا ولديه قدر من الثقافة المتمثلة في العادات والتقاليد

التى يرثها عن آبائه وجيرانه ومجتمعه، بل إنـه لا يتـأتى الوصـف بالإنسـانية دون الوصف بالثقافة، وإن تفاوتت نسبها كمًا وكيفًا.

أما العلم فإنه خاص، لا يظفر به إلا من التمس أسبابه، وسلك دروبـه، وتحصيله ليس متاحًا للجميع، بل إنه يتوقف على الطلب، وفى كل فن من فنونـه يكون التخصص، وقد لا يتوفر لكثيرين شيء من العلـم بـه، كـالطب والصيدلـة والهندسة..

رابعًا : روافد الثقافة متعددة فأولها البيت وثانيها البيئـة المحليـة وثالثهـا المجتمع، بما فيه من وسائل إعلام عامة وخاصة.

وأما العلم فروافده محدودة، وميلاده حديـث عهـد بالإنسـان، ولا قبـل لتحصيله إلا من طريق البحث والتجربة حقيقة أو حكمًا...

وعلى أساس من التفرقة بين العلم والثقافـة، فرقـوا بـين العـالم والمثقـف قائلين :

المثقف : من أدرك قدرًا من المعرفة النظرية فى مجال من مجالات الثقافـة (الدين – الفلسفة – الأخلاق – الفن – الاجتماع).

المتعلم : من لازم محراب المعمل، واشتغل بالتجارب والعلـوم التجريبيـة كالطب والهندسة والصيدلة... الخ.

هذه التفرقة فى ميزان الإسلام :

ذكرتُ أن التفرقة ليست ناجمة عن نص قرآنى أو فكـر إسـلامى، وإنمـا نتجت عن التأثر بالفكر الغربى الوافد، ونظرة هادئة فى النصوص القرآنية تبطـل هذه التفرقة، وحسبى مـن دليـل علـى هـذا، أن القـرآن قـرن كثيرًا مـن العلـوم والمعارف النظرية بالوصف بكلمة علم، قـال تعـالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[1]

---

[1] البقرة : ٣١.

وذكر حوادث تاريخية إجابة على سؤال أهل مكة للرسول ﷺ عن أهل الكهف، ورحل طاف المشرق والمغرب، وعن الروح فكانت الإجابة، والتى ختمها الله بقوله ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[1] . وذكر لرسوله -عليه السلام- أن جملة ما أدركه من علوم ومعارف هى من صميم العلم لا الثقافة، وامتن عليه بقوله ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾[2] وأمره بطلب الاستزادة فى قوله ﴿وقل رب زدنى علمًا﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

كما أن السنة النبوية، قد حثت على طلب المعرفة، ووسمت ذلك كله بالعلم، وفى الحديث «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع»[4] . «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»[5] . «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[6] .

وفى ضوء هذا الفهم، لم نجد تفرقة فى الفكر الإسلامى السابق بين أصحاب العلوم النظرية والعلوم التجريبية، وإنما دُعُوا بالعلماء، مع وصف أحدهم بما يغلب عليه من تخصص، كـ "ابن سينا" الفيلسوف الطبيب، و"الرازى" الطبيب الفيلسوف، وآخرين من علماء الإسلام.

وهل يستطيع المفرقون بين العلم والثقافة، أن يخرجوا "فخر الدين الرازى" و"الجاحظ" و"السيوطى" وغيرهم، من عداد العلماء، بناء على قولهم: إن المعرفة النظرية ثقافة والمعرفة التجريبية علم ؟

---

[1] الإسراء : ٨٥.

[2] النساء : ١١٣.

[3] طه : ١١٤.

[4] الحديث، حم ٢٦٤٧.

[5] الحديث، حم ٥/١٩٦، اتحاف ١/ ٩٤.

[6] الحديث، طب ١٠/ ٢٤٠.

وعلى هذا الأساس نرى :

أن العالم : هو المتبحر فى علم من العلوم، حتى صار ذكر العلم مذكرًا به، وذكره يذكر بهذا العلم، فعندما نسمع عن الإمام "مالك" و"الإمام أحمد" و"الشافعى" و"أبى حنيفة"، يرد إلى الذهن مباشرة علم الفقه وإذا ذكرنا علم الفقه، وردت على الذهن هذه الأسماء. ومثل ذلك الحديث،يذكره يتذكر كل مسلم،"البخارى" و"مسلم"،وبذكرهما يتذكر الناس السنة النبوية الشريفة..وهلم جر

وأما المثقف : فهو الذى لا يتوقف عند حد معين من العلوم والمعارف، ولا يقتصر فى الطلب على تخصص بعينه، بل إنه يحرص على الجمع بين تخصصات شتى، وإن تفوق فى واحد منها عما سواه، كما نرى أطباء فقهاء مفسرين أو محدثين، ونرى محدثين فقهاء مفسرين أدباء مؤرخين، إلا أن غلبة لون من المعرفة قد سيطر على أحدهم حتى عرف به أولاً وبغيره ثانيًا.

العلاقة بين الثقافة والحضارة والبداوة :

الحضارة ضد البداوة، والحاضر عكس البادى، والحضر عكس البدو، وقد وردت مشتقات من كلمة "حضر" فى القرآن، يراد بها الوجود والثبات والاستقرار أو الإقامة فى مكان ما، قال تعالى فى شأن دم التمتع فى الحج ﴿. . . فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام﴾[1]. وهى تعنى الإقامة الدائمة والاستقرار. وفى قول الحق سبحانه

---

[1] البقرة : ١٩٦.

﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾[1] . والكلمة يراد بها الاستقرار والإقامة الدائمة، وطلبهم العيش بمخالفة شرعية للتكاليف.

كما ورد في السنة قوله ﷺ «لا يبيعن حاضر لباد»[2] أى لا يتولى الحاضر -أى المقيم بالحضر- البيع للآتى من البادية، عن طريق الشمسرة، أو تركه السلعة عنده حتى يتجر له فيها فيغالي في الثمن.

وقد تعارف العرب على تقسيم الحياة الاجتماعية بحسب الأبنية والحل والترحال إلى قسمين :

حاضرة : وهى الأبنية الحجرية ذات الطابع الدائم دوامًا نسبيًا.

بادية : وهى الأخبية التى يضربها أهلها للإقامة فيها فترة من الزمن.

وقد ألِف أهل كل قسم حياتهم، وأبوا تقديم غيرها عليها، وإن فاقت الحاضرة البادية فى الترف والمسكن، وهذا ما عبرت عنه "ميسونة الكلابية"، التى فتن بجمالها "معاوية بن أبى سفيان" فتزوجها، ونقلها من حياة البداوة إلى حياة القصور والترف، فلم يطب لها المقام، وأحست بأنها مسجونة فى هذا البيت الذى يراه زوجها منّة منه عليها، وكانت دائمة التعريض بحياتها الجديدة مادحة لحياة البداوة وأهلها، حتى إن "معاوية" قد طلقها استجابة لطلبها بعد أن تزوج عليها، وقد أنشدت شعرا يُبيِّن مدى ارتباطها بحياة البداوة وحبها إياها وتقديمها لها على ما سواها، ومن قولها :

لبيت تخفق الأرواح فيه   أحب إلىّ من قصر منيف

---

[1] الأعراف : ١٦٣.

[2] الحديث، النسائى ٧/٢٥٨، حم ٢/٣٩٤.

وكلب ينبح الطراق عنى ... أحب إلىّ من قط ألوف
ولبس عباءة وتقر عينى ... أحب إلىّ من لبس الشفوف
وخرق من بنى عمر نحيف ... أحب إلىّ من علج عنيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلى من نقر الدفوف
وأكل كسيرة فى قعر بيتى ... أحب إلىّ من أكل الرغيف
فما أبغى سوى وطنى بديلاً ... وحسبى ذاك من وطن شريف

ومع ذلك ربط العرب بين الحواضر والبوادى فقالوا : لكل حاضرة بادية، ولكل بادية حاضرة، وأحيانًا تنسب البوادى إلى الحواضر، فيقال بادية كذا، بادية كذا.. إذا كانت فى حماها، أو قامت علاقات اقتصاديةً بينهما.

مفهوم الحضارة :

إذا كان العرب قد عرفوها قديمًا بأنها العمران، البناء المحكم، حياة الاستقرار.. الخ فإنها فى العصر الحديث تعرف بأنها : ما انتهت إليه العلوم والمعارف بارزًا على أرض الواقع.

وهذا المفهوم يراد به الحضارة فى شقها المادى المحسوس، كالأبنية والفنون وتجسيد الجمال.. الخ.

وأما الحضارة فى شقها المعنوى فتعرف بأنها : رقى الفكر وسمو الخلق والظهور بالمظهر الحسن لدى الأفراد فى ضوء التقاليد الاجتماعية، ولذلك نسمع الحكم على فلان بأنه متحضر أو متقدم أو متمدن أو متطور، بينما نسمع وصف آخر بأنه متخلف أو رجعى أو جاهلى.. الخ.

ومن هنا يمكن القول : إن الحضارة يراد بها فى العصر الحديث : الحرص على إبراز الكمال والجمال فى المحسوسات والمعقولات.

أو هى : ما انتهت إليه العلوم والمعارف فى شقها الإيجابى فى مجال الإنسان والعمران.

والتعريف الأول : تعريف بالغاية، والثانى تعريف بالأثر.

بواعث الحضارة :

تختلف وجهات نظر المحدثين عن بواعث الحضارة بحسب ثقافتهم، فمنهم من يرى الباعث اقتصاديًا، ومنهم من يراه علميًا، ومنهم من يراه عسكريًا ولكنى أرى بواعث الحضارة تكمن فى الآتى :

أولاً : الفطرة الكامنة فى النفس البشرية :

والتى تتمثل فى الحرص على العمران والإصلاح، فصريح النص القرآنى، أن الأرض كانت مهيأة قبل خلق الإنسان لحياة سعيدة بالنسبة للإنسان، وذلك واضح فى قول الحق سبحانه ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادًا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾[1].

وقد صرح الحق باستخلاف الإنسان فى الأرض ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾[2] ولذلك وجدنا الأنبياء يوصون أقوامهم بعدم الفساد فى الأرض والحرص على إعمارها، هكذا قال "شعيب"

---

[1] فصلت : ٩.

[2] البقرة : ٣٠.

لقومه ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾[1] وقال "صالح" لقومه ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾[2]. وقال "موسى" لقومه ﴿.. كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾[3] وقالها قوم قارون له ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[4].

هذه الفطرة التى فطر الله الإنسان عليها، هى التى دفعت السابقين إلى أن يشيدوا صروحًا ويرفعوا أبنية لا يعرف محتواها إلا الله، وقد ذكر القرآن نماذج للحضارات السابقة، وأشار إلى أسباب تدميرها، وفى ذلك حث على الإعمار من ناحية ودعوة إلى الاعتبار من ناحية أخرى، قال تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد﴾[5].

وقد أنكر هود على قومه عدم شكر النعمة وذلك فى قول الحق ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون﴾[6].

---

(1) الأعراف : ٨٥.

(2) الأعراف : ٧٤.

(3) البقرة : ٦٠.

(4) القصص : ٧٧.

(5) الفجر : ٦ : ١٠

(6) الشعراء : ١٢٨ : ١٣١.

وقال "صالح" -عليه السلام- لقومه ﴿أتتركون فى ماههنا آمنين * فى جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحون من الجبال بيوتًا فارهين * فاتقوا الله وأطيعون﴾[1].

وما حضارة سبأ وآثار الفراعنة وديار ثمود وبقايا عاد بغائبة عن أحد.. ولا زلنا نرى أثر هذه الفطرة فى حياتنا، فالرغبة فى الرقى الحضارى قائمة، فأهل الأكواخ يحرصون على البناء بالطوب اللبن، ثم الأحمر، ثم يتطلعون إلى ما هو أبعد من هذا، ويلحق بذلك الصناعات والمصانع وكذلك الزراعة فى تطور وسائلها والتجارة فى أدواتها ومؤسساتها.

ثانيًا : الحروب :

وهى من أقوى البواعث على الحضارة فى شقها المادى، كما أنها الدافعة إلى الرقى الصناعى، ثم يكون التأثير على الصناعات المدنية، وحسبنا من دليل على هذا، أن أجهزة التنصت، الرادارات والصواريخ والطائرات والسفن وغيرها، يكون التطوير فيها باعث من الرغبة فى السبق العسكرى. وهو ما يراه بعض الباحثين العسكريين أثرًا إيجابيًا للحروب. كما أن الأبنية العسكرية فى تطور مستمر فى شقها الحربى، وينتفع الشق السلمى بجانب كبير من ذلك التطور..

ويكفى أن الرغبة فى السبق العسكرى هو الذى دفع إلى إنتاج أقمار الفضاء، بهدف التجسس، وإمكانية الحرب عن طريق الكواكب والنجوم، والتضليل والتشويش على الخصم الخ، ومع ذلك تم الاستفادة من أقمار فضائية على غرار الأقمار الحربية فى مجال الاتصال والبث المباشر ودراسة الفضاء الخارجي وباطن الأرض، ورصد مواطن المعادن، والمياه والتصحر.. الخ.

---

[1] الشعراء : ١٤٦ : ١٤٩.

ثالثًا : التراث الإنسانى :

فقد ورثت البشرية تراثًا حضاريًا بالغ المدى وكم سمعنا عن حصر لعجائب الدنيا السبع، وقرأنا عن سدود وأبنية انهارت فى الماضى وبقيت آثارها فى الحاضر، كم رأينا أجسادًا لموتى تجاوز بهم الزمن آلاف السنين، كل ذلك دفع الإنسان المعاصر إلى بذل كل جهد ممكن فى محاكاة الإنسان السابق، وما زلنا نرى الدراسات المستمرة للأهرامات بهدف كشف سرّها ومحاولة العلم بفن التحنيط الذى اختص به قدماء المصريين وقد دفع التراث الإنسانى الإنسان المعاصر إلى ملازمة المعمل من قبل المتخصصين فى بعض الفنون.

رابعًا : ثورة الاتصال وأثرها فى المحاكاة :

ففى الشق المادى بخاصة نرى صراعًا بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ألسنا نرى ناطحات السحاب نشأت فى أماكن محدودة، ثم تجاوزت حد المحلية إلى العالمية ؟ ألسنا نرى الكبارى العلوية وقد امتدت كيلو مترات ونرى الأبراج بارتفاع يقارب المائتى متر، وهكذا المطارات والموانئ والطرق والأرصفة ووسائل الاتصال الأرضية والفضائية، كل ذلك باعثه الرغبة فى المحاكاة وإثبات الوجود، فضلاً عن المردود الإيجابى لذلك.

خامسًا : الاستعمار أو الفتح الدينى لبلد من البلدان :

فالاستعمار يبذل كل جهد ممكن فى إقناع أهل البلد المستعمرة بحاجتها إليه وذلك بتوجهه إلى الطرق والكبارى وبعض المنشآت، كالمستشفيات والمدارس بالإعمار، كما يدفع بعض المواطنين المحليين إلى إقامة أبنية معينة لأهداف يرسمها هو.

وأحيانًا يكون الصبغ الحضارى المادى بباعث من الدين أو العرق، كما يقال الحضارة الإسلامية، الحضارة الرومانية، الحضارة اليونانية، وذلك ببناء أبنية

ذات صبغة معينة فنيًا، كما هو واضح فى كثير من أبنية الإسكندرية كامتداد للحضارة الرومانية، وأبنية أسبانيا والبرتغال كامتداد للحضارة الإسلامية.

مقومات الحضارة :

تلعب عوامل عدة دورًا أساسيًا لقيام أى حضارة ومن هذه المقومات ما يلى :

أولاً : الإنسان :

فلم يعرف لغير الإنسان حضارة، والشق المادى فى البدء والمنتهى ناتج العقل الإنسانى، فلا حضارة بلا إنسان فى البدء وقد يكون الإنسان ولا تكون حضارة، كما فى سكان الأدغال والأحراش والغابات ويبقى القول : إن الإنسان هو صانع الحضارة على ظهر هذه الأرض.

ثانيًا : الإرادة :

فقد يكون الإنسان ولا تكون الإرادة فى التحضر عنده متوفرة، إلا أن البشرية فى جملتها لديها إرادة التحضر وإن تفاوتت النسب، فبينما نرى الغرب لا يعرف حدً للبحث والرقى والبناء ونرى إرادته جاوزت حد الخيال، فاستطاع من جراء إطلاق العنان لإرادته. أن يجنى مكاسب شتى فى مجال المحسوسات، فطغت حضارته المادية على حضارة العرب والمسلمين، نرى فى نفس الوقت. إرادة التحضر أو الحرص على السبق الحضارى لا يتجاوز حد الشعار فى معظم بلاد العالم الإسلامى، ولا يخفى على أحد المقارنة بين مصر واليابان. وقد خرجت الثانية مهزومة مدينة من الحرب العالمية الثانية بينما كانت الأولى تدين بريطانيا بملايين الجنيهات، فأين الأولى من الثانية الآن، وكذلك ألمانيا التى دمرت فى الحرب، وتم تقسيمها إلى شطرين، شرقى وغربى، كل ذلك بهدف ألا تقوم لها قائمة، ومع هذا إرادة هذا الشعب أن يكون، هى التى دفعته إلى تحقيق ما نرى الآن.. إن مساحة السودان كافية عند استزراعها

لإطعام العالم العربى بأسره فأرضه طيبة. ومياهه وفيرة، وتبقى الإرادة لدى أهله خاصة والعرب عامة.

ثالثًا : العلم :

فالشق المادى للحضارة يقوم على العلم جملة وتفصيلاً، وما أظن ناطحات السحاب والأبراج والكبارى والعمارات الشاهقة ووسائل الاتصال الفارهة، وأبواب العمارات والسيارات ومراوح السقف التى تدار كلها بالريموت كنترول إلا ناتج العلم، وليس بالإمكان أن نقيم حضارة مادية بغير معرفة علمية، بصرف النظر عن الدين وجودًا وعدمًا، وقد قوبلت حركة الرهبنة فى الشرق والدعوة إلى الزهد فى الدنيا بالرهبنة فى المعامل والمصانع فى الغرب، فكان الناتج كما رأينا.

رابعًا : الموارد المتاحة :

وهى من مقومات الحضارة المادية، ولا بد من توافرها حقيقة -كأن تكون موجودة فى ذات البلد- أو حكمًا- كأن تعتمد على القروض والهبات، ولا بد من توفر الأرض كحد أدنى لإقامة الحضارة، والمسلمون لا ينقصهم شىء فى هذا الجانب. بل إن عندهم من الوفرة ما جعلهم يصدرون موارده إلى الغرب.

ضوابط الحضارة :

إن اطلاق العنان فى مجال الحضارة، قد تجاوز حد الاعتدال، وبخاصة إذا غابت القيم، أو لسنا نرى فى الحضارة المعاصرة الرؤوس النووية والصواريخ عابرة القارات، والطائرات التى لا ترصدها الرادارات، وأقمار التجسس عن بعد، وصناعة أسلحة الدمار الشامل، والاشعاع النووى وتصدير الأمراض التى لا علاج لها، كالإيدز، عن طريق بنوك الدم، السياحة والدعارة.

أو لسنا نرى أبنية فارهة فى الغرب قد رخص لها بالدعارة، والشذوذ الجنسى على مرأى ومسمع من الحكومات الغربية، وبترخيص رسمى بهدف الضرائب.

أو لسنا نرى بنوكًا للإخصاب وإدخارًا لماء الرجل إلى حين؟ واستحارًا للأرحام، وعارضات لأنفسهن فى فاترينات أوربية يقفن فيها كيوم ولدتهن أمهاتهن... الخ.

إن الحضارة الغربية قد حققت خواء روحيًا بقدر تقدمها المادى، وإن البعد السيىء لها على النفس يعدل البعد الإيجابى فى راحة العضلات، وإن الفزع الذى يعيشه العالم أجمع من جراء الحضارة الغربية، قد أكره الناس على الخنوع والذلة، وحسبى من دليل على هذا رعب العرب فى خوفهم من مواجهة إسرائيل لا لعجز فى عددهم وعتادهم، وإنما رهبة ممن يملكون زمام الحضارة المادية فى الغرب.

ولذلك لا بد من مراعاة ضوابط الحضارة، أو وضع ضوابط لها فى العصر الحديث والتى نراها فيما يلى :

أ- الدين :

وأقصد به الدين الذى سلم من التحريف، وبقى أصله كما نزل ودُوِّن كتابه بين يدى نبيه، واتسم بالشمولية والإنسانية، يساعد أهله فى ذلك أتباع الديانات المنسوبة إلى الوحى، وقد رأينا وقفة جماعية من أتباع الأديان ضد عملية الاستنساخ، وإنكارًا عامًا ضد زرع نطف الحيوانات فى أرحام النساء المسلمات فى البوسنة والهرسك.

ب- الأخلاق :

فهناك قاسم مشترك بين البشر فى مدح الصدق وقدح الكذب وإنكار الفساد... الخ، وقد رأينا بعض الدول، ومجموعة الأمم المتحدة تطالب بحظر

انتشار الأسلحة النووية، والأسلحة البيولوجية والجرثومية، ووقعت الدول اتفاقية بحظر انتشار الألغام المضادة للأفراد.

إن النتائج السلبية للحضارة المادية، كم حركت الذوق العام لرفض بعض نتائج الحضارة المادية، ودفعت كثيرين للمطالبة بإبقاء هذا واستبعاد ذلك، ولا يخفي على أحد رد الفعل العام بعد تسرب حادث تشرنوبل في الاتحاد السوفيتي السابق، ومرض جنون البقر في بريطانيا، كم دفعت تلك الحوادث وغيرها الرأى العام إلى المطالبة بكبح جماح التقدم التكنولوجي المفضى إلى الهلاك.

وجه الحاجة إلى دراسة الثقافة الإسلامية

المعتقدات الفاسدة أشد هجومًا على غيرها من الميكروبات والجراثيم، وكما دعا أهل العلم والعقلاء إلى وجوب تطعيم الناشئة منذ الصبا وقاية، فإننا نرى وجوب تطعيم عقول الناشئة ضد خطر المعتقدات والتيارات التى تناصب الإسلام العداء، ويمكن تحديد ضرورة تعميم الثقافة الإسلامية فى الجوانب التالية:

أولاً : أنها تشكل جهاز مناعة ضد التيارات الوافدة، كما تشكل جهاز قناعة فى المرحلة المتقدمة من العمر.

ثانيًا : فيها ردٌ على التيارات العلمانية التى باتت تشكك فى الإسلام وقدرته على مسايرة الحياة، وإصلاح الركب، ودرء اتهامه بالقصور تجاه المستجدات.

ثالثًا : تؤثر فى توحيد الثقافة السائدة لدى أفراد المجتمع، وتوجد قاسمًا مشتركًا بين جيل الشباب والفتيات فى مجال الفكر، فوحدة القضايا المطروحة -إن حسن الطرح- كافية بإيجاد قاسم مشترك فى الأفكار.

رابعًا : تمكن الشباب من الرد على بعض الشبهات المثارة ضد الإسلام، من أهله وغير أهله، وبخاصة أن بعض المفاهيم قد وقع فيها الخلط فى الفكر

الإسلامى وعُمِّى على كثيرين بعض الجوانب، وفى تناول الجانب السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الإسلام، دليل عملى على تقديم الإسلام نظامًا يستقيم به أمر البشر عامة والمسلمين بخاصة.

خامسًا : دراسة النظم والثقافة الإسلامية، تغرس أصول للمعرفة فى كافة جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق لدى الدارس، فالكتابة فيها وإن راعت المنهج العلمى فى التأصيل والنسبة وحسن المعالجة وقوة الحجة ووضوح الشاهد ودرء شبهة الخصم.. الخ. فإنها لا تنحو منحى التفسير أو شرح السنة أو كتب الفقه، وما حال الكتابة فى النظم إلى كحال العسل لا يعرف الإنسان عدد الزهرات التى وقف عليها النحل ولا نوعها، وكم استسقى من هذه أو تلك، وإنما يعرف الشارب شيئًا واحدًا، أنه يشرب عسلاً، هكذا الكاتبون فى النظم، أو هكذا يكون منهج الكتابة، المرور على كل العلوم والفنون وقطف طيب الثمر، وتقديم ذلك على طبق من فضة -كما يقال- لينعم الطاعم وإن لم يدرك عناء الجانى لهذا الثمر.

سادسًا : اجتاح شباب العالم الإسلامى تيار مادى وجودى، كما اجتاحه تيار اشتراكى شيوعى وفى الآونة الأخيرة اجتاحه تيار إرهابى مأجور لحساب الغرب، وقد اختلطت المفاهيم على أولئك، والنظم والثقافة الإسلامية الصحيحة كفيلة بدرء ذلك كله عن الشباب، ويكفى أن المجلس الأعلى للجامعات، قد قرر وجوب تدريس مادة الثقافة الإسلامية وإن لم يخرج القرار إلى حيز التنفيذ فى بعض الكليات.

كما أن جامعات الدول العربية والإسلامية تندرس هذا المقرر تحت مسميات شتى منها : الفكر الإسلامى، الثقافة الإسلامية، الدراسات الإسلامية... الخ والمناهج فى دول الخليج أقرب إلى الاتفاق منها إلى

الافتراق، وقد جعلت لها مقررين أحدهما أول والآخر ثانى لإدراك تلك الجامعات لقيمة هذه المادة.

سابعًا : تهدف الثقافة الإسلامية الصحيحة إلى إيجاد مجتمع قائم على القيم والأخلاق والمبادىء، وتجعل العلاقة بين الأفراد قائمة على أساس من التراحم لا التناحر، والتقارب لا التنافر، وتؤثر النصوص بدور كبير فى الإقناع بالوحدة وبالحقوق الإسلامية تجاه المسلمين وبعضهم، وفى الاحتكام إلى النص مع كل خلاف.

ثامنًا : تعيد الثقافة الإسلامية الواعية صورة طيبة للإسلام، وهى ترد على أهل الجهل جهلهم والتخلف تخلفهم، ويكفى أن بعض الأوساط الدينية لا تزال تنكر على العلماء دوران الأرض وارتياد الفضاء وتحرم الصور الشخصية وسفر المرأة للحج أو العمرة بدون محرم معها، وهذه الاتجاهات إن لم تواجه بتيارات ثقافية صحيحة جارفة فإنها ستؤثر على العقول الشابة (أحيانًا) وتشوه صورة الإسلام.

تاسعًا : تدفع الثقافة الإسلامية دارسها إلى التحرر من عقدة الذنب التى زعمتها الأديان السابقة، وتحث المسلم على الإيمان بالمسئولية الشخصية وتدرأ عنه هيبة الطبيعة وقد سيتها، وتلفت نظره إلى سموه كإنسان على سائر المخلوقات، وهو الأمر الذى يكسبه الشعور بالذات، والسبق فى فعل الخيرات.

عاشرًا : الثقافة الإسلامية خير سبيل لربط حاضر الفكر بماضيه، فأصول الثقافة الإسلامية واحدة، وجذورها تضرب فى التاريخ إلى عصر النبوة، وهى ميزة تميزت بها تلك الثقافة عن غيرها من الثقافات، والتى تنبت من جديد بين الحين والحين لانعدام المصادر التى تستقى منها والأصول التى يحتكم إليها، حتى إن الأمم النصرانية واليهودية

لتعانى من انقطاع التواصل الثقافى فضلاً عن الطعن فى الجذور والذى يقوم به بنو جلدتهم..

الصراع الثقافى

الأصل أن تتلاقح الثقافات. ليكون الناتج إيجابيًا فى حال الانتقاء، إلا أننا قد رأينا فى الآونة الأخيرة ظاهرة الغزو الثقافى، بمعنى حرص الثقافات الغربية على اقتحام الديار الإسلامية، محاولة إحلال نفسها محلها، واستطاعت بقوة أهلها العسكرية والعلمية، وبطول بقاء أهلها -كمستعمرين- فى ديار الإسلام، وعن طريق إيجاد عملاء لهم فى بلاد العالم الإسلامى، أن يجدوا موطئ قدم لثقافتهم فى ديارنا، وبمضى الزمن خطت تلك الثقافات خطوات واسعة فى ترسيخ أقدامها فى ديارنا، ثم استطاعت فى الآونة المتأخرة أن تنال حيزًا من الصدارة، طاردة الثقافة الإسلامية من بعض ديار الإسلام، وليس أدل على هذا من أن التيار الشيوعى، الذى وفد إلينا يبحث عن موطئ قدم، وبمضى الزمن، سادت الدعوة إلى الاشتراكية، ثم كانت بدايات الشيوعية المقننة. الاحتكار للدولة -التأميم-الولاء- الأحلاف- سيطرة الخبراء الروس على مقاليد الأمور فى الجيش.. الخ.

وما استحى فى هذه الحقبة من الزمن ١٩٥٤ - ١٩٧٠ ذيل من ذيول الماركسية أن يعلو بنفسه على مؤخرة الدبية التى كانت تقود ركب الشيوعية، كما أسسوا الأحزاب وأصدروا الصحف وتباهوا فى المحافل الدولية بشيوعتهم، كل ذلك على مرأى ومسمع بل وبمساندة أولى الأمر.

فى الوقت الذى كان التمسك بالدين فيه مشكلة، والجلوس فى محافل العلم تهمة واقتناء كتاب (فى ظلال القرآن) يبرر الحكم بالسجن ستة أشهر، وحمل المصحف شبهة، والجلوس فى مجالس الإخوان جناية، بل إن المأخوذين إلى

السجن من الإخوان المسلمين، كانوا يؤخذون بالجوار والصحبة ودليل التليفون فى المذكرة الشخصية لأحد الإخوان.

واليوم تعانى الثقافة الإسلامية من هجمة شرسة تقودها العلمانية فى بلاد الشرق عامة وفى تركيا بخاصة، أو لسنا نرى القيود المفروضة على الإسلام والثقافة الإسلامية فى تلك الديار، لقد أسقطت الحكومة العلمانية شعار الخلافة الإسلامية، وشعار الإسلام، ورفعت شعار العلمانية، وحرمت الدراسات الدينية وفرضت التبرج وحرمت النقاب، وأقصت اللغة العربية وأحلت اللغة الطورانية محل اللغة العربية، وفى هذا العام (١٩٩٧م) أسقطت الحكومة المنتخبة على اتجاه إسلامى، وقامت حكومة علمانية مكانها، وكان من قراراتها الأولى، إلغاء نظام التعليم الدينى وعدم الاعتراف بالشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر، لأنها تقوم على دراسات دينية، كما أنهم يعاملون الحاصل على شهادة جامعية أزهرية معاملة الأمى، فى فترة التجنيد، لأن شهادته غير معترف بها.

كما رأينا إحلالاً للعلمانية فى السنوات الأخيرة محل الثقافة الإسلامية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى، واستطاعت تلك الثقافة أن تفرض على بعض الحكومات قبول ما لا يتأتى قبوله إسلاميًا، فالبارات والحانات والخمارات وبيوت الدعارة وشواطئ الغرام، وشركات التجارة فى الأعضاء والأعراض، كل ذلك قد قنن فى بعض بلاد العالم الإسلامى.

بل تجاوز الأمر حد الاعتدال، فرأينا مناقشة صريحة وعلنية فيما يتعلق بمصانع الخمور واستيرادها، وتقديمها على شركات الطيران الإسلامية وتواجدها فى الفنادق، فمن قائل بالحرمة مطلقًا ومن قائل بالإباحة لأن ضرائبها مرتفعة وتؤثر على خزانة الدولة إيجابيًا أو سلبًا، ومن قائل بالتفرقة بين المتعاطين من حيث الدين.. كل ذلك يدور فى أمر حرمته متفق عليها عند الجمهور...

وفى إطار الهجوم الثقافى الغربى على المستمع العربى المسلم، رأينا فرض الذوق الأوربى علينا، فالعرى فى المسلسلات والإلام والدعوة إلى الجنس من طرف خفى، والإعلانات عن طريق النهود والصدور والأفخاذ، والكلمات الهابطة الساقطة فى الأغانى والمسلسلات والعناوين التى تحمل سُعار الجنس ولهيبه، وتدعو الكبار فقط، وأحيانًا الشباب فقط، كل ذلك من صنيعة اللوبى الصهيونى وعملائه وتلاميذه فى ديارنا، وكم ترجمت أفلام ماجنة عن أفلام أوربية لعلم المترجم بالبعد الكامن فى القصة والكفيل بجلب الشباب والفتيات إلى المشاهدة.. ولا يزال الخطر كامنًا فى الإذاعات الموجهة والبث المشوش والمقالات المغرضة.

لقد عجز المسلمون فى السنوات الأخيرة عن صد عادية المعتدى، وبخاصة أن الذين تصدوا للدفاع كانوا غير مؤهلين لذلك، فحققوا نصرًا لخصمهم أكثر منه تأييدًا لدينهم.

لقد قابلوا العقل بالعاطفة،والحجة بالسباب والشتم، ودعوا إلى الرفض الكلى للغرب جملة وتفصيلاً، ولم يقدموا البديل، وحرموا الكثير وأحلوا القليل، ولم ير الناس فى دعوة الكثيرين منهم ما يحببهم فى الإسلام، فانصرفوا عنه.. لقد قرأنا عن قاتل أمه المذيعة بالبرنامج العام، وصرح فى التحقيق بأنه وجودى لا يدين بدين، ومنذ فترة غير بعيدة المدى أبى بعض الطلاب الامتحان فى مادة التربية الدينية الإسلامية، وطلبوا الإمتحان فى مادة الأخلاق العامة ونشرت الصحف هذا الأمر.

والأدهى من ذلك وأمر، ما نشرته الصحف عن جماعة عبدة الشيطان، التى تأسست فى أمريكا على يد يهودى ووصلت إلى مصر بصورة غامضة، وروج لها. فتبعها بعض الشباب، من جراء الغزو الثقافى.

ولدينا أحزاب تجاهر بميولها الشيوعية ولها صحف تحرص على نشر

أفكارها ومبادئها، كل ذلك من تراجع الثقافة الإسلامية عن مواجهة تلك الثقافات الوافدة...

ولا ننكر نفس الوقت الجهود الفردية التى يقوم بها علماء أفذاذ فى الداخل والخارج للتعريف بالإسلام، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الثقافة الإسلامية لدى أهله، وحرص هؤلاء على أن ينصبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية، فيقدم الأخلاق الفاضلة على ما سواها، ويحرص أهله على أن تكون المعايير خلقية لا مادية وأن يكون السبق خلقيًا لا ماديًا، وقد حقق هؤلاء بعض النجاحات فى بعض الديار، إلا أن الحكومات تحول بينهم وبين رواج دعوتهم أو نجاحها، ولا تأذن لهؤلاء بالحركة إلا فى دائرة ضيقة للغاية، وما دفع الحكام إلى هذا إلا إيعاز الغرب لهم أن الخطر كامن فى هؤلاء (الإخوان المسلمون مثلاً) فضلاً عن خوف الحكام على كراسى الحكم، وأحيانًا يكون الباعث عجز هؤلاء عن استخدام المنهج الأمثل فى البلاغ، حيث يبدأون دعوتهم بمصادمة السياسة العامة للدولة، أو يتطلعون إلى الحكم من اللحظة الأولى، وأحيانًا يخطئون التطبيق، فيصبحون صورة مشوهة للإسلام ويرى الناس فى سلوكهم فصلاً واسعًا بين النظرية والتطبيق، فيكون القرار بالإعراض عنهم وترك دعوتهم..

وأما المؤسسات الحكومية فدورها محدود، وهى متأثرة بالحركة السياسية ودور أكثرها فى الدعوة سياسى أكثر من دينى.

فما أحوج المسلمين اليوم إلى توحيد ثقافتهم،وإحياء المؤسسات الثقافية وإعطائها الصلاحيات التى تمكنها من البلاغ بعيدًا عن الضغط السياسى والاتجاهات المذهبية، والمنفعة الدنيوية.

أزمة الثقافة فى العالم الإسلامى المعاصر

بعد رحيل الاستعمار عن بلاد العالم الإسلامى، أثمر غرسه فى ديارنا غير حميد، وبات العالم الإسلامى يعانى من تناقض فى الثقافة الداخلية، وتحول الأمر إلى صراع بين أطراف غير متكافأة.

فطرف يتبع الحكم والحكام وله اتجاهات وأيديولوجيات معينة، بيده مقاليد الأمور، مكن لهذا الطرف من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، يحرص على أن ينحو بالمجتمع ناحية الغرب، أو يتوجه به توجهًا علمانيًا أو شيوعيًا، ويهدف أهل هذا الاتجاه إلى التحلل من الالتزام الديني رويدًا رويدًا، فينشر بين الحين والحين ما يشوه صورة رجل الدين وصورة المتدينين، وأحيانًا يأخذ من الاستثناءات أو الضرورات ما يعرضه كقواعد وأصول، بمثل ما يهدد الرجل زوجه دائمًا في وسائل الإعلام بأن الشرع أذن له في أربعة، دون أن يذكر شرط العدل، أو ينص على القيد بواحدة عند خوف انتفاء العدل، وكذلك التهديد بالطلاق دون ذكر كراهية المشرع له... الخ.

كما أن حلّ ما حرم يذاع صباح مساء، في غير مداراة ولا استحياء، بمثل ما ورد في كلمات أغنية (قول لي ولا تخبيش يا زين) ووصف القدر بأنه (أحمق الخطى) والدعوة إلى الدعارة في أغنية (بمبى)... الخ.

ومن بواعث الأزمة الثقافية، التناقض الثقافي بين المتدينين أنفسهم، فقد تحول الفقه -مثلاً- من كونه سبيلاً لتيسير التعبد عند الخلاف بين الفقهاء إلى كونه سبيلاً للصراع المذهبي، وبدأ الاشتغال من المتأخرين بالانتصار لمذهب دون سواه، بل محاولة إضعاف مذهب الآخرين.

ولم يفهم العامة الخلاف في الرأى على أنه لون من الاجتهاد يؤدى إلى اليسر ورفع الحرج، وإنما فهم الخلاف في الرأى على أنه عجز عن فهم الأمر المطروح، ودب الخلاف بين المجتهدين، وتحول إلى خلاف شخصي، وظهر التشيع لكل فريق، ووقفت العامة في حيرة من أمرهم يتساءلون : ما حكم شهادات الاستثمار.ما حكم ودائع البنوك. ما حكم التأمين على الحياة...؟ الخ.

صدرت كتب بالإجابة لكلا الفريقين، واتهم المجتهدون في فكرهم وعقلهم وتخصصهم ودينهم، ولجأ بعضهم إلى مقاضات الآخر، بتهمة السب

العلني والضرر الأدبي، كما تحولت السنن والهيئات إلى فرائض عند الطرح، وقدمت على الفرائض في شرائط الكاسيت وخطب الجمعة والمحاضرات العامة، وظهرت أزمة النقاب والحجاب والقفاز في فترة من الزمن، كما اختلف الداعون إليه فيما بينهم من حيث لونه وعدد طبقاته ونوع القماش، وكم يستر من الجسد، كما اختلف في لون الثياب وسعته..

واختلف كذلك في إعفاء اللحية من حيث الوجوب والسنة، واختلف القائلون بوجوب الإعفاء في طول اللحية والأخذ منها والترك، وهل هي سنة عادة أو سنة عبادة، واختلف في الصلاة خلف حليق اللحية، وكذلك خطبته للجمعة، وتبادل المختلفون الرأى وسوق الأدلة، وجنح البعض إلى فسق من قال بحلقها، وغالى آخرون فأفتوا بكفره... الخ.

وأما العادات والتقاليد، والتي تركها الشرع بلا تناول، فهي من قبيل المسكوت عنه، كما أنها من المستحدثات، كأعياد الميلاد والأعياد القومية، وحفلات التخرج والتهنئة والتأبين وقراءة القرآن في المعازى... الخ. فقد عانت أيضًا من الخلافات بين المشتغلين بالدراسات الدينية، فهناك المغالى المفرط في الغلو، الذى يحرم كل أمر لم يرد زمن النبوة، غير معتبر بالمستحدثات، أو أخذ بأن المسكوت غير مباح، عملاً بالحديث الشريف **«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها»**[1].

وهناك المبيح المفرِّط، الذى لا يضع قيدًا ولا شرطًا لتلك المناسبات، فهي في نظره مباحة، وإن اختلط الحابل بالنابل، ودخل الحرام من باب الحلال ليحل في النهاية محله...

---

[1] الحديث : الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني.

وفى السنوات الأخيرة تحولت الدعوة الإسلامية إلى دعوة شعوبية أو هى قريبة من هذا ؟ فى بعض الديار، وتحولت الأخلاق التى حبب فيها الإسلام ودعا إليها وحث عليها باعتبارها باعثة على الربط بين المسلمين إلى كونها مدعاة للفرقة فالتصوف يقوم على الأخلاق بالدرجة الأولى، وبين أهله من الخلاف والشقاق ما لا يعلم منتهاه إلا الله، والتكاليف الشرعية قد تأثرت بالمذهبيات، ووصلت إلى حد الخصومة فى بعض الأحيان، أو لسنا نرى جماعات وجمعيات تعرض عن مساجد جماعات أخرى وما الخلاف القائم بين الجماعات الإسلامية حول صحة الصلاة فى مساجد القبور بغائبة عن أحد، فالسلفيون يرمون القبوريين بالشرك، ويرمى القبوريون السلفيين بالجمود والتحجر والتخلف والتطرف، ويرمى المجتمع الجماعات الإسلامية بالتطرف، وترمى الجماعات الإسلامية المجتمع بالجاهلية الحديثة (جاهلية القرن العشرين).

وتتصارع الجماعات فيما بينها (جهاد - توقف وتبين - قطبيون - شوقيون - تكفير وهجرة - الناجون من النار - أنصار السنة - الدعوة والتبليغ... الخ. وقد بلغت هذه الجماعات حدًا فى الكثرة، وأصبحت سلاحًا تستخدمه الدول الإسلامية ضد بعضها، بل صارت تصدر كتصدير الثورات سابقًا.

وخلاصة القول :

إن العالم الإسلامى يعانى الآن من أزمة الثقافة، لأن روافدها كثرت وجمعت المسيرة كل غثاء فى طريقها، والكل يزعم أنه يستقى من القرآن والسنة، مع أن العقول المستنبطة قد تأثرت بمؤثرات بيئية وثقافية سابقة على وقت الاستنباط، أى أن شرط الموضوعية لم يتوفر.

كما أضاف البعض الغرب كرافد للثقافة الإسلامية، وجعله البعض منبعًا رئيسيًا، وستظل ثقافتنا تعانى من هذا الاضطراب، حتى تقوم الأجهزة

المعنية بتشكيل الثقافة الإسلامية على أسس علمية، شريطة أن يكون الطرح لأمر من الأمور فى صورته الأخيرة، حتى لا يعانى العامة من الخلاف بين المجتهدين قائلين : مع من نسير ؟ من نتبع ؟ اين الحق مع وجود رأيين مختلفين ؟

ولا يمنع ذلك من الاستفادة من روافد الثقافات الأخرى، على أن نحسن الحسن ونقبح القبيح، ولا يعنى إقرار الغرب لأمر ما، أن الحلّ فى إقراره فى ديارنا لاختلاف المكان والإنسان، وطبيعة الموضوع نفسه، فهل يعنى إقصاء الغرب للدين عن الحياة أن نقصيه عن الحياة عندنا ؟ وهل قيام الحكومات فى الغرب على أساس من العلمانية أو اللادينية يقبل فى ديارنا ؟

وإذا كان الشذوذ مشروعًا، والدعارة مرخص بها والإجهاض غير محرم عندهم فهل نقر ذلك فى ديارنا..؟

خصائص الثقافة الإسلامية

تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات بمزايا شتى لم يشاركها فيها غيرها، ومن هذه المزايا ما يلى :

أولاً : من حيث مصادرها :

تستقى الثقافة الإسلامية علومها ومعارفها وأحكامها وقيمها ابتداء من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطّهرة، وهذه الميزة لم يشاركها فيها غيرها من الثقافات، لأنها لا تخرج عن كونها مستمدة أحكامها وقيمها من مصادر دينية أو غير دينية.

فالثقافات التى تستقى من مصادر دينية كاليهودية والنصرانية (بالنسبة للديانات المنسوبة إلى الوحى) والبوذية والبرهمانية بالنسبة للديانات الوضعية لا تخرج فى جملتها عن كونها صورة مكررة لناتج العقل الإنسانى المصبوغ بالصبغة الدينية، فليس بإمكان يهودى أو نصرانى أن يقيم الدليل القاطع على ألوهية المصدر بالنسبة للكتاب المقدس، وإنما هى ثقافة مدونين جمعوا بين الدين

والفلسفة والاجتماع والتاريخ والأخلاق والأدب الشعبي، ثم دونت على أنها وحي الله إلى الإنسانية، أو قل إنها مزيج من التراث الديني والإنساني قد صبغ بصبغة دينية في مرحلة متأخرة من الزمن، أي أن الثقافة هي التي صنعت الدين وليس الدين هو الذي صنع الثقافة.

وأما الثقافات التي نتجت عن الديانات الوضعية فلا تخلو عن كونها تيارات أحادية المصدر، ثم عمت بمضي الزمن، فالبوذية نسبة إلى بوذا والبرهمانية نسبة إلى براهما والكونفشيوسية نسبة إلى كونفشيوس والزرادشتية نسبة إلى زرادشت... إلخ.

وأما الثقافات المادية المعاصرة، فهي من نتائج العقل اليهودي بالدرجة الأولى ولا أحد ينكر أثر اليهود في الفكر المادي المعاصر، سواء في الماركسية أو الوجودية أو النفعية أو نظريات التحليل النفسي أو نظرية العقد الاجتماعي أو نظرية النشوء والارتقاء... إلخ.

أثر هذين المصدرين في اتساع دائرة الثقافة الإسلامية:

قد يحيط الإنسان بقدر من الثقافة الإسلامية، ولكنه لا يستطيع الإحاطة بكافة مفرداتها، لأن مصدري الثقافة قد اتسعا في علومهما ومعارفهما التي حوياها وطوياها، كما اتسعا في لفت نظر أتباعهما إلى العلوم والمعارف الدنيوية، ولا زالت آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تدفع إلى الاستنباط، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾[1].

﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا﴾[2]. ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا﴾[3].

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...﴾[4].

---

(1) يونس: ١٠١.

(2) غافر: ٨٢، محمد: ١٠.

(3) الروم: ٩، فاطر: ٤٤.

(4) فصلت: ٥٣.

وكم دعت السنة إلى التأمل باعتباره سبيلاً إلى المعرفة، وكم كان رسول الله ﷺ يذكر المقدمات ويترك النتائج، وأحيانًا يذكر النتيجة دون المقدمات وأحيانًا يورّى، وأحيانًا يطرح الأسئلة ليوصل السائل إلى الإجابة بنفسه. وهذا الأمر يدفعنا إلى بيان أثر القرآن وشخص الرسول ﷺ في العلوم والمعارف وأثر ذلك في الثقافة الإسلامية بخاصة والثقافة العالمية بعامة.

أثر القرآن الكريم في الثقافة الإسلامية :

كان للقرآن كبير الأثر في ثقافة الفرد وثقافة المجتمع، أو على المستوى الفردي والمستوى الجماعي. ويمكن بيان ذلك فيما يلي :

أولاً : ثقافة الفرد المسلم من خلال القرآن الكريم :

لا ينكر إنسان أن القرآن هو مصدر ثقافة المسلمين الأول، وقد بهر القرآن بآياته عقول متبعيه وجاحديه منذ نزوله، وبخاصة أن حروفه من حروف العربية، لم يزد عليها حرفًا ولم يترك منها آخر، ومفردات كلماته هي من مفردات كلام العرب، ومع علم العرب بالمحسنات البديعية وثنائهم على بعض الأعمال الأدبية، واختيارهم بعضها لتكون تاجًا للأعمال الإنسانية، يوضع في جوف الكعبة كالمعلقات السبع... الخ.

إلا أن العرب قد سمعوا كلامًا عربيًا، يخالف سائر النظم العربي، حتى قاله قائلهم -وهو كافر بالدين الإسلامي- والله لقد سمعت من محمد كلامًا، ما هو بكلام الإنس ولا بكلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه..، وما قصة إيمان عمر بخافية عن أحد، وقد أثر فيه سماعه القرآن من صهره في بعض الروايات، ومن رسول الله ﷺ في روايات أخرى، وهو مختبئ في جوف الكعبة، ويمكن بيان أثر القرآن في ثقافة الفرد المسلم في الجوانب التالية.

الجانب الأول : مجال العقيدة :

ذكر القرآن الكريم الخالق وبعض أسمائه وصفاته، وحدثنا عن صلته بخلقه وصلة خلقه به، وصلته بكونه وصلة الكون به، وأشار إلى علاقة الناس به عامة، وعلاقة المسلمين به خاصة، وتحدث عن الربوبية كما تحدث عن الألوهية، وذكر الشواهد التى تقوى الإيمان با لله، وقدم البراهين على استحقاقه الألوهية، وكذلك الربوبية، وناقش الملحدين والمثلثين والمشركين، وأبطل ألوهية غير الله، ولفت النظر إلى ما ينبغى الانتفاع به عند جدل هؤلاء، وتحدى الآلهة المزعومة، أن يكون لها من أمر الخلق شيء، وطلب منها أن تخلق ذبابة، أو تدرأ عن نفسها آذاه، وحكم عليها من ناحية المصير ﴿وقودها الناس والحجارة﴾[1] ﴿فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة﴾[2] ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾[3] .

ونفى الواسطة والشفعاء والشركاء، وأوجب عقوبة مقدرة على من نشر الإلحاد أو جاهر به فى دار الإسلام، وقاية للمجتمع من أذاه. كما نهى العقل عن الخوض فى ذات الله، لأنها فوق كنه العقل، وليس بالإمكان إدراكها، ولفت نظره إلى آثار الصانع، وجعل فى الكون من الأسرار والشواهد ما يثبت عجز العقل عن إدراك بعض المحسوسات، فما زال العقل لا يعى حتى الآن ما هو العقل ؟ ولا يعرف الأثير ولا يدرك كنه الكهرباء ويشعر بالروائح الطيبة والخبيثة ولا يدرك كنهها...

ولم يتوقف الأمر عند حد الإيمان با لله، بل إنه حث على كون ذلك الإيمان إيجابيًا، فإذا كنا نتيه فخرًا بمعرفة هذا أو ذلك من المسئولين، ونعلن قدرتنا على الاتصال به، وكم تكسبنا تلك الصلة اعتزازًا وفخارًا، فكيف بمن اتصل

---

[1] التحريم : ٦.

[2] البقرة : ٢٤.

[3] الأنبياء : ٩٨.

با لله واستشعر القرب منه، وتأكد له معانى تلك النصوص فى قلبه وعقله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] . ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[2] . ﴿إن الله معنا﴾[3] . ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[4] . ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى أكسبت الإنسان المسلم قوة لا تعدلها قوة

وفى نفس الوقت حررت النصوص القرآنية المسلم من رهبة الطبيعة وعبادة الوثنية، فلقد أسقط القرآن ألوهية الحجر والشجر والشمس والقمر والنجوم والكواكب، وحرر العقل من الخضوع لغير الله، فأكسب المسلم عزًا لا يعدله عز، وقوة لا تعدلها قوة، وصحح ما انحرف من الفطرة فيما يتعلق بالألوهية.

وأما الإيمان بصفات الكمال القائمة بذات الله، فإنها تكسب الإنسان طمأنينة قلبية لا تعدلها طمأنينة، ويكفى أن الاعتقاد الصحيح يكسب الإنسان المسلم طمأنينة على عمره ورزقه والخوف من الضرر الواقع أو المتوقع، وذلك حين حسمت النصوص الأمر، ودرأت كل خوف يتعلق بهذه الجوانب.

ففى مجال الرزق : ورد قول الحق : ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون* فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[6] . ﴿وكأين من

---

[1] الحديد : ٤.

[2] البقرة : ١١٥.

[3] التوبة : ٤٠.

[4] ق : ١٦.

[5] البقرة : ١٨٦.

[6] الذاريات : ٢٢، ٢٣.

دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾[1] . ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾[2] . مع إيجاب التماس الأسباب ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[3] .

وفى مجال العمر : ورد قول الحق : ﴿لكل أجل كتاب﴾[4] . ﴿إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[5] . ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب﴾[6] . ﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾[7] .

وأما الضرر المتوقع : فهو مقدر بنص القرآن ﴿قل أرأيتم إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾[8] . ﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾[9] ولذلك وجدنا هودًا -عليه السلام- يتحدى قومه

---

[1] العنكبوت : ٦٠.

[2] هود : ٦.

[3] الملك : ١٥.

[4] الأعراف : ٣٨.

[5] يونس : ٤٩.

[6] فاطر : ١١.

[7] آل عمران : ١٦٨.

[8] الزمر : ٣٨.

[9] الرعد : ٨.

وآلهتهم المزعومة معهم أن ينزلوا به شيئًا من العذاب أو العقاب، حين قال لهم ﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[1]. ومن قبله قال نوح ذلك ﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون﴾[2].

وأما الإيمان بالملائكة : في ضوء القرآن الكريم، فهو قائم على حديث العليم الخبير، حيث إنهم من الخلائق غير المرئية، والتي توفر علم البشر بها قبل دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا أن البشرية اضطربت في علومها ومعارفها في هذا الأمر، فمنهم من ألههم ومنهم من جعلهم بنات الله، ومنهم من طلب نبوتهم، ومنهم من تصورهم بالصور البشرية، طالبين من أنبيائهم أن يأتوا بهم معهم حين الدعوة ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلًا﴾[3].

وقد صور بعض أتباع الأديان العلاقة بين الملائكة والإنسان على أساس من الصراع والشقاق، ويكفي الفكر اليهودي في هذا المجال وأثره، فالصراع بين "يعقوب" وملاك الرب في فنوئيل قد تم، وغلب "يعقوب" ملاك الرب طول الليل، فلما خشي ظهور النهار وإبصار الناس له، قال لـ "يعقوب" دعني، لا يدعى اسمك من الآن يعقوب بل أنت إسرائيل... الخ.

---

[1] هود : ٥٤، ٥٥، ٥٦.

[2] يونس : ٧١.

[3] الإسراء : ٩٢.

كما تنص التوراة المزعومة على أن "إبراهيم" -عليه السلام- قد مر به ثلاثة من الملائكة في صورة رجال، فقدم لهم طعامًا وشرابًا فأكلوا وشربوا، وفعل مثل ذلك "لوط" -عليه السلام-.

وبعض الثقافات ترفض ذلك النوع من الخلق وهي التي لا تؤمن بغير المحسوس من أصحاب التيارات المادية.

ولذلك كان للقرآن كبير الأثر، عندما حدثنا عن الملائكة بصيغة العموم وبصيغة الخصوص، وكون لدى المسلم ثقافة صحيحة في هذا الصدد، فقد أبطل الوهية الملائكة ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾[١].

وبين أنهم خلق كسائر الخلق، إلا أنهم أسبق في الوجود من الإنسان، وبين موقفهم من خلق الإنسان، وأوجب الإيمان بهم في حدود ما ورد بحقهم في النص القرآني، ومن صفاتهم أنهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[٢]. ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[٣]. ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾[٤]. وذكر من وظائفهم حفظ بعض حواس الإنسان ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾[٥]. أي بأمر الله، ومنهم الكتبة لأفعال العباد ﴿وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين *

---

[١] سبأ : ٤٠.

[٢] التحريم : ٦.

[٣] الأنبياء : ٢٠.

[٤] الأعراف : ٢٠٦.

[٥] الرعد : ١١.

يعلمون ما تفعلون﴾[1] . ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[2] .

كما ذكر بعضهم باسمه العلم وأثنى عليه في كتابه، فذكر "جبريل" -عليه السلام- ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك﴾[3] . ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾[4] . ﴿علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى﴾[5] ونص على ميكائيل ومالك، وأشار إلى حملة العرش، والملائكة الموكلين بنصرة المسلمين، وترحم الملائكة على الرسول وأمته، واستغفارهم للصالحين، ودعائهم لهم بالمغفرة ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾[6] .

بهذه المفاهيم نفى الإسلام الصراع بين الإنسان والملائكة وأبطل ألوهيتهم وأقام العلاقة على أساس من التراحم بين الصالحين والملائكة، وكم أكثرت السنة من النص على العلاقة بين الإنسان المسلم الملتزم والملائكة، وبخاصة طلاب العلم، وأهل الذكر وعمار المساجد، وواصلي الرحم، والمتحابون في الله.. الخ. وحسبنا أن الملائكة من الأمور الغيبية، التي لا تخضع للظن أو الاجتهاد والتخمين، ولا سبيل للعلم بأمر غيبي بصورة صحيحة إلا من طريق الوحي الصحيح.

وأما الإيمان بالكتب السابقة فهو من أركان الاعتقاد في الإسلام، وقد

---

(1) الانفطار : ١٠، ١١، ١٢.

(2) ق : ١٨.

(3) الشعراء : ١٩٣، ١٩٤.

(4) النحل : ١٠٢.

(5) النجم : ٥، ٦، ٧.

(6) غافر : ٧.

ذكر القرآن بعض هذه الكتب باسمها العلم، قال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾[1] . ﴿وآتينا داود زبورًا﴾[2] . ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقًا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور﴾[3] . ونسب إلى إبراهيم وموسى صحفًا، وذلك فى قول الحق سبحانه ﴿أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى﴾[4] . ﴿إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾[5] .

وأشار إلى بعض ما ورد فى صحف موسى، كاسم الرسول وصفته وصفة أمته وخصائص دعوته، بمثل ما ورد فى سورة الأعراف والفتح والبقرة والأنعام. والإسلام جعل القرآن مهيمنًا على الكتب السابقة، فهو الميزان الذى يوزن به ما ورد فى تلك الكتب، فما طابق القرآن أو وافقه، قلنا : بقية من حق، وما خالف القرآن إن كان فى مجال العقيدة أو الأخلاق قلنا محرفًا، لأنهما من الثوابت التى لا يجرى فيهما تغيير ولا تبديل، وإن كان من الشريعة، فهو داخل فى المختلف فيه، فمن قال بتطور التشريع أخرجه عن دائرة الحكم، ومن لم ير تطورًا فى التشريع فقد أجرى عليه ما يجرى على العقيدة والأخلاق من حكم.

كما أعطى القرآن إشـــارات عامة تتعلق بالكتابين السابقين (التوراة -

---

[1] آل عمران : ٢، ٣.

[2] النساء : ١٦٣.

[3] المائدة : ٤٦.

[4] النجم : ٣٦، ٣٧.

[5] الأعلى : ١٨، ١٩.

الإنجيل) فلفت النظر إلى قضية السند وقضية المتن، وأصدر بعض الأحكام بحق علماء الدين اليهودى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾[1] . ﴿يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾[2] . ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[3] .

ولهذا صار المسلم مطالبًا بالإيمان بهذه الكتب فى جملتها لا فى محتواها، وحسبنا قول الرسول ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم، وقد نهى ﷺ عمر الفاروق أن يظهر عجبه بقصة كان يقرؤها فى التوراة، قائلاً له : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى بن عمران حيًا ما وسعه إلا اتباعى[4] .

وقد أشار القرآن إلى وحى أوحى به إلى الرسل السابقين، وإن لم يسمه باسمه العلم، فتأكد لنا نزول وحى على هؤلاء، وإن لم نعلم اسم الموحى به -فى غير ما سبق- قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[5] .

---

[1] النساء : ٤٦.

[2] البقرة : ٧٥.

[3] البقرة : ٧٩.

[4] الحديث أحمد ٣، ٣٨٧

[5] البقرة : ١٣٦.

وأما الإيمان بالرسل فالعلم به من طريق القرآن قد توفر، ممن شاء الله لنا العلم بهم، فلقد حدثنا القرآن عمن اصطفاهم الله للنبوة والرسالة، وجمع لنا منهم ثمانية عشر رسولاً، فى قوله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾[1].

ويبقى سبعة لم يرد لهم ذكر فى النص وهم: آدم - إدريس - ذو الكفل - هود - صالح - شعيب - محمد، عليهم السلام.

وبذلك توفر لكل مسلم علم ببعض الأنبياء السابقين، وبأممهم، وبدعوتهم وموقف المدعوين من دعوتهم، وبنسب بعضهم ومصيره فى الخروج من الدنيا.

وقد ألزم الإسلام المسلمين، باحترام كل الأنبياء والرسل، وبالثناء عليهم وعدم التفرقة فى الإيمان بهم، والتسليم بأن التفاضل بينهم لا يكون إلا بالنص، وهذه خصوصية لا يشارك المسلمين فيها أحد سواهم، فاليهود ينكرون نبوة عيسى ومحمد، والنصارى ينكرون نبوة محمد ومن قال بنبوته خصه بالعرب فقط. ولذلك أمر المسلمون أن يعلنوها صريحة ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾[2].

---

(١) الأنعام: ٨٣ : ٨٧.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

وتجدر الإشارة إلى أن القرآن قد ذكر من الرسل رسولين لم يرد لهما ولا لأمتيهما ولا لدعوتيهما ذكر فى الكتاب المقدس، وهما هود، صالح، مما يدل على عدم التأثر أو النقل كما يزعم أهل الكتاب.

كما صحح المفاهيم تجاه موسى -عليه السلام- وذكر من أمر عيسى ما لم يرد له ذكر فى العهد الجديد، كالحديث عن أمه ونشأتها ومنزلتها ومكانتها، والبشارة بصورة تختلف عنها فى العهد الجديد ، وصفات المبشر به فى الدنيا والآخرة، وقصة الميلاد وما صاحبها من خرق للعادة، وحديث المسيح فى المهد، والمنطوق به وطبيعة دعوته، ونهايته المحمودة فى الدين الإسلامى، وإبطال مزاعم اليهود بحقه وحق أمه، مع استخدام الأقيسة العقلية فى كثير من مواطن الحديث عنه باعتباره خارقًا للعادة فى المنشأ لا المنتهى.

وأما اليوم الآخر فقد اضطرب الفكر الإنسانى فيه، فمن البشر من أنكر ذلك ولا يزال ينكره حتى الآن، ومنهم من آمن به وتصوره كما تراءى له، عن طريق التناسخ، أو ركوب المطايا إلى أرض المحشر كما يعتقد العرب، أو وضع بعض الأطعمة والأشربة بجوار المتوفى، حتى يجد ما يأكله عند المبعث.

لقد صحح الإسلام للمفاهيم، وتحدث القرآن عن البعث بعد الموت، وعن الحشر والنشر والحساب والصراط والجنة والنار.. الخ، كما أخبر عن حال الصالحين وحال الطالحين وأصحاب الأعراف، وذكر الكثير من طعام أهل الجنة ونعيمهم، كما ذكر صورًا من عذاب أهل النار وعقابهم.

ولم يجعل كلا منهما -الجنة والنار- إرثًا لأمة أو جماعة أو أتباع دين معين وصرح بأن الأمانى بلا عمل لا تسمن ولا تغنى من جوع، وأن العمل الصالح بمفهومه الواسع هو من موجبات الجنة، وأن العمل الطالح من مكسبات الجحيم - وبذلك حسمت نصوص القرآن والسنة الأمر فى الآخرة، وإن خاض العقل الإسلامى فى تلك الأمور خوضًا، كان من ثمرته وجود الغث والسمين،

ولا يزال المشتغلون بالدراسات الدينية يبذلون كل جهد ممكن فى تنقية ذلك من بعضه.

الجانب الثانى فى مجال الشريعة فى ضوء نصوص القرآن

كان للنص القرآنى كبير الأثر فى تحصيل كل فرد مسلم قدرًا من المعرفة فى مجال الشريعة، وسوف نتناول مفرداتها باختصار لإقامة الدليل على توفر تلك المعرفة لدى كل مسلم وذلك على النحو التالى :

أولاً : فى مجال العبادات :

ما من مسلم إلا وهو يعلم اسم الصلوات المفروضة وعدد ركعاتها ومواقيتها وكيفية آدائها، كما يعلم ما يصلحها أو تصلح به وما تبطل به ويفاوت بين صلاة السنة والفرض والجمعة والجماعة والأعياد... الخ.

ويمتاز الإسلام عن غيره من المعتقدات الأخرى بأن العبادات فيه مشروعة بشرع إلهى، على لسان رسوله، وليس باجتهاد أحبار ولا وضع حواريين ورهبان، ولا تخضع للزيادة والنقصان بالهوى، بل الشرع ضابط لذلك كله..

وفى الصوم، توفر العلم بالدليل لدى كل مسلم، متدينًا كان أو غير متدين، فما أظن مسلمًا يجهل قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾[1]. وقد توفر العلم بالكم (شهر رمضان) والكيف ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ كما توفر العلم بالأركان والمفطرات، ومتى يجب الأداء ومتى يجب الترك ومتى يجوز، والتفرقة بين صوم الفرض والنافلة والصوم الحرام

---

[1] البقرة : ١٨٣.

(العيدين وأيام التشريق الثلاثة). والصوم الحلال.

وأما الزكاة فكل مسلم عنده قدر من الثقافة فيها، وبخاصة إذا قام به ما يوجب إخراج الزكاة، ولذلك نجد العلم بصدقة الفطر متوفرًا لدى جمهور المسلمين، باعتبارها واجبة على كل مسلم توفر عنده قوت يوم العيد وليلته.

وأما زكاة الزروع والثمار وعروض التجارة والنقدين، فعند كثيرين بعض المعرفة بأحكامها، ويتوفر العلم بذلك إذا قوى الالتزام الدينى، وتوفر النصاب الشرعى بشروطه.

وأما الحج. فالعلم بأركانه لكثيرين متوفر، كذلك العلم بفرضيته، والعلم بأماكن أداء الشعائر، وأما دقائق الأحكام فهى خاصة بأهل الاختصاص، وكل مسلم منذ النشأة الأولى يحفظ هذا الحديث «**بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**»[1].

ثانيًا : فى مجال المعاملات :

فرض الإسلام قدرًا من المعرفة على كل مسلم، علم بذلك من علم وجهل من جهل، فالتجارة حلال والربا حرام ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[2].

ومثل ذلك العلم بحل السلم والسلف والرهن والإجارة والمزارعة والشركة والقراض والمضاربة والوكالة.. وإن كان العلم بتفاصيل الأحكام فيها خاص بأهل الشرع.

ثالثًا : فى مجال الأنكحة :

كان للقرآن كبير الأثر فى علم كل مسلم بمن يحل له، ومن يحرم عليه،

---

[1] الحديث الشيخان.

[2] البقرة : ٢٧٥.

فى ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقد يعجز الفرد المسلم عن ذكر المحرمات مجموعًا كما فى النص، ولكنه لا يعجز عن الإجابة بكلمة (يجوز) أو (لا يجوز) إذا سئل عن مفردات ذلك الأمر، كما أن علمه بالنفقة والطلاق والرضاعة متوفر.

رابعًا : الحدود والجنايات :

حدد القرآن لأكثرها حدودًا، و لم يجعلها سدى، وتوفر لدى كل مسلم العلم بعقوبة القتل والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والردّة... الخ.

وبذلك فرض القرآن قدرًا من الثقافة على كل مسلم، لا يصح الإيمان به، ولا تصح العبادات بدونه، وهو أمر قام بالمسلمين دون سواهم من حيث الكم والكيف.

الجانب الثالث:أخلاق المسلم فى ضوء القرآن الكريم:

الأخلاق معيارها نسبى، منها الفطرى، ومنها المكتسب، والبشرية قبل الإسلام ومعه وبعده تعرف بعض الأخلاق بالفطرة، وتكتسب البعض الآخر من البيئة وقد حرص الإسلام على أن يحسن الحسن ويقبح القبيح، ويصحح المفاهيم فى بعض الجوانب الخلقية.

فالكرم كان خلقًا محمودًا عند العرب، إلى حد السرف أو الاستدانة، وأحيانًا يذبح العربى الجمل ليطعم منه فردًا واحدًا، لا حسبة ولا ديانة ولكن رياءً وسمعة، كما فهمت الشجاعة على غير وجهها، فالرجل يخرج لقطع الطريق على جماعة من المارة وقد وصلت إلى حد من التهور فى ميدان القتال فلا قواعد ولا ضوابط إلا الإكثار من إزهاق الأرواح...

فإذا بالإسلام يدعو إلى التحلى بالأخلاق الفاضلة، ويجمعها الحق أو يجمع أصولها فى قول الله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى

ويَنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾[1].

وأصبح لدى المسلمين جميعًا إيمان بأن الأخلاق ثلث الدعوة الإسلامية، كما أنها قيد فى الشريعة عند التعامل، فالصدق والأمانة والصراحة والإخلاص والتسامح.. الخ كل ذلك محمود ومفروض، والغش والخداع والنفاق والكذب كل ذلك مرفوض.

والتكاليف الشرعية من أهدافها السمو الخلقى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[2]. ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[3]. ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[4]. ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾[5].

كما وضع الإسلام قواعد وضوابط للأخلاق التى تعارف عليها العرب ومن سواهم، بما يجعله دين الأخلاق.

---

(1) النحل : ٩٠.

(2) العنكبوت : ٤٥.

(3) التوبة : ١٠٣.

(4) البقرة : ١٨٣.

(5) البقرة : ١٩٧.

أثر القرآن في الثقافة الإسلامية (بالنسبة للأمة)

لم ينل كتاب على ظهر الأرض من البحث والدراسة، القدر الذى ناله القرآن الكريم، و لم يثمر كتاب من العلوم والمعارف، مثلما أثمر القرآن، وما اشتغل المحبون لكتاب والمبغضون له بمثل اشتغالهم بمثله.

لقد درست حروفه وكلماته وآياته وسوره، وتم الاشتغال بمبناه ومعناه، وأثمر من العلوم والمعارف ما لا حدّ له ولا عدّ، و لم تقف آثاره عند حد المسلمين بل انتفع بها غير المسلمين، ويمكن القول : إن القرآن هو مصدر ثقافة المسلمين الأول وإن التراث الإسلامى فى أصله يرجع إلى النص القرآنى، وإن العلوم والمعارف التى نشأت على سبيل الابتداء متعددة، نذكر منها على سبيل التذكرة من ناحية، وحتى تكون مفاتيح المعرفة من ناحية ثانية فى يد طلاب العلم وهواة البحث، هذه العلوم.

أولاً : علم التفسير :

وقد اتخذ صورًا شتى تبعًا لثقافة المفسر وميوله، نذكر من ألوانه ما يلى

١- التفسير بالمأثور :

ويراد به بيان معنى النص القرآنى فى ضوء نصوص القرآن الأخرى وفى ضوء السنة وآراء الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، وقد تأثر أصحاب هذا الاتجاه بنهج الرسول ﷺ والذى كان يفسر بعض آيات القرآن بآيات أخرى، بمثل ما نعلم أمر الحرج الذى أصاب المسلمين، بعد نزول قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[1]. فشق ذلك على

---

[1] الأنعام : ٨٢.

وقالوا : وأينا لا يظلم نفسه، فقال لهم ﷺ :أما قرأتم قوله تعالى «إن الشرك لظلم عظيم»[1] .

كما ضم التفسير بالمأثور كثيرًا من الأحاديث والآثار المنسوبة إلى الرسول ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، ومن أشهر الكتب التى ألفت فى هذا اللون من التفسير :

- جامع البيان فى تفسير القرآن. ابن جرير الطبرى
- تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير
- زاد المسير فى علم التفسير ابن الجوزى
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطى

وهذا اللون من التفسير، يكشف النقاب عن الثقافة التى كانت تسود عصر الصحابة والتابعين، ويؤثر فى التواصل الثقافى الإسلامى، فلا يزال العلمء والمشتغلون بالدراسات الدينية يرجعون إلى تلك الكتب وينقلون منها وينسبون إليها... ولا ننكر الأثر الإيجابى لهذا اللون من التفسير، إلا أننا نرى آثار سلبية فى نفس الوقت له، لا يعيها كثيرون من المشتغلين بالدراسات الدينية، وذلك كنقل الرواية من تلك الكتب على أنها حقيقة مسلمة، ونقل الأحاديث على أنها صحيحة، مع أنها قد تكون ضعيفة أو موضوعة، ونقل الآراء المتعلقة بالكونيات على أنها حقائق ، ورد ما عداها من ناتج البحث العلمى التجريبى، وحيلوتها دون انطلاق العقل فى فقه النص فقهًا معاصرًا، خوفًا من مصادمة التراث كما أنها احتوت الكثير من العجائب والغرائب وهو ما يعرف بالإسرائيليات فى الفكر الإسلامى، وقد أثر ذلك اللون من الثقافة فى الفكر الإسلامى وكان له كبير الأثر فى الخرافات والخزعبلات لدى بعض العقول،

---

[1] لقمان : ١٣.

وبخاصة ما يتعلق ببعض القصص، كخلق الأرض وآدم وحواء وقصص الأنبياء..

٢ـ التفسير اللغوي :

وهو من الألوان التي لاقت اهتمامًا بالغًا لدى علماء اللغة العربية بخاصة، وقد ألفت فيه كتب شتى، تنوعت بتنوع محتواها، ويمكن ذكر نماذج منها، لها كبير الأثر في المعرفة اللغوية منها :

أـ كتب إعراب القرآن :

وقد تفاوتت بين القبض والبسط، فمن العلماء من أعرب بعض السور ومنهم من أعرب بعض الجمل، ومنهم من ركز على مواطن الخلاف، ومنهم من أعرب القرآن كله نذكر من هذه الكتب.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
- إملاء ما من به الرحمن العكبري
- معاني القرآن الفراء
- معاني القرآن للأخفش
- معاني القرآن وإعرابه الزجاج
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس
- إعراب القرآن وبيانه محيي الدين الدرويش،لينا الحمصي
- البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات بن الأنباري
- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل بهجت عبد الواحد

وقد شارك كثير من المفسرين أصحاب هذا اللون في اتجاهاتهم، فالزمخشري في الكشاف وأبو حيان التوحيدي في البحر المحيط والنسفي في تفسيره والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن والألوسي في روح المعاني والطبري في مجمع البيان، كل هؤلاء وغيرهم قد أفردوا أبوابًا للغويات في تفسيرهم.

وهذا اللون من التفسير أقرب إلى علمي النحو والصرف منه إلى علم التفسير.

ب- كتب إعجاز القرآن :

وهو لون من التفسير عنى أهله فيه بالصور الجمالية فى النص القرآنـى، وركزوا على إبراز الحقيقة والمجاز والاستعارات والكنايـات، وأنـواع التشـبيهات والمحسنات البديعية.. الخ ومن هذه الكتب

- متشابه القرآن — للقاضى عبد الجبار
- معترك الأقران فى إعجاز القرآن — السيوطى
- الإعجاز فى دراسات السابقين — د / عبد الكريم الخطيب
- إعجاز القرآن — الرافعى
- إعجاز القرآن — للباقلانى
- مجاز القرآن — ابو عبيدة معمر بن المثنى
- التفسير البيانى للقرآن — د/ عائشة عبد الرحمن

جـ- كتب غريب القرآن :

وهو لون من التأليف عنى أهله بتنـاول بعض المفـردات وبيانهـا، وقـد ألف فى هذا اللون كل من:

- الأصفهانى فى كتابه المفردات فى غريب القرآن
- مكى بن أبى طالب القيسى — العمدة فى غريب القرآن
- مجاهد فى تفسيره — تفسير مجاهد
- مسلم بن قتيبة — تفسير غريب القرآن
- أبو حيان التوحيدى — تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب

د- كتب التفسير الأدبى

والتى لم يذهب مؤلفوها مذهب التفسير النحوى أو البلاغي بل ركـ..

على صيغ الخطاب الأدبي، وضمنوا تفسيرهم الكثير من التراث الأدبي العربي، ومن هؤلاء المفسرين

القاسمي في كتابه	محاسن التأويل
سيد قطب في كتابه	في ظلال القرآن

٣ ـ التفسير الفقهي :

وقد نتج عن رغبة بعض الفقهاء في بيان الحكم الشرعي المستنبط من النص القرآني، و لم تبلغ المؤلفات في هذا اللون حدا في الكثرة، ولكنها تنوعت بحسب المذاهب، ومن هذه الكتب :

ـ أحكام القرآن	المنسوب إلى الشافعي	(شافعي)
ـ أحكام القرآن	للكيا الهراس	(شافعي)
ـ أحكام القرآن	للجصاص	(حنفي)
ـ أحكام القرآن	ابن العربي	(المالكي)
ـ الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	(مالكي)
ـ كنز العرفان في فقه القرآن	مقداد السيوري	(شيعي اثني عشر)
ـ الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة	يوسف الثلائي	زيدي

وهذه الكتب لا تغني عن الكتب الأم في مذاهبها، كما أنها بحاجة إلى تنقيح وتمحيص ودراسة تحليلية.

٤ ـ التفسير المذهبي :

وهو من التفسيرات القديمة زمنيًا، لأنه ارتبط بالمذهبيات منذ نشأتها، ومن هذه التفاسير وأشهرها ما كتبه بعض العلماء على أساس من المذهبية العقدية (سني، معتزلي) أو المذهبية الشيعية أو الفرق المارقة على الإسلام، ومن هذه التفسيرات ما يلي :

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل	الزمخشرى
- مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار	للكازرانى
- تفسير الحسن العسكرى	
- مجمع البيان فى تفسير القرآن	الطبرسى
- الصافى فى تفسير القرآن الكريم	لملا محسن الكاشانى
-- تفسير القرآن	السيد عبد الله العلوى
- بيان السعادة فى مقامات العبادة	سلطان محمد الخراسانى
- فتح البيان فى مقاصد القرآن	صديق حسن خان
-فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن على الشوكانى

٥ ـ التفسير الصوفى :

وهو نتاج عقل إسلامى رأى أهله، أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الذين كتبوا -فيما عداهم- كتبوا حول الظاهر، وأن علم الباطن خاص بهؤلاء، ولذلك ادعوا علمهم بهذا الباطن، وتجاوز واحد الاعتدال فى هذا الجانب، وإن لم يخل ما كتبوا من لمسات روحية طيبة، ولست بصدد تقويم هذه الكتب، وإنما الهدف بيان ما أثمر العقل الإسلامى فى لون من ألوان المعرفة الإسلامية، من أثر النص القرآنى، ومن أشهر هذه الكتب :

- تفسير القرآن العظيم	للتسترى
- حقائق التفسير	للسلمى
- عرائس البيان فى حقائق القرآن	لأبى محمد الشيرازى
- التأويلات النجمية	لنجم الدين داية
- تفسير القرآن الكريم	الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى
- لطائف الإشارات	للإمام القشيرى

٦ - التفسير الموضوعي :

وهو من الألوان الحديثة في التفسير، وقد بدأ على يد ابن القيم فى كتابه (التبيان فى أقسام القرآن)، ثم فتر الحديث فيه فترة من الزمن، ليعود من جديد فى القرن العشرين، على يد علماء عالجوا موضوعًا واحدًا من الموضوعات التى اشتمل عليها القرآن الكريم، ومن هذه الكتب الآن.

- المرأة فى القرآن — عباس العقاد
- الصبر فى القرآن — د. يوسف القرضاوى
- دستور الأخلاق فى القرآن — د. محمد عبد الله دراز

٧ - التفسير الاجتماعي :

عنى أهله بالآيات الإنسانية والاجتماعية، وربطوا بينها وبين الواقع المعاصر، ورأوا أن الاشتغال بالإعراب والإعجاز... الخ ليس مراد الحق من القرآن، وإنما القرآن للهداية الدنيوية والأخروية، فحاولوا ذلك فى تفسيراتهم، ومن هؤلاء :

- تفسير المنار — للإمام محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا
- التفسير الواضح — د. محمد محمود حجازى
- تفسير المراغى — الإمام الشيخ المراغى

٨ - التفسير بالرأي :

وهو لون من التفسير يتسم بسمة السعة، وإعمال العقل فى النص، وعدم الوقوف عند اتجاه معين، وإنما يحرص مؤلفه على جمع كافة الألوان فيه مع إعمال عقله فى كل نص، وهو لون قديم جديد، وقد أثمر موسوعات تفسيرية من هذه التفاسير :

- المحرر الوجيز — لابن عطية الأندلسى

- مفاتيح الغيب — فخر الدين الرازى
- روح المعانى — العلامة الألوسى
- التحرير والتنوير — الطاهر بن عاشور

٩- التفسير العلمى :

ويحرص أهله على تفسير الآيات الكونية والإنسانية فى ضوء معطيات العلم الحديث، وقد رأى أهل هذا اللون، أن القرآن معجز فى عصرنا كما كان معجزًا فى عصر من سبقنا، فإعجازه لا يعرف حدًا معينًا، وإذا كان اللغويون قد ابانوا عن جوانب إعجاز القرآن، فإن تخصصهم -كتجريبيين- دفعهم إلى تفسير بعض الآيات فى ضوء المعطيات العلمية الحديثة، وأحيانًا ينقل المشتغلون بالدراسات الدينية عن المشتغلين بالدراسات العلمية بحوثهم التى يرونها خادمة لنص ما، وقد اسهب بعضهم فى الكتابة فيه وقد رد البعض هذا اللون وأبى قبوله، بينما توسط آخرون، ووضعوا له قواعد وضوابط، ومن أشهر الكتب التى ألفت فى هذا اللون :

- جواهر القرآن — للإمام الغزالى
- تفسير الجواهر — الشيخ طنطاوى جوهرى
- كشف الأسرار النورانية — محمد بن أحمد الإسكندرانى
- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد — عبد الرحمن الكواكبى
- الإسلام والطب الحديث — د. عبد العزيز إسماعيل
- التفسير العلمى للآيات الكونية — د. حنفى أحمد
- قصة الإيمان — الشيخ نديم الجسر
- الإسلام فى عصر العلم — د. أحمد الغمراوى
- الله والكون — د. محمد جمال الدين الفندى
- تفسير الآيات الكونية — د. عبد الله شحاتة

وهناك مئات البحوث التى قدمت للمؤتمرات العلمية التى انعقدت حول الإعجاز العلمى فى القرآن، كما أنشئت بعض الهيئات لهذا الأمر خاصة.

تنبيه وتنويه :

هذه التقسيمات هى من عمل المتأخرين، ولا تعنى التقسيمات انتفاء التداخل، وإنما الوصف راجع للسمة الغالبة، على كل تفسير، وقد وصل عدد المجلدات فى بعض التفاسير إلى عشرين وثلاثين مجلدًا، وما سمعنا عنه و لم يصل أيدينا حتى الآن يعدل ما وصلنا أو يزيد، فمنه المخطوط فى بلاد الشرق وبلاد الغرب، ومنه ما احترق في بلاد الأندلس، ومنه ما جعل سدودًا في بلاد العراق فى نهر دجلة والفرات...

وليس ما ورد هو كل ما طبع فى المكتبات الإسلامية، وإنما اخترت نماذج ليكون الدارس على علم بأشهر كتب التفسير التى لم تنتج إلا من بركة النص القرآنى، وهى ميزة لم تتوفر لأى أمة غير الأمة الإسلامية، وحسبنا أن كتب أهل الكتاب التي ألفت حول النص المقدس لتفسيره. لم يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة في التفسير.

ثانيًا : علوم ومعارف أخرى نتجت عن النص القرآنى :

ليست التفاسير هى الناتج الوحيد عن النص القرآنى، وإنما ظهرت مسميات لعلوم تبلغ حدًا فى الكثرة، منها ما هو خادم للنص القرآنى، ومنها ما هو ناتج عن النص القرآنى مؤثر فى الثقافة الإسلامية، ومن هذه العلوم ما يلى :

(أ) علوم القرآن :

وهى مؤلفات اهتم أصحابها ببيان تاريخ النص القرآنى نزولاً وإملاءً جمعًا ونسخًا ونشرًا، وحكمة التنزيل منجمًا، مع تناول كافة ما اعترى النص من

نقط وشكل وترقيم وتقديم للسورة بالبيان فى بعض المصاحف من حيث كونها مكية أو مدنية، وعدد آياتها وترتيب السورة فى النزول، ومن هذه الكتب :

- مقدمة التفسير	الراغب الأصفهانى
- مقدمة فى أصول التفسير	ابن تيمية
- الإتقان	السيوطى
- البرهان	الزركشى
- الفوز الكبير فى أصول التفسير	الدهلوى
- مبادىء التفسير	محمد الخضرى
- التفصيل فى الفرق بين التفسير والتأويل	حامد العمادى
- مذاهب التفسير الإسلامى	جولد تسيهر
- مناهل العرفان	الزرقانى
- الفرقان	ابن الخطيب

(ب) كتب القراءات :

وهى تعنى بضبط القراءات وتوجيهها ونسبتها إلى مصادرها ومنها المستقل بهذا الفن ومن هذه القراءات ما هو وارد فى بعض كتب التفسير. ومن هذه الكتب :

- كتاب السبعة فى القراءات	لأبى مجاهد
- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر	أحمد بن محمد البنا
- كتاب المصاحف	أبو داود السجستانى
- المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة	د. محمد سالم محيسن
- الاختلاف بين القراءات	أحمد البيلى
- القراءات السبع وعللها وحججها	مكى القيسى

جـ- قصص القرآن :

وكتب هذه الاتجاه تبلغ حدًا فى الكثرة، لأن القرآن قد ضمن الكثير من قصص الإنسان والحيوان، وأتت الكتب تحت مسميات شتى وعناوين مختلفة، ومن هذه الكتب :

- قصص الأنبياء	الحافظ ابن كثير
- قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس	الثعلبى
- فى موكب النبيين	سيد أحمد كيلانى
- قصص الأنبياء	الشيخ عبد الوهاب النجار
- قصص القرآن	محمد أحمد جاد المولى
- مع الأنبياء فى القرآن	عفيف طبارة
- قصص الأنبياء	عبد الحميد السحار
- اليهود فى القرآن	عفيف - طبارة

كما كتب فى دعوة الرسل كثيرون ومنهم :

- دعوة الرسل	الشيخ محمد أحمد العدوى
- دعوة الرسل	أ.د محمد الشتيوى
- من نبأ المرسلين	أ.د حسن عيسى
- دعوة الرسل	أ.د بكر زكى عوض
- دعوة الرسل	د. جمعه الخولى

د- علم أسباب النزول :

وهو ناتج عن اهتمام المسلمين الأول بالوقوف على أحوال كل آية، من حيث مبناها ومعناها، ووقت نزولها وسبب نزولها وقد وردت أسباب النزول فى ثنايا كتب التفسير، كما ألف فى هذا العلم على سبيل الاستقلال، ومن هذه الكتب :

- أسباب النزول   الواحدى النيسابورى

- أسباب النزول   السيوطى

هـ- فنون وعلوم أخرى :

مثل كتب الناسخ والمنسوخ والدفاع عن القرآن واتجاهات التفسير ومذاهبه ومدارسه، واتجاهات التجديد فى التفسير، ونقد متن القرآن من قبل المستشرقين، ورد علماء المسلمين عليهم، والمقارنة بين القرآن وغيره من الكتب المنسوبة إلى الوحى... الخ.

ثالثًا : أثر القرآن فى علوم اللغة العربية

جمهرة النحاة واللغويين على أن النحو قد دونت قواعده وألفت مراجعه بباعث من خدمة النص القرآنى، كما اعتمد مد ونوه على النص القرآنى فى ترجيح لغة على أخرى، ولهجة على أختها، وكم أثرى النص القرآنى البحوث والدراسات اللغوية عبر التاريخ..

وليس ذكر الكتب التى ألفت فى علوم اللغة هو الهدف الآن، ولكن ينبغى الإشارة إلى أنه لا توجد كلمة ولا آية -ولا سورة من باب أولى- بلا دراسات نحوية بلاغية، وما يزال المشتغلون بالدراسات اللغوية حتى الآن يحصلون على درجات الماجستير والدكتوراه فى حرف من اللغة أو ظرف من الظروف أو أداة من الأدوات، أو سورة من السور، وأحيانًا تقوم الدراسة على المقارنات بين التفاسير.. الخ.

كما يقوم المتخصصون فى الدراسات البلاغة بدراسة بلاغة القرآن والصور الجمالية فى النص القرآنى والصور البيانية، ويستنبطون من نصوصه الشىء الكثير.

وفى النهاية نقول :

إن القرآن بحر زاخر بالعلوم والمعارف، وإن استنباط هذه العلوم مرتبط

ببذل الجهد واستفراغ الوسع، حتى يمكن تحصيل الكثير من لآلئه، وكما أن عطاء البحار والمحيطات لا ينضب بل يزداد بازدياد الكشوف العلمية، كذلك عطاء القرآن، لا يتوقف عند حد، ولن يتوقف إلا إذا عجز العقل الإنسانى عن التفكير.

لقد أدهش نصه الشرق والغرب، وعجب كثيرون من غير المسلمين من محتواه، واستنبطوا منه الكثير من المعانى، ولهم أقوال مشهورة فى الثناء عليه، كقول أحدهم : إن الله جمع الطب كله للمسلمين فى نصف آية ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وذهول أحدهم عندما تلى الآية الكريمة ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾[1]. فقال ما أنبأ محمد بهذا غير الله.. الخ.

إن أثر القرآن فى الثقافة الإسلامية واضح، وله أثره فى الثقافة العالمية، وإن كان محدودًا، فلقد أسست مدارس وأنشأت معاهد، وعقدت مؤتمرات وقدمت أبحاث فى بلاد الغرب، كلها تهدف إلى دراسة القرآن خاصة والإسلام عامة، وكانت نتيجة البحوث كما نعلم : المادح، القادح، المضطرب الذى لا يعرف الاستقرار فى الرأى... الخ وهكذا ضوء الشمس بالنسبة للناظرين.

المصدر الثانى للثقافة الإسلامية :ذات رسول الله ﷺ

جرت سنة الباحثين من الزملاء، على أن يجعلوا السنة النبوية المطهرة المصدر الثانى للثقافة الإسلامية، ولكنى أرى العنوان المختار ألصق بالثقافة من

---

[1] فاطر : ٢٧، ٢٨.

المتعارف عليه، وأن السنة كمصدر للنظم ألصق بها من شخصيته ﷺ لأن ما يتعلق برسول الله ﷺ من العلوم والمعارف كله خادم للثقافة، ومثر لها، وبعضه لا صلة له بالنظم وهو ما يبين فى حينه.

ويمكن تقسيم العلوم والمعارف المتعلقة بالرسول ﷺ إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول : تاريخى : ومحتواه ينقسم من حيث التناول إلى قسمين هما :

١- ما قبل النبوة.

٢- ما بعد النبوة

والقسم الأول يعنى بنسب الرسول ﷺ إلى إبراهيم، وإسماعيل وصلة العرب بإسماعيل، والحياة السياسية والإقتصادية والاجتماعية عند العرب، وركزوا على وضع قبيلة قريش بين قبائل العرب، ثم قصة زواج عبد الله من آمنة والحمل والولادة واليتم والكفالة والتجارة والسلوك والزواج والتحنث ونزول الوحى... الخ.

والقسم الثانى اعتنى أهله بالسيرة النبوية الشريفة منذ نزل الوحى عليه حتى لاقى ربه، وقسموا الكتابة من حيث الزمن إلى ما قبل الهجرة (العهد المكى) وما بعدها (العهد المدنى) وتناولوا الدعوة فى مكة والصراع بين التوحيد والوثنية والإيذاء الذى لاقاه الرسول وأصحابه، والهجرات الأولى إلى الحبشة، والإسراء والمعراج ثم البيعة الأولى والثانية من أهل المدينة، وانتقلوا إلى الهجرة الشريفة وفى العهد المدنى، كان التركيز على الحروب. فلا يلبث القارىء أن ينتقل من غزوة إلى غزوة ومن سرية إلى أخرى، وقد غاب عنهم تناول التشريعات والأخلاق بشىء من التفصيل، والكتب التى ألفت فى السيرة أكثر من أن تحصر، ونذكر من أهمها :

- السيرة النبوية	ابن هشام الأنصارى
- السيرة الحلبية	ابن برهان الدين
- الروض الأنف	السهيلى
- مغازى الواقدى	الواقدى
- حدائق الأنوار	ابن الديبع الشيبانى
- السيل الجرار	محمد بن على الشوكانى
- الاصطفاء فى سيرة المصطفى	النبهانى
- خاتم النبيين	الشيخ محمد أبو زهرة
- سبل الهدى والرشاد	محمد يوسف الشامى
- مكاتيب الرسول	الحسيحلى
- فقه السيرة	محمد الغزالى
- فقه السيرة	سعيد البوطى
- زاد المعاد	ابن القيم
- الرحيق المختوم	للمباركفورى

هذا وقد ألفت كتب فى بعض وقائع السيرة النبوية على حدة، مثل ما كتب فى الغزوات على سبيل الاستقلال، وما كتب فى كتب الرسول وما كتب فى صلح الحديبية وحجة الوداع، كما أن المؤرخين المسلمين لم يغفلوا هذا الأمر، فلقد تناول الإمام الطبرى فى كتابه (تاريخ الأمم والملوك) وابن الأثير فى كتابه (الكامل) وابن كثير فى كتابه (البداية والنهاية) والمسعودى فى كتابه (مروج الذهب) والمقدسى فى كتابه (البدء والتاريخ) وابن خلدون فى كتابه (العبر...) السيرة النبوية فى كتبهم، وممن تناولوها بالبيان كذلك كتاب التاريخ، وشراح السنة ومفسروا القرآن وبخاصة فى الآيات التى لها صلها بشخص الرسول ﷺ وغزواته، وهو ما كان له كبير الأثر فى نماء الثقافة الإسلامية.

القسم الثاني : ما أثر عن الرسول ﷺ وهى الكتب المعروفة بكتب السنة، والفرق بينها وبين كتب السيرة، أن كتب السيرة أعم، وكتب السنة خاصة بما كان من شأنه ﷺ بعد النبوة، إلا ما ورد على لسانه ﷺ أو ما ذكره أحد أصحابه مشيرًا إلى أمر ما من الأمور قبل النبوة والرسالة.

كما أن كتاب السيرة ركزوا على الصراع بين الإسلام وخصومه فى العهد المكى، وتناسوا جوانب الأخلاق والتشريع -إلا ما عرضوه مختصرًا- وفى العهد المدنى ركزوا على الصراع بالسيف، وكأن رسول الله ﷺ ما هاجر إلا لاستخدام السيف ضد خصومه، فلا يفرغ الإنسان من قراءة معركة إلا وينتقل إلى معركة أخرى باستثناء عام الوفود وحجة الوداع كواقعتين غير حربيتين كما أن السيرة لم تحظ بما حظيت به السنة من حيث النقل والتدوين...، والكتب التى عرفت كمؤلفات فى السنة، تبلغ حدًا فى الكثرة، وقد تفاوت حالها بين جامع للصحيح فقط، وجامع للصحيح والحسن والضعيف، وبين جامع للضعيف فقط، ومنها القاصر على المتن والجامع بين المتن والشرح، والمرتب على المسانيد، والمرتب على أبواب الفقه... الخ.

ولا يخفى على مسلم منزلة صحيح البخارى وصحيح الإمام مسلم، وأما العلم بكتب السنة، كسنن أبى داود وسنن الإمام النسائى وسنن ابن ماجه وسنن الترمذى، فالعلم بهم قاصر على طلاب المعرفة، ومثل ذلك العلم بموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد وسنن الإمام البيهقى ومجمع الزوائد للهيثمى، والمستدرك للحاكم، وما كتبه الإمام السيوطى فى الجامع الكبير والجامع الصغير، وما كتبه الطبرانى فى الكبير والأوسط، فضلاً عن المسانيد كالدارمى، وأبى يعلى والبزار، وقد شرحت هذه الكتب ، أو شرح الكثير منها، حتى امتلأت المكتبة الإسلامية، بآلاف المجلدات المتعلقة بهذه الكتب، وحسبنا أن الكتاب الواحد قد

شرحه أكثر من واحد في عدد من المجلدات، قد تصل إلى اربعة عشر مجلدًا، ومن أمثلة هذه الشروح

أولاً : من شروح صحيح البخارى :

فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى

عمدة القارى للعينى

إرشاد السارى القسطلانى

شرح الكرمانى الكرمانى

ثانيًا : من شرح صحيح مسلم :

مسلم بشرح النووى

مسلم بشرح الأبى

مسلم بشرح السنوسى

فتح المنعم بشرح صحيح مسلم

ثالثًا : شروح أبى داود، ومنها :

معالم السنن للخطابى

تهذيب السنن لابن القيم

عون المعبود شرح سنن أبى داود للديانوى

بذل المجهود للسهار نفورى

المنهل العذب المورود للشيخ محمود خطاب السبكى

رابعًا : شروح سنن الترمذى :

عارضة الأحوذى لابن العربى

تحفة الأحوذى للمباركفورى

خامسًا : شروح النسائى :

سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى

حاشية الإمام السندى على شرح جلال الدين السيوطى

سادسًا : شروح الموطأ ومنها :

المنتقى لأبى وليد الباجى

تنوير الحوالك للسيوطى

"المسوّى" للدهلوى

أوجز المسالك للكاندهلوى

سابعًا : من شروح المسند :

الفتح الربانى أحمد بن عبد الرحمن البنا

تعليقات المرحوم الشيخ أحمد شاكر

ثامنًا : شرح مشكاة المصابيح المسمى "مرقاة المفاتيح" للعلامة علىّ القارىء

(مرعاة المفاتيح) للمباركفورى.

تاسعًا : الجامع الصغير ومن شروحه :

فيض القدير للعلامة المناوى

السراج المنير للعزيزى

عاشرًا : رياض الصالحين ومن شروحه

دليل الفالحين.

حادى عشر : شروح الأربعين النووية والخمسين الرجبية، وأعظم شروحها بلا شك هو شرح ابن رجب الذى سماه "جامع العلوم والحكم" فى شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم.

ثاني عشر : شروح أحاديث الأحكام مثل "الأحكام شرح عمدة الأحكام" لابن دقيق العيد، وعليه حاشية الصنعانى المسماة "العدة: ومثل "نيل الأوطار" للشوكانى و"سبل السلام" للصنعانى[1].

---

[1] ثقافة الداعية مع إضافة يسيرة، ص ٤٧.

«وثمت كتب أخرى متخصصة هدفها تجميع نوع معين من الأحاديث كأحاديث الأدعية والأذكار وما يتعلق بها في مثل كتاب "الأذكار" للإمام النووى وكتاب (الكلم الطيب) لشيخ الإسلام ابن تيمية، وأحاديث الآداب والفضائل وما يتعلق بها مثل كتاب "الأدب المفرد" للبخارى وكتاب "شعب الإيمان" للبيهقى وكتاب "رياض الصالحين" للنووي - وكتب جمعت الأحكام الأحكام الفقهية مثل "عمدة الأحكام" للحافظ القدسي، ويشمل أحاديث الصحيحين فقط، و"الإلمام" لابن دقيق العيد، و"منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار" للمجد بن تيمية، و"بلوغ المرام من أدلة الأحكام" للحافظ بن حجر[1].

ويلحق بكتب السنة كتب تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والتى اشتغل مؤلفوها بتحقيق درجة الأحاديث الواردة فى بعض كتب الفقه والنحو والأصول والتاريخ والسير والرقاق والمواعظ والتفسير والشمائل.. الخ

وفى هذا الموضوع بحث طيب للدكتور / يوسف عبد الرحمن المرعشلى، ذكر فيه اثنين وستين مؤلفًا مرتبة ترتيبًا زمنيًا[2].

القسم الثالث : كتب الشمائل والخصائص والمناقب، منها ما ورد - فى العرف- مضافًا إلى كتب السنة، ومنها ما ورد ملحقًا بكتب الأدب...

فأما الشق الأول فمنه الشفا للقاضى عياض، شمائل الرسول لابن كثير الوفا بتعريف حقوق المصطفى لابن الجوزى، دلائل النبوة لأبى نعيم دلائل النبوة للبيهقى، الخصائص للإمام السيوطى، الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزى وأما ما ورد ملحقًا بكتب الأدب، فهى الكتب التى ألفت فى مدح الرسول عن طريق الشعر أو النثر، وهى كتب تبلغ حدًا فى الكثرة منذ ظهر الإسلام وإلى

---

[1] ثقافة الداعية مع إضافات يسيرة، ص ٤٦.

[2] تخريج أحاديث شرح المواقف فى علم الكلام، ٩٥ - ١٠٣.

وقتنا هذا، كما أن هناك بعض الأعمال الأدبية التى وردت فى الدواوين والأشعار والأغانى وكلها تلعب دورًا أساسيًا فى الثقافة الإسلامية.

علوم ومعارف نشأت لخدمة السنة :

كان لسنة الرسول ﷺ كبير الأثر فى نشأة بعض العلوم والمعارف لخدمة المشتغلين بالسنة، تحقيقًا وشرحًا وقبولاً وردًا ومن هذه العلوم.

علم مصطلح الحديث :

وهو علم يعنى ببيان حال السند والمتن، ووضع القواعد التى يتفاوت الحكم على الحديث من خلالها، وتقسيم الحديث إلى مراتب وفق اعتبارات معينة، ومن أشهر الكتب فى هذا المجال :

- مقدمة ابن الصلاح
- توجيه النظر إلى أصول الأثر للجزائرى
- قواعد التحديث القاسمى
- تدريب الراوى للحافظ السخاوى
- اختصار علوم الحديث ابن كثير.

علم التراجم والسير :

وهو علم يعنى بأحوال الرواة وآراء معاصريهم فيهم والنص على درجة كثيرين منهم، ومن أشهر الكتب فى هذا الفن :

- الطبقات الكبرى لابن سعد
- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ابن عبد البر
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهانى
- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال المزى
- تهذيب التهذيب ابن حجر

- شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى
- سير أعلام النبلاء	الذهبى
- بغية الوعاة	السيوطى
- ميزان الاعتدال	الذهبى
- تاريخ بغداد	الخطيب البغدادى
- الكامل فى ضعفاء الرجال	ابن عدى
- وفيات الأعيان	ابن خلكان

ومن كتب السنة المهمة : ما يتعلق بالأحاديث الشائعة المشتهرة على ألسن الناس، وبيان من أخرجها، ودرجتها من حيث الصحة والحسن والضعف أو الوضع، مثل "المقاصد الحسنة" للسخاوى، "تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث" لابن الديبع الشيبانى، وكشف الخفا ومزيل الالباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، للعجلونى وهو أجمعها وأوفاها وهو مرتب على حروف المعجم.

ومن الكتب التى لا يستغنى عنها : كتب "الموضوعات " أى الأحاديث المختلفة المفتراه على رسول الله ﷺ مثل : الموضوعات لابن الجوزى، واللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة"للسيوطى، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطى كذلك، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن القيم و"الموضوعات الكبرى" للشيخ على القارى و"الموضوعات الصغرى" له أيضًا، وهو المسمى "المصنوع فى معرفة الموضوع" و"تنمية الشريعة المرفوعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعة" لابن عراق. و"تنزيه الشريعة المرفوعة من الأحاديث الموضوعة" للشوكانى و"الأسرار المرفوعة" للكنوى و"الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها فى الأمة" للألبانى[1] .

---

[1] ثقافة الداعية : ٦٨.

المصدر الثالث للثقافة الإسلامية :التراث الإسلامي

لم يشأ الإسلام أن يحرم العقل من فقه النص والاستنباط منه، بل إن القرآن قد أكثر من الطلب لتدبر النص، قال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾[1] . وقال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[2] . ولا يخفى على مسلم مدى دعوة الإسلام إلى التفكر والتدبر وتحريك العقل واللب والنظر والتأمل، كل ذلك لينطلق العقل من قيود الجهل وظلمة الجهالة إلى نور المعرفة..

وقد أدرك المسلمون الأولون، قيمة النظر فى الكون والنفس، فضلاً عن الأثر الطيب للنظر فى النص القرآنى، وقد نتج عن ذلك كله تراثًا زاخرًا امتلأت به المكتبات الإسلامية وغير الإسلامية، وقد غلب التراث الإسلامى الدينى النظرى على التراث الإسلامى العملى، وبدأنا نجد المكتبة الإسلامية مملوءة بعلوم وفنون لا نهاية لها، ومن هذه العلوم ما يلى :

أولاً : علم الكلام :

أو علم التوحيد أو الفقه الأكبر، وهو علم اشتغل أهله بالبحث فى الإلهيات والنبوات والسمعيات، وقد انقسم المؤلفون إلى مذاهب أو قل : إن المذهبية ظهرت أولاً والتأليف ثانيًا، ونتج عن ذلك ظهور كتابات لكل مذهب وفرقة، فضلاً عن الطعون والردود والنقول، وقد تفاوتت هذه الكتب بين قبض وبسط، نذكر من هذه الكتب :

- المغنى فى علم الكلام — القاضى عبد الجبار

---

[1] النساء : ٨٢.

[2] محمد : ٢٤.

- المواقف فى علم الكلام	عضد الدين الايجى
- شرح المقاصد	سعد الدين التفتازانى
- نهاية الأقدام فى علم الكلام	عبد الكريم الشهرستانى
- شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبى العز
- شرح السنوسية الكبرى.	

ثانيًا : علم التصوف :

وهو علم يعنى بالسمو الروحى والزهد فى الدنيا، ومؤلفاته محدودة، ولكنه كعلم قد أثر فى الحركة الثقافية، وبخاصة فى فترة الضعف والانحدار الفكرى، فتغلب الخزعبلات، وقد اتخذ التأليف فى هذا طريقين :

الطريق الأول : التأليف فيه كعلم

الطريق الثانى : التراجم المتعلقة برواد ذلك الاتجاه.

ومن الكتب التى ألفت فيه كعلم :

- عوارف المعارف	للسهرلوردى
- الرسالة القشيرية	الإمام القشيرى
- فصوص الحكم	الشيخ الأكبر ابن عربى
- التصوف الإسلامى	نيكلسون
- التصوف الثورة الروحية فى الإسلام	د/ أبو العلا عفيفى
- التصوف الإسلامى الخالص	أ/ محمد المتوفى
- التصوف	ابن تيمية
- مدارج السالكين شرح منازل السائرين	العلامة بن القيم

ومن الكتب التى ألفت فيه كتراجم :

طبقات الصوفية، والسلسلة التى أصدرها الإمام الأكبر الدكتور "عبد الحليم محمود" ومنها : "أبو الحسن الشاذلى" شيخ وطريقه، "السيد أحمد

البدوى"، "أحمد الرفاعى"، "الحارث المحاسبى"، "ذو النون المصرى"، "عبد القادر الجيلانى"، "الإمام الشعرانى"، "الفضيل بن عياض"... وقد كتب آخرون فى هؤلاء وفى غيرهم.

ثالثًا : الملل والنحل ومقارنة الأديان :

وقد ألف فى هذا العلم، فى زمن مبكر من تاريخ المسلمين، وحسبنا ما كتبه "علي بن ربن الطبرى" -القرن الثاني الهجرى- فى كتابه الدين والدولة فى إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ وتبعه كثيرون، وزاد التأليف فى الملل والنحل بعد أن تشعب المسلمون إلى فرق، وزعمت كل فرقة أنها وجدها على الحق وأن غيرها على الباطل، ودب الخلاف بين الفرق الإسلامية الكبرى، ثم انقسمت هذه الفرق على نفسها، فوجدنا للمعتزلة أكثر من فرقة، وللشيعة مثلها وأكثر، وظهرت مسميات تبلغ حدًّا فى الكثرة، كل يزعم أنه على الحق، وقد ألف فى هذا العلم كثيرون منهم : الشهرستانى فى الملل والنحل، و"ابن حزم" فى الفصل فى الملل والنحل، و"ابن طاهر البغدادى" فى الفرق بين الفرق، وإسلام بلا مذاهب د/ الشكعة، تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام "محمد أبو زهرة"، د/ مصطفى غلاب" فى كتابه الحركات الباطنية فى الإسلام، مقالات الإسلاميين "أبو الحسن الأشعرى"، "محمد كاشف الغطاء فى كتابه أصل الشيعة.

وإذا كانت الكتب السابقة موسوعية، أى جامعة لأكثر من فرقة فى وقت واحد فإن هناك مئات الكتب التى ألفت فى الفرقة الواحدة، وبخاصة ما كتبه أهل السنة بحق الشيعة فى فترة الصراع الإيراني العراقى، والصراع الشيعى السعودى، وكرد فعل على دعوى تصدير الثورة الإسلامية إلى بلاد العرب والمسلمين.

وأما كتب مقارنة الأديان والجدل الدينى، فهى أكثر من أن تحصر، وقد بدأت حركة التأليف هادئة، ثم تأججت نارها فى الأندلس، من باب الفعل وردّ

الفعل، وزاد لهيبها فى فترة الحروب الصليبية، حتى إن لسان القساوسة كان يسبق سيف المعتدين فى هذه المعارك، ومنه هذه الكتب :

- الفصل فى الملل والنحل	ابن حزم الأندلسى
- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام	القرطبى
- الفاصل بين الحق والباطل	أبو عبيدة الخزرجى
- الأجوبة الفاخرة	للإمام القرافى
- المنتخب الجليل	للمسعودى
- تخجيل من حرف الإنجيل	صالح بن حسين الجعفرى
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	لابن تيمية
- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى	ابن القيم
- الفارق بين المخلوق والخالق	عبد الرحمن الباجه جه زاده
- إظهار الحق	رحمة الله الهندى
- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب	عبد الله الترجمان
- محاضرات فى النصرانية	الشيخ أبو زهرة
- الإنجيل والصليب	عبد الأحد داود
- محمد فى الكتاب المقدس	عبد الأحد داود
- بشائر النبوة الخاتمة	المرحوم رؤوف شلبى
- البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل	د. أحمد حجازى
- البشارة بالنبى محمد فى الكتب المقدسة	عباس إدريس أحمد
- محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن	مستشار عزت الطهطاوى

رابعًا : الفقه الإسلامى :

وهو ناتج العقل الإسلامى فى ضوء النص القرآنى والحديث النبوى، والمؤلفات فيه متنوعة، فمنه ما ألف فى مذهب واحد ومنه ما ألف مقارنًا بين

المذاهب، ومنه ما ألف فى باب واحد أو موضوع واحد ومنه ما جمع سائر أبواب الفقه...

فمما ألف كفقه مذهبى نذكر من مذهب الإمام الشافعى :

- كتاب الأم	المنسوب إلى الإمام الشافعى
- مغنى المحتاج	محمد الشربينى
- المجموع شرح المهذب	للنووى
- بجيرمى على الخطيب	الشيخ سليمان البجيرمى
- المهذب	الشيرازى
- الحاوى	الإمام الماوردى

ومن مذهب الإمام مالك نذكر :

- المدونة الكبرى	أنس بن مالك
- منح الجليل شرح مختصر خليل	الشيخ عليش
- بلغة السالك لأقرب المسالك	محمد بن أحمد الصاوى

ومن مذهب الإمام أحمد نذكر :

- المغنى	لابن قدامة الحنبلى
- الذخيرة	الإمام القرافى
- المقنع	ابن قدامة المقدسى
- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف	المرداو ى

ومن مذهب الإمام أبى حنيفة نذكر :

- المبسوط	للسرخسى
- بدائع الصنائع	الكاسانى
- حاشية رد المحتار	ابن عابدين
- تبيين الحقائق	شرح الزرقانى

- شرح فتح القدير للعلامة كمال الدين

ومن مذهب الإمام ابن حزم الظاهرى نذكر :

- المحلى ابن حزم الأندلسى

وهناك كتب جمعت بين المذاهب الأربعة، على سبيل المقارنة أو على سبيل الذكر. ومن هذه الكتب :

- الفقه على المذاهب الأربعة(**) عبد الرحمن الجزيرى
- الفقه على المذاهب الأربعة لجنة من وزارة الأوقاف
- الفقه الإسلامى وأدلته وهبة الزحيلى

كما ألفت آلاف الكتب فى الموضوع الواحد، فالكتابة فى الطهارة على حدة، وكذلك الصلاة والصيام والزكاة والحج، والبيوع والحدود والجنايات، وأحكام الأسرة مفردة أو مجموعة... إلخ كل ذلك حصره غير مستطاع. ومن العلوم الخادمة للفقه والمؤثرة فيه "علم أصول الفقه" وهو علم يعنى بدارسة واستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، وقد بدأ التأليف فيه على يد محمد بن إدريس الشافعى المتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ وتبعه كثيرون بعد ذلك، وهو من خاصية العقل الإسلامى -كما يقولون- ومن أشهر الكتب الموجودة الآن : "كتاب الموافقات" للإمام الشاطبى و"المستصفى" لأبى حامد الغزالى، "الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى، "مسلم الثبوت" لمحب الله بن عبد الشكور، و"أصول الفقه" للشيخ محمد الخضرى، راجع مقدمة الشيخ الخضرى فى كتابه المذكور من ص ٣ - ١٢.

خامسًا : كتب الموسوعات :

والمكتبة الإسلامية بها الكثير من هذه الكتب، وفى كل منها قدر من المعرفة يعجز الإنسان عن الإحاطة به، ومن هذه الموسوعات :

(**) فقه السنة، سيد سابق.

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء	للقلقشندى
- نهاية الأرب فى فنون الأدب	للنويرى
- البيان والتبين	للجاحظ
- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	لمحمود شاكر الألوسى
- الأغانى	لأبى فرج الأصفهانى
- الحيوان	للجاحظ
- وحى القلم	للرافعى
- أعمال العقاد	لعباس العقاد
- دائرة المعرف الإسلامية	
- دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدى
- دائرة معارف الأعلمى	الأعلمى (شيعى)
- دائرة معارف بطرس البستانى	بطرس البستانى
- موسوعة جمال عبد الناصر	مجموع من المولفين

المصدر الرابع : التراث الإنسانى

لم تعرف الثقافة الإسلامية الانطوائية، أو الوقوف عند حد النص المقدس والاستنباط منه، بل استجابت لنصوص العموم الواردة فى القرآن الكريم، والمتعلقة بطلب المعرفة بمعناها المطلق. كما أن السنة قد أمرت بطلب العلم النافع، ولذلك استجاب السابقون من المسلمين لهذه الأوامر، فإذا بهم يطلعون على ثقافة غيرهم، ويدونونها فى كتبهم، ما صح منها وما لم يصح، ولقد رأينا التفكير الإسلامى يتسع لفكر مسلمى أهل الكتاب، ويمكن القول بأنه اتسع للتراث الإنسانى بعامة. وفى عصور ازدهار المسلمين وجدنا حركة الترجمة على أشدها، فى عصر الأمين والمأمون وهارون الرشيد، وقد كان الأمراء يغدقون الخيرات على المعلمين والمترجمين، فتم ترجمة الفكر اليونانى والرومانى،

وانتفع المسلمون ببعض الأنظمة الموجودة فى العالم الفارسى والرومانى. ولا تزال نصوص القرآن كما هى، آمرة بطلب المعرفة فى كل زمان ومكان، ولذلك نجد بعض علماء المسلمين يذهبون إلى ديار الغرب لمعرفة ثقافته، وعلومه ومعارفه، ثم يعودون لنشرها فى ديارنا، فضلاً عن الاتصال الثقافى المباشر الآن.

و لم يكن حظ المسلمين من هذه المعرفة النقل فقط، بل إنهم نقحوا وأضافوا وحذفوا ونقدوا، بعض العلوم التى وفدت إليهم، وأنشأوا فى التجريبيات نظريات وأجروا تجارب اعتمدت أوربا على نتائجها فى حركة التنوير.

التجديد فى الفكر الإسلامي والخطاب الديني

بين الثـــوابـــت والمتغيرات

إن الدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامى وتنميته عمل إسلامى ، قام به علماء مسلمون منذ صدر الإسلام وحتى عقود مضت ، خلدهم التاريخ وجهلهم المسلمون، وحين استيقظت الدعوة للتجديد مرة ثانية لدى الراسخين فى العلم ظن المرجفون أنها فكرة غربية وما دروا أنها كانت وستظل إسلامية وقد نسى هؤلاء قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [١]

ويطيب لنا فى البدء أن نشير إلى بعض الحقائق وأن نحدد بعض المفاهيم حتى لا يقع لبس فى الفهم أو اختلاط فى الأمر ، كما حدث عند كثيرين من المسلمين ومن غير المسلمين ، وهو ما يدعونا إلى :

١ـ تعريف الفكر الإسلامى
٢ـ تعريف الخطاب الدينى
٣ـ مفهوم التجديد الذى ندعو إليه
٤ـ العلاقة بين الخطاب الدينى والفكر الإسلامى
٥ـ العلاقة بين الفكر الإسلامي والإسلام

وذلك على النحو التالى :

١ـ تعريف الفكر الإسلامى : ـ

فى معاجم اللغة يطلق الفكر ويراد به : عمل العقل أو الخاطر فى شيئ ما والتفكر التأمل [٢] ، وعند الراغب الأصفهانى " الفكر

---

(١) مسلم ٤٥ /١٩٦٥ ، أبو داود ج٤ ص ١٢٥
(٢) راجع مادة (فكر) في لسان العرب ، والقاموس المحيط وتاج العروس .

قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك الإنسان دون الحيوان " [١]

وعند الفلاسفة : هو الفعل الذى تقوم به النفس عند حركتها فى المعقولات أى النظر والتأمل والتدبر والحكم ...

كما يطلق على المعقولات نفسها أى الموضوعات التى أنتجها العقل البشرى [٢]

وبهذا نرى الفكر يطلق مرادا به :

أ ـ العملية العقلية والقلبية التى تدور حول أمر ما

ب ـ ما نتج عن العقل منطوقا أو مكتوبا أو هما معا

والمراد بالإسلامى : أى المنسوب إلى الإسلام ويتحقق الانتساب الكامل إلى الإسلام بالتزام تعاليمه كليا وجزئيا ، يستوى فى ذلك أن يكون المنتسب إنسانا أو المنسوب عملا .

ويمكن تعريف الفكر الإسلامى مركبا بأنه : الصنعة العقلية وفق منهج الإسلام [٣]

وقيل : الفكر الإسلامى : هو المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسلام فى مصادره الأصلية للقرآن والسنة الصحيحة .إما تفقها واستنباطا لأحكام دينية فى صلة الإنسان بخالقه .وإما توفيقا بين مبادئ الدين وتعاليمه من جهة وفكر أجنبية دخلت الجماعة الإسلامية من جانب آخر .أو دفاعا عن العقائد التى وردت فيه أو ردا لعقائد أخرى مناوئة لها ، حاولت أن تحتل منزلة فى الحياة الإسلامية العامة

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٢٨٤

(٢) د الزبيدي حقيقة الفكر الإسلامي ص ١٠

(٣) د/ الزبيدي حقيقة الفكر الإسلامي ص ١٤

لسبب أو آخر[1] والراجح أن نفرق بين التفكير والفكر .فالتفكير هو عملية قدح الذهن بهدف الوصول إلى شيئ ما فى أمر ما .وأما الفكر فهو ما نتج عن هذا التفكير فى حيز الواقع .

ويمكن بناء على ما سبق أن نعرف الفكر الإسلامى بأنه : ما نتج عن عقل المسلمين لخدمة الدين الإسلامى مضبوطا بضوابط التفكير فى الإسلام فى كافة ميادين المعرفة المشروعة .

٢ــ تعريف الخطاب الدينى :

ما يطرح علي الآخرين بهدف تعريفهم بالإسلام أو ترقيتهم فى الإيمان أو تثبيتهم عليه أو إزالة الشبهات نحوه ، أخذا من قوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[2] حيث جمعت الآية غاية الخطاب الدينى ووسيلته .

٣ــ مفهوم التجديد الذى ندعو إليه :

نظرا لاختلاط مفهوم التجديد لدى كثيرين وخروجا من فكر دعاة الحداثة والعصرانيين واليساريين الإسلاميين فإننا نحدد مفهوم التجديد فى أمرين :

---

(١) د / محمد البهي الفكر الإسلامي في تطوره ص ٦

(٢) سورة الجمعة : آية ٣

الأمر الأول : الإبداع والابتكار والطرح الجديد فيما يتعلق بالنصوص الثابتة وعدم الوقوف عند حد التراث مع عدم إهماله بالكلية فى نفس الوقت .

الأمر الثانى : إعادة نشر التراث بعد تحريره من الشوائب العالقة به فى غير حذفولا اختصار بل ذكر النص مع التعليق عليه وبيان درجته من حيث القبول والرد وفق قواعد علمية يتفق عليها ..

٤ــ العلاقة بين الخطاب الدينى والفكر الإسلامى :

يختلف الفكر الإسلامى عن الخطاب الدينى فى بعض الجوانب ومنها :

١ــ أن مظهر الفكر الإسلامى هو : ما دون فى كتب المسلمين من أفكار نتجت عن العقل الإسلامى متفقة مع مبادئه وقيمه .

والخطاب الدينى ما يطرح على الآخرين بهدف الدعوة إلى الإسلام أو تثبيت المسلمين أو الدفاع عنه دون أو لم يدون .

٢ــ الفكر الإسلامى لا تختلف مبادئه باختلاف العصور ويتأثر بالثقافات السائدة، الخطاب الدينى يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

٣ــ الفكر الإسلامى آليته العقل بالدرجة الأولى

الخطاب الدينى آليته الحواس (كلمة ــ مقال ــ تمثيلية ــ فيلم) والوجدان .

٤ـ الفكر الإسلامى ناتج المفكر نفسه عقلا وتدوينا (حقيقة أو حكما)

الخطاب الدينى ما وجه إلى الآخرين سواء أكان للملقى حظ من مادته العلمية أم ناقل .

٥ـ الفكر الإسلامى هو مادة الخطاب الدينى ومؤثر فيه لا محالة

الخطاب الديني يؤثر أو لا يؤثر فى الفكر الإسلامى بحسب حال القائم به

٦ـ تأثير الفكر الإسلامى محدود عن تأثير الخطاب الدينى فى الداخل والعكس صحيح فى الخارج .

٧ـ اتسام الفكر الإسلامى بسمة السعة (دين ـ أخلاق ـ فلسفة ـ فن ـ اجتماع) واتسام الخطاب الدينى بسمة الخصوص .

ويتفقان فى كون كل منهما يهدف إلى خدمة الإسلام ، وإمكانية الجمع بينهما من شخص واحد ، والطرح لكل منهما عن طريق وسائل الإعلام المختلفة .

٥ـ العلاقة بين الفكر الإسلامى والإسلام :

أ ـ الإسلام هو الدين الخاتم الموحى به إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والفكر الإسلامى هو ما نتج عن الوحى الإلهى أو اتصل به خدمة له .

ب ـ الإسلام لا يعتريه الخطأ ومصدره الأساسى محفوظ بحفظ الله ، الفكر الإسلامى ناتج العقل ويجرى عليه الخطأ والصواب

ج ـ الإسلام لا يتجدد ولا يختلف باختلاف الزمان أو المكان أو الأشخاص ، والفكر الإسلامي يتجدد ويختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص

د ـ الإسلام لا يخضع للنقد أو الانتقاء عند التطبيق ، والفكر الإسلامي يخضع للنقد والانتقاء عند التطبيق

هـ ـ الإسلام تم قبل ملاقاة الرسول لربه (اليوم أكملت لكم دينـــــكم ..) ، والفكر الإسلامي بنيان قابل للتعلية لمتانة أسسه حتى يبلغ عنان السماء

و ـ الإسلام ـ كوحي ـ يحكم به على الفكر الإسلامي ، والفكر الإسلامي لا يحكم به على الإسلام ، فالدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامي لا تعني الدعوة إلى تجديد الدين

ذ ـ لا يشترط في ناقل الفكر الإسلامي ما يشترط في ناقل النص بل يفضل ذلك . يشترط في ناقل النص من الشروط ما لا يشترط في ناقل الفكر الإسلامي

منزلة التفكير في الإسلام :

تتفاضل الأمم وتتقدم بالأفكار البناءة ، وما الحضارة إلا ناتج فكرة قابلة للتطبيق ، خرجت من عالم الأفكار إلى الواقع العملي ، بدءا من صناعة المخيط وانتهاء بصناعة سفن الفضاء ، وقد أدرك غير المسلمين قيمة الفكر والمفكرين فيسروا لهم أسباب البحث وحلوا مشكلة الإقامة ودبروا الاعتمادات المالية اللازمة لتحويل الأفكار النظرية إلى واقع عملي .

وهذا الذى تسلكه الحضارة الغربية ، قد دعا إليه الإسلام منذ ظهر ، فضلا عن تميز الإسلام بحرصه علي توجيه الأفكار وعمل العقول توجيها إيجابيا ، فكم كثرت الآيات الداعية إلى التفكير في خلق السموات والأرض والأنفس والآفاق وآيات الله القرآنية وآيات الله الإنسانية ، مع الدعوة إلي التجرد حال التفكير باعتباره سبيلا للنجاة (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)[١]

كما أنزل الإسلام آلة التفكير (العقل) خير منزلة وجعل المعطلين لها أدنى من البهائم منزلة ، قال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضـــــل)[٢] وبين الإسلام أن تعطيل العقل عن التفكير سيؤدى بأهله إلى الخسارة دينيا ودنيويا (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[٣]

فإن غيبت آلة التفكير لسبب خارج عن صاحبها سقط عنه التكليف ، وإن غاب العقل بفعل صاحبه فهو ضامن تصرفاته لأنه عطل آلة الإدراك ، حتى لا يتخذ ذلك ذريعة إلى ارتكاب الفساد بعلة غيبة العقل .

---

(١) سبأ : ٤٦
(٢) الأعراف : ١٧٩
(٣) الملك : ١٠

كما أوجب الإسلام نماء العقل من طرق شتى وردت فى القرآن كذكر المقدمات وترك النتائج للعقل وذكر النتائج وترك المقدمات لبدهيات العقل وطرح الكثير من الأسئلة دون ذكر الإجابة لتحريك العقل فى التفكير .

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ طرح كثيرا من الأسئلة على أصحابه فرادى وجماعات لتنمية الحركة الفكرية عندهم ولتحريك عقولهم وكم استخدم القياس أو دعا إليه وحث على التفكير ودعا إلى العلم ، وبين خيره فى الطلب وذلك مراعاة لصالح الأمة .

الفكر الإنسانى فى عصر الوحى الإسلامى :

بزغ نور الإسلام والعقل العربى بخاصة والعقل الإنسانى بصفة عامة قد أصابه الخمول ورضى من العلوم والمعارف بالقليل وقبل من الموروثات ما لم يتوفر عليه الدليل ، حتى خضع الأعلى (الإنسان) للأدنى (الحيوان ـ الشجر ـ الحجر) على أساس من التقديس وطلب المرحمة ، واكتفى العرب بحفظ الأحساب والأنساب وقليل من علوم الكهانة والقيافة والفلك والطب فى حدودها الدنيا ، وبقدر ما يستقيم به معاشهم ، وكلها موروثات فكرية لم نر لها أثرا فى حضارة أو عمران بمفهومهما العملى .

وغير العرب قد ران عليهم تراث السابقين من طبقية اجتماعية أو خرافات عقدية أو نظريات معرفية هى إلى الخيال أقرب منها إلى الحقائق العلمية .

فى هذه الفترة من الزمن والتى انتكست فيها البشرية فى ميدان الدين والأخلاق والعلوم والمعارف ، شاء الله أن ينقذ كل راغب فى الهداية ، وأن يهدى من شاء من الضلالة ، فكانت بعثة الرسول الخاتم بالكتاب الخاتم إلى سائر البشر للانتفاع بما فيه من أسس للهداية ومصادر للمعرفة وقواعد للبحث العلمـــى .

جاء القرآن فكان المصدر الأول لعلوم المسلمين ومعارفهم فى ميدان العقيدة والأخلاق . وأما الشريعة فقد وضع لها الأسس العامة وترك كيفية التطبيق للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العبادات بوحى إلهى إليه ، مع وضعهما (القـــرآن والسنة) ضوابط للمعاملات والأنكحة والحدود والجنايات وترك كيفية التطبيق لمستجدات العصر .

وقد أمر المسلمون ـ فى القرآن والسنة ـ بالتفكير والتدبر والسير والنظر فى الكون المسطور (أفلا يتدبرون القرآن) [١] والكون المنظور (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) [٢] وخص من الكون المنظور كثيرا من مكوناته ، باعتبار النظر محرك الفكر وباعث الهداية ومقدمة لنتائج محمودة إذا سلمت من المؤثرات، وحسبنا ما ورد فى سورة البقرة (١٦٤) وآل عمران (١٩٠ ـ ١٩٣) والنحـــل (٣ ـ ١٧) النمـــل (٦٠ ـ ٦٤)

---

(١) سورة محمد ٢٤
(٢) يونس ١٠١

القصص (٧١ ــ ٧٣) الواقعة (٦٣ ــ ٧٣) النبأ (٦ ــ ١٦) عبس (٢٥ ــ ٣٢) الغاشية (١٧ ــ ٢٠) .

كما تتابعت الأوامر فى السنة بالتفكير وحث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على معرفة النفس باعتبارها سبيلا لمعرفة الله ، وفى الحديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) [١]

ميادين الفكر فى الإسلام :

ومن يفقه نصوص الوحى يدرك أن ميادين الفكر فيه لا تقف عند حد ، فنصوصه تعلقت بالعقيدة والشريعة والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والعلاقات الدولية فى السلم والحرب .

كما تناولت الآيات القرآنية كثيرا من الظواهر الجوية كالرعد والبرق والصواعق والسحاب والرياح فضلا عن حركة الشمس والقمر والنجوم والكواكب.

وأشارت نصوص القرآن إلى العلاقة بين الإنســان والأرض ، (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) [٢]

---

[١] كشف الخفا ومزيل الإلباس ٣٦١/٢ رقم ٢٥٣٢ وضعفه
[٢] البلد ٨ ـ ١٠

لقد تحدث القرآن عن الأرض كمهاد والجبال كأوتاد ، كما ذكرت البحار والأنهار والأودية ، مع الإشارة الضمنية إلى حقائق علمية شتى تقوم بالأرض كالحركة والدوران والدائرية والجاذبية فضلا عن طبقات الأرض وتفاوت الزرع فى الأشكال والألوان والطعوم مع وحدة التربة ووحدة الماء المسقى به .

ولم تقف الآيات القرآنية عند حد الكونيات ، بل تناولت الإنسان أيضا ، فذكرت أطوار الخلق الأول وكفت العقل الإسلامى بخاصة مشقة البحث فيه وأشارت إلى مرحلة التراب ـ الطين ـ الطين اللازب ـ صلصال ـ صلصال كالفخار ـ حمأ مسنون ، نفخ الروح .

كما ذكر القرآن أطوار الخلق الثانى (منى ويسمى ماء) علقة ـ مضغة ـ عظام ـ لحم ، مع الدعوة إلى التفكير فى ذلك ، مع النص على بعض الحواس (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ـ وهديناه النجدين) [١] . (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) [٢]

كذلك ذكر القرآن أحوال النفس (مطمئنة ـ لوامة ـ أمارة بالسوء) وتحدث عن العواطف والغرائز وعوامل القلق ومصادر الطمأنينة وجعل الأساس فى الإيمان (ومن يؤمن بالله يهد قلبـــــــه) [٤]

---

(١) طه ٥٥
(٢) النحل ٧٨
(٤) التغابن ١١

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر اللـــــه تطمـــئن القلوب) [١]

الإسلام والخيال العلمى :

لم تقف نصوص الوحى عند حد الدعوة إلى التفكير وطلب العلم، بل دعت إلى تجاوز حد الوقوف عند الأرض ومحاولة ارتياد الفضاء ، وهو ما يعرف بالخيال العلمى فى عصرنا الحاضر .

إن القرآن قد حث الناس عامة والمسلمين بخاصة على ذلك ، قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) [٢] أى أن السبيل إلى ارتياد الفضاء هو العلم (سلطان) وكل محاولة لارتياد الفضاء دون ذلك ستؤدى إلى التهلكة .

كما وعد الحق بذلك منذ نزل القرآن (فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركـــــبن طبقـــــا عن طبق) [٣] وقوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [٤]

---

(١) الرعد ٢٨
(٢) الرحمن ٣٣ ـ ٣٥
(٣) الانشقاق ١٥ ـ ١٩
(٤) فصلت ٥٣

والآيات تشير إلى :

١ــ الدعوة إلى ارتياد الآفاق مع التماس الأسباب حتى لا يكون الهلاك .

٢ــ الوعد بتحقق ذلك على مراحل (طبقا عن طبق)

٣ــ العلم سبيل للهداية فى الإسلام لا وسيلة للطغيان (حتى يتبين لهم أنه الحق)

وقد تقاعس المسلمون عن الاهتداء لسر هذه الآيات فى الوقت الذى نهض فيه غير المسلمين ، فتحقق وعد الله على أيدى غير المسلمين .

الفكر الإسلامى فى مهده : (القرون الخمسة الأولى للهجرة) :

فهم المسلمون الأول النصوص الآمرة بالتفكر والتدبر والنظر والتأمل ... فهما شاملا فى جانب قاصرا فى جوانب أخرى .وجوانب الشمول تجلت فى اشتغال المسلمين فى صدر الإسلام بنصوص القرآن والسنة إذا تعلق النص بالعقيدة أو الشريعة أو الآخلاق ، دفعهم إلى ذلك الرغبة فى إيضاح معالم الشريعة ، والحرص على تعليم العجم ، ومن دان حديثا بالإسلام أصول الدين وقواعده ، وبيان سبيل الالتزام الدينى للمسلمين .

ولهذا رأينا بواكير الفكر الإسلامى تنصب على تفسير النص القرآنى ، والاشتغال بقواعد اللغة العربية باعتبارها ضابطة للنص القرآنى فى التلاوة وتعين على فهمه فى نفس الوقت ، واقفة فى

بعض ميادين المعرفة عند حد خدمة النص القرآنى . وقد ترتب على الرغبة فى بيان معنى النص القرآنى قبول ونقل روايات أهل الكتاب ذات الصلة بالعقائد وبخاصة الإلهيات والنبوات والسمعيات ، كاستجابة لطلب العلم والمعرفة والسماح بالحديث عن أهل الكتاب دون مراعاة لضوابط البحث العلمى الوارد الإشارة إليها فى القرآن الكريم فى بعض الأحيان .

إن الفكر الإسلامى فى مهده قد توسع فى مجال التفسير وتوسع فى أحكام الفقه وأصوله ، وبذرت بذور الصراع والخلاف فى مجال العقائد فظهرت المذهبيات المتعددة بدءا بالخوارج والشيعة والمرجئة وتباعا بالمعتزلة والأشاعرة ...

وقد تأثر الفكر الإسلامى بالتراث الإسرائيلى فى ميدان الإلهيات والنبوات والمواعظ كما تأثر بالتراث الهندى واليونانى فى مجال الكونيات والفلسفة والمنطق ، وتأثر بالفكر الفارسى فى مجال النظم والدواوين . وظهر التراث الفكرى الإسلامى مزيجا من :

١ــ الفهم المتعلق بنص القرآن الكريم
٢ــ الفهم الناتج عن فقه السنة
٣ــ النقل عن مسلمى أهل الكتاب وعن كتبهم
٤ــ الترجمة لعلوم اليونان والرومان وغيرهم (الفلسفة والمنطق)
٥ــ الابتكار وهو أوضح ما يكون فى علم الكلام وعلم أصول الفقه

٦ـ الفكر الصوفى الجامع بين التراث الهندى والفهم الصحيح أو السقيم لنصوص الإسلام •

٧ـ الاستقصاء أو التتبع وهو أخص ما يكون فى اللغة العربية وعلومها .

التقييم للفكر الإسلامى فى هذه الفترة :

إن المسلمين الأول قد غلب على ظنهم إطلاق كلمة العلم والأمر بطلبه على

العلم الشرعى ، وغاب عنهم طلب العلم التطبيقى .

كما قسم السابقون العلوم إلى علوم وسائل وعلوم مقاصد ، وجعلوا المعرفة التطبيقية من علوم الوسائل لا المقاصد ، وقد نتج عن هذا الفهم ما يلى :

١ـ تأليف آلاف الكتب حول آية أو آيات معدودة فى القرآن ذات الصلة بالعقيدة أو الشريعة أو الأخلاق ، فى الوقت الذى لم يكتب فيه كتاب واحد حول مئات الآيات التى وردت تتحدث عن السماء والأرض وما حويا وطويا .

٢ـ برع المسلمون فى الفكر النظرى وأهملوا الفكر التطبيقى باستثناء حالات فردية لم ترق إلى مرحلة المؤسسات العلمية ، كما كثرت مدارس وحلقات العلوم النظرية الدينية واللغوية وكثرت الأوقاف على المؤسسات الدينية ، وتم شد الرحال لطلب

العلوم الدينية وتقاعس الطلب عن العلوم التطبيقية ونمت العقول نماء بالغا فى المعارف النظرية ، حتى قال الأصمعى : ما بلغت الحلم حتى حفظت أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب ، فضلا عما اشتهر به أئمة الحديث من حفظ مئات الآلاف من الأحاديث بسندها .

وأما العلوم التطبيقية فكان النقل من طريق الترجمة أكثر من التطبيق العملى وما اشتغل المسلمون فى ميدان المعرفة التطبيقية إلا بما يخدم الدين مثل علوم الفلك والأسطرلاب وبعض الصناعات الحربية كالسفن وآلات القتال ، فضلا عما وصل إلينا فى ميدان البصريات والرياضيات والطب .

إننا لا ننكر الجهود الفردية لعلماء الإسلام فى ميدان العلوم التطبيقية ، إلا أنه لا وجه للمقارنة بين التقدم فيها والتقدم في ميدان العلوم النظرية .

الإمام الغزالى من أوائل الناقدين لمسيرة الفكر الإسلامى :

من المشهور عن الإمام الغزالى نقده للفلسفة ، وكتابه " تهافت الفلاسفة " لم يغب عن أهل العلم ، وقد ركز فيه على مسائل معينة تأثر فيها فلاسفة الإسلام بفكر فلاسفة اليونان ، كما انتقد الفلسفة فى بعض جوانبها .

والغائب عن كثيرين من علماء الإسلام والمسلمين أن الغزالى قد انتقد الفكر الإسلامى فى مسيرته فى القرن الخامس الهجرى ،

حيث عاب على المسلمين تقصيرهم فى ميدان البحوث التطبيقية والمعارف التجريبية ورأى أن الاشتغال بعلوم الطب والهندسة والفلك والعمران وغيرها أصبح فرض عين على الأمة الإسلامية .

وقد ذكر الغزالى كثيرا من الآيات الكونية في كتابه (جواهر القرآن) وحاول أن يفسرها تفسيرا علميا ـ فى ضوء العلم فى زمنه ـ ورأى أن فرض الكفاية قد يصبح فرض عين إذا قصرت الأمة فى مجموعها عن الاشتغال به وأن القيام بفرض الكفاية فى هذا الموطن أعظم أجرا من الاشتغال بفرض العين فى مواطن أخرى ، لأنه يؤجر بأجر الأمة كلها فى حال القيام به كما تأثم الأمة كلها فى حال التقصير فيه .

الفكر الإسلامى فى القرون الخمسة الثانية من الهجرة :

إذا كانت القرون الخمسة الأولى هى فترة مخاض الفكر الإسلامى وزمن فتوته وعصور ازدهاره فى أخرياتها ، حيث أسست كافة مدارس العلوم والمعارف الإسلامية فيها ، فإن القرون الخمسة الثانية قد برزت فيها مشكلات فكرية فى الجانب العقدى ، أدت إلى صراع فكرى ، وهذا ما تجلى واضحا من صراع فكرى لدى المعتزلة والأشاعرة ، الذين أثاروا مشكلات فى الألوهية والصفات ، والجبر والاختيار ، والحسن والقبح وغيرها ، فى إطار مناهج غير قرآنــية ،

كما نما التيار الصوفى واشتد عوده ، وظهرت نظريات صوفية متأثرة بالفلسفات الإشراقية كالفناء ووحدة الوجود وسقوط التكاليف ، وكثرت زوايا التصوف وقرئ القرآن للتبرك لا العمل والالتزام .

كما كان للإستعمار الصليبى والغزو التترى دور كبير فى ركود الحركة الفكرية وهو ما يمكن وصفه بأنه الركود فى الحركة الفكرية عند المسلمين .

وفى مقابل ذلك قامت تيارات مناهضة تهدف إلى تطهير الفكر الإسلامى من لوثة هذه الأفكار ، تمثل ذلك فى معارك فكرية بين الطرفين ، بين أتباع الفلسفة الميتافيزيقية والمنطق الأرسطى والفكر الصوفى وبين مخالفيهم من العلماء أمثال: أبو الوفاء بن عقيل (٥١٢ هـ) الذى رفض إدخال المنطق فى علم أصول الفقه ، والطرطوشى (٥٢٠ هـ) وابن الصلاح (٦٤٣ هـ) والنواوى (٦٣١ هـ) وابن الجوزى (٥٩٧ هـ) وابن تيمية (٧٢٨ هـ) وابن القيم (٧٧١ هـ) والشاطبى (٧٩٠ هـ) وابن خلدون (٨٠٨ هـ) وغيرهم " [1]

ومن أبرز رواد الحركة الفكرية فى هذه الفترة ابن تيمية ، الذى وجه حركة نقدية قوية إلى التراث الإسلامى فى بعض جوانبه وبخاصة ما ترجم من علوم اليونان كالمنطق والفلسفة ، كما بذل جهدا

---

[1] الزنيدي - عبد الرحمن - حقيقة الفكر الإسلامي من ص ١٥٤ - ١٥٦ بتصرف .

كبيرا فى وضع مبادئ أولية لبعض العلوم والمعارف واجتهد فى كثير من القضايا الفقهية التى حركت العقول الراكدة أو التقليدية ضده حتى كانت نهايته الموت مسجونا على أثر الفتاوى الصادرة بمروقه عن الإسلام لمخالفته السابقين فى اجتهاده وفتاويه .

" إن ابن تيمية لهذا : كان المفكر الإسلامى الذى قصد بتفكيره إعادة بناء المجتمع الإسلامى على أسس إسلامية لا زيف فيها ، وبدون إضافة غريبة عن الإسلام تتصل بها : أراد للمسلم أن يكون مسلما ، لا صاحب بدعة أو مذهب خاص فى الإسلام " [١]

ومن بعده جاء ابن القيم وابن كثير ولهما رصيد طيب فى الفكر الإسلامى وبخاصة المؤلفات ذات الشهرة لكل منهما ، وإن كان ابن القيم أدق من ابن كثير فى تراثه الفكرى .

وأما السيوطى فقد كان واسع المعرفة ، صاحب مدرسة جمعت فى مناهجها كافة العلوم والمعارف النظرية ، واشتغل بالجمع والتدوين دون تحقيق أو تمحيص حينا وأحيانا يدقق ويمحص ، وله رسالة فى الرد على الشبهات التى أثيـــــــرت فى وجه السنة المطهرة عنوانها (مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة) .

ومما ينبغى ذكره أن صدر هذه الفترة كان عهد الحروب الصليبية وأن الشبهات التى أثيرت فى وجه الإسلام لا تقل عن السهام

---

(١) د/ محمد البهي : الفكر الإسلامي في تطوره ٦٩

التي وجهت ... دستور أبنائه ، لذا كثرت المؤلفات فى علم مقارنة الأديان فى هذه الفترة من الزمن ويمكن إيجاز وتقييم الفكر الإسلامى فى هذه الفترة بالآتى :

١ـ الجمع بين التيارات الفكرية المختلفة والمتناقضة

٢ـ الصراع الفكرى الداخلى على أسس عقدية أو مذهبية فكرية

٣ـ دعوة البعض إلى إعادة ترتيب الفكر الدينى وفق قواعد أصولية دونوها

٤ـ ظهور الموسوعات العلمية فى ميادين شتى من العلوم الإسلامية فى مجال الأدب والتاريخ والفقه والسنة والتراجم والسير .

٥ـ كثرة الكتب التى ألفت فى مقارنة الأديان

٦ـ فقدان كثير من الأعمال العلمية الإسلامية عن طريق الحرق أو إقامة السدود بها فى نهر دجلة أو من طريق السلب والنهب .

٧ـ محدودية الإبداع فى الفكر الإسلامى إذا ما استثنينا أفرادا معدودين فى هذا المجال

تيارات الفكر الإسلامى فى العصر الحديث :

ظهرت فى القرون الأخيرة تيارات شتى فى الفكر الإسلامى ...زها فى الآتى :

التيار السلفى ، تولى زمامه السلفيون فى السعودية ولهم أتباع ومشايع فى سائر بلاد العالم الإسلامى ، وقد دعوا إلى تحرير فكر

وسلوك المسلمين من الشركيات والبدعيات فى مجال الاعتقاد وعدم الغلو فى حب الرسول وآل بيته والوقوف عند حد النص ، كما قاموا فى ديارهم بهدم القبور ودعوا إلى حرمة الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة .

ومن أبرز المجالات الفكرية التى تمثل مناط الاهتمام السلفى ما يلى :

١ـ التأكيد على الجانب العقدى بصفته القاعدة للفكر والحركة . . .

٢ـ محاربة البدع والخرافات وصور الشرك الموروثة من عصور الانحطاط

٣ـ محاولة تعميق العلم الشرعى فى الأمة وإعادة دور القيادة فى الأمة إلى العالم الشرعى .

٤ـ بعث التراث الإسلامى وتحقيق مخطوطاته ، خاصة فى مجالات العقيدة والفقه والسنة وعلوم القرآن .

٥ـ التجديد والاجتهاد وفق مفهومهما الشرعى .

٦ـ تأكيد التميز الإسلامى والاستعلاء به رغم الواقع المحيط .

٧ـ التفاعل التقويمى مع الاتجاهات الأخرى من خلال نقد هذه الحركة والتنبيه على ثغرات الانحراف فيها ، حتى يستقيم صاحب الحركة نفسه .....

الحركة السنوسية فى المغرب ومن معالم دعوتها :

أ ـ وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة

ب ـ دلالة الكتاب والسنة واحدة

ج ــ تقديمهما على رأى كل مجتهد

د ــ الدعوة إلى دوام الاجتهاد كضرورة للمستجدات

هــ ــ نعيه على التقاليد ودعوته إلى التجديد

حركة الإخوان المسلمين . وهى حركة فكرية تربوية فى البدء حتى إذا نمت وترعرت اتجهت إتجاها سياسيا فى مقاومة اليهودية فى فلسطين ثم تطلعت إلى نظم الحكم وتاقت إليه فتم القضاء على رموزها إلا أن تراثها الفكرى لا يزال قائما وأتباعها على قيد الحياة غير معترف بهم شرعا فى كثير من الدول العربية والإسلامية .

تيار التيجديد فى الفكر الإسلامى : وله اتجاهان

الاتجاه الأول : التجديد فى الفكر الإسلامى مع الالتزام بقواعد وضوابط التفكير الواردة فى القرآن والسنة ، ولهذا التيار رواد كثيرون فى مجال الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، من أمثال الإمام محمد عبده والشيخ رشيد رضا وجمال الدين الافغانى وعبد الرحمن عزام ومحمد فريد وجدى والرافعى والمازنى والعقاد وعبد الرحمن الكواكبى والشيخ شلتوت والدكتور البهى والشيخ محمد الغزالى وأبو الأعلى المودودى وأبو الحسن الندوى والشيخ نديم الجسر وابن محمود فى قطر وابن عثيمين وابن جبريل فى السعودية ومحمد إقبال ومحمد المبارك وغيرهم .

سمات هذا الاتجاه :

يغلب على أصحاب هذا الإتجاه الآتى :

١ــ إعادة الروح إلى الفكر الإسلامى وبعثه من نومة طال ليلها

٢ــ الاعتماد على القرآن والسنة فى هذا الإحياء

٣ــ نقد بعض جوانب التراث الفكرى فى بعض الميادين بهدف الانطلاق

٤ــ الاجتهاد بما يتناسب مع مستجدات العصر

٥ــ الدفاع عن الإسلام ضد التيارات الوافدة

٦ــ الصبر فى ميدان الدفاع وقلما سلم أحدهم من الإيذاء

الاتجاه الثاني : الرغبة فى تجديد الفكر الإسلامى مع عدم الالتزام بقواعد وضوابط التفكير فيه من أبرز رواد هذا التيار :

أ ــ الذين تأثروا بالفكر الغربى ونقلوا أفكار المستشرقين إلى الفكر الإسلامى ناسبين إياه لأنفسهم بدعوى الإبداع والتجديد وقد كشف زيفهم كثيرون أخصهم بالذكر ما كتبه أ٠د محمد البهى فى كتابه (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى)

ب ــ الجماعات المسماة بالإسلامية وهى أكثر من أن تحصى على الساحة وليس بينها قاسم مشترك ، والهوى لدى أمرائها هو المحرك الأول ، وهى تكرار لفكر الخوارج ولها رموز وأشياع ومبادئ وأفكار ولا تزال موجودة على الساحة .

ج ـ العصرانيون أو الحداثيون : يحاولون تحوير مبادئ الإسلام وتعاليمه لتتسق مع الفكر الغربى المعاصر . . . ويجعلون الفكر الغربى ميزان النظر فى الإسلام ، أو على الأقل قدموا فكرهم في ضوئه وتحت هيمنته وكان ذلك على حساب الإسلام نصوصا وتعاليما وفكرا .

وقد تفاوت هؤلاء العصرانيون فيما قدموه من صيغ تحديثية ، ما بين مفرط فى منهجه يحاول نسف الإسلام لعدم مواءمته الفكر الغربى المادى أو يقضى على ما فيه من مبادئ وتشريعات يشمئز منها الذوق الغربى المعاصر ، أو دون ذلك من يحاول تأويل ما لا يتسق مع النظرة الغربية تأويلا يقربه منها [1]

التيار العلمانى : وله إتجاهان :

د ـ ١ـ إتجاه يطالب بفصل الدين عن الدولة على غرار النظام الغربى بدعوى الرغبة فى التقدم .

٢ـ إتجاه يطالب بتطوير الفكر الدينى وتحديثه والاستفادة من بعض تجارب الماضى مع السير فى ركب الحاضر .

---

[1] د/ الزنيدي :حقيقة الفكر الإسلامي ١٩٩ـ ٢٠٠ بتصرف نقلا عن : مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد ص ١٠٨

٥ـ تيارات فكرية محســوبة على الإسلام والدين منها براء :

وقد تجلى هذا التيار فى القرون الأخيرة فى صورة جماعات شتى منها : البابية والبهائية والقاديانية والفرخانية والقرآنيون وكلها تيارات محسوبة على الإسلام مع مصادمتها لمبادئه ودعوته من حيث ختم النبوة والوحى وسلامة القرآن وتحديد معالم العبادات وعمومية الرسالة وتحديد القبلة فضلا عن منزلة السنة الصحيحة من التشريع ، وقد خالفت كل فرقة مما سبق فى هذه الجوانب أو بعضها .

٦ـ التيار الموالى للشيوعية فى مبادئها وأفكارها ، وقد

تبنى هذا التيار بعض المسلمين في بلاد الإسلام منهم علماء فى الدين الإسلامى وصحفيون وكتاب مرموقون وأساتذة جامعات ، وقد أصدروا كتبا ونشروا مقالات وحرروا صحفا وحاولوا الانتصار للفكر الشيوعى المادى واستدلوا لمبادئهم وأفكارهم بآيات قرآنية أولوها وأحاديث نبوية عن ظاهرها صرفوها ولهذا التيار حضوره فى المنتديات والمحافل ويجيد أهله الإعداد لفكرهم ويوظفون النص ـ أيا كان ـ لفكرهم وأغراضهم ، ورغم ضعف حجتهم إلا أن حسن طرحها يكسبها بريقا يجعل العين تتأثر به ، ويحسنون نصب الشرك مع وضع الطعم المناسب لكل صيد .

٧ـ التيار الصوفى ، وهو أكثر من أن يحصر عدده فى هذه الفترة من الزمن ويعتمد على التبرك بنص القرآن والتوسل والوسيلة والزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة والعزوف عن السياسة والتركيز على الأشعار والأذكار الروحية .

ويمكن القول : إن القرن العشرين كان الفكر الإسلامى فيه فاقدا هويته فى ظل الصراع الفكرى المختلف والمحسوب على الإسلام . أصبحنا أمام تيارات تبلغ حدا فى الكثرة فما المخرج من هذه الإشكالية وما السبيل لطرح الإسلام بصورة تحبب فيه ولا تنفر منه وكيف يمكن تحسين الحسن وتقبيح القبيح ؟ إنه عن طريق التجديد فى الفكر الإسلامي .

ـ التجديد فى الفكر الإسلامى ـ

إذا كان الفكر الإسلامى يتعلق بأمرين من أمور الدين وهما :

١ـ الثوابت

٢ـ المتغيرات

فإننا نقدم مقترحا لتجديد الفكر الإسلامي حولهما على النحو التالى :

أولا : فى مجال الثوابت :

١ـ يمكن تجديد الفكر الإسلامى حولها من حيث التناول الكتابى والأسلوب الخطابى والمنهج الاستدلالى .وإذا كان القرآن قد رسم السبيل لإثبات وجود الله وصفات

الكمال القائمة به، فإن العلم الحديث قد قدم براهين على هذا الوجود تبلغ حدا فى الكثرة على غرار ما كتب فى قصة الإيمان ، العلم يدعو إلى الإيمان ، الله يتجلى فى عصر العلم ، الإسلام يتحدى ، الله جل جلاله ، الله والكون ، مع الله فى السماء ، مع الله فى الأرض ، فى ملكوت السموات ، الإيمان والحياة، الإسلام فى عصر العلم وقد ذكر المعاصرون كثيرا من الأدلة على وجود الله ووحدانيته وعلمه وقدرته لم ترد عند السابقين فى مسمياتها مع وجود أصولها فى القرآن . مثل دليل الغاية ، والعناية ، والكمية والمقدار والسببية والوجود والنظام ، وأدلتها من القـــرآن (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الدخان ٣٨ ، ٣٩ (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) فطر ٤١ (وكل شيئ عنده بمقدار) .الرعد : ٨ (إنا كل شيئ خلقناه بقدر) القمر : ٤٩(أم خلقوا من غير شيئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض ..) الطور: ٣٥ ، ٣٦ (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حســـير) الملك : ٣ ، ٤

وأما التجديد المتعلق بالملائكة والرسل فيكون بتحرير الفكر من الخرافات التى علقت بهم والاسرائيليات التى وردت بحقهم والخيال الذى نسج حول بعضهم ، فضلا عن تحديث الخطاب بما يتفق وروح العصر .

والحديث حول الكتب منه ما يتعلق بالكتب السابقة على القرآن، وذلك بالانتفاع فى الحركة النقدية بالمستجدات البحثية الجديدة ، كالنقد المعتمد على التاريخ أو التعارض مع العلم أو مع العقل أو تعارض

النصوص مع بعضها فضلا عما كشفته الدراسات الحديثة من نقد يعتمد على التراث الإنسانى والحفريات ،

ومن التجديد فى الفكر الإسلامى حول الكتب السابقة تصحيح المفاهيم حول هذه الكتب وإعادة النظر فيما نقله كتاب التاريخ الإنسانى بفكر إسلامى عن هذه الكتب وبخاصة ما ورد بحقهم فى تاريخ الطبرى وابن الأثير والمقدسى والبداية والنهاية وسمط النجوم العوالى .

ومن التجديد فى الفكر الإسلامى حول الكتب السابقة إعادة النظر فيما كتبه السابقون من نقد إلى هذه الكتب وقد غاب عنهم الحقيقة والمجاز فى النص المقدس ، كما أصدروا أحكاما بالتحريف الكلى وهو ما يتعارض مع نصوص القرآن الكريم .

وأما عن تجديد الفكر الإسلامى حول اليوم الآخر فيكون من طريقين :

الطريق الأول : الإشارة إلى ما لا أصل له فى الوحى مما ورد متعلقا باليوم الآخر وتحرير الفكر الإسلامى من التراث الإنسانى فى هذا المجال والاقتصار على ما ورد به نص ، ولا يقبل فى أمر اليوم الآخر قول صحابى أو تابعى لم يتوفر عليه دليل من كتاب أو سنة لأنه أمر غيبى ويتعلق بأمر عقدى فلا مجال للإجتهاد فيه وبخاصة ما ورد فى مكاشفة القلوب ، وقوت القلوب ، عرائس المجالس ، ....

الطريق الثانى : جمع النصوص وثيقة الصلة باليوم الآخر ، وقبول التراث فى شرحها مما يتفق مع النصوص ، مع التركيز على ما ركز عليه القرآن من منهج فى الإثبات لليوم الآخر ، وما ظهر من مستجدات علمية تخدم كثيرا من النصوص القرآنية ككون الإحساس مرتبط بالجلد (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) النساء : ٥٦ وكون المعدة مصدر الألم (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) محمد : ١٥ .

مع بيان الرابطة القوية بين الأموات والأحياء على غرار ما ذكره د/ الغمراوى فى كتابه (الإسلام فى عصر العلم) .

٢ـ ضرورة إيجاد توازن بين القضايا العقدية والأصول التشريعية وعدم التركيز على الألوهيات فقط عند البحث والكتابة .

٣ـ التركيز على آيات الله فى الكون كوسيلة للهداية إلى الله ، انتفاعا بنص القرآن الكريم ، الذى ركز على الكونيات عند حديثه عن الألوهية ، وبخاصة أن العلم قد قطع شوطا كبيرا فى مجال العلوم الكونية ، مع وجوب تحرير الفكر الإسلامى مما ران عليه من تراث يونانى فى مجال الكونيات ، وأوضح الأمثلة على ذلك ما ورد فى تفسير الطبرى حول الرعد والبرق والصواعق وما ورد فى تفسير الرازى حول قوله تعالى (الذى جعل لكم الأرض فراشا) البقرة : ٢٢ حول ثبات الأرض وعدم دورانها وكونها مركزا للكون ... إن تلقيح الفكر الإسلامى بنتائج العلم

التجريبى ضرورة لابد منهُا ، وإلا فإن إعادة التراث الفكرى الإسلامى فى مجال الكونيات بخاصة وطرحه على المعاصرين يؤدى إلى صرف الناس عن الدين لجهلهم بالفرق بين الدين والفكر الدينى .

٤ــ تحرير الفكر الإسلامى مما علق بالأمور الغيبية ذات الصلة بأصول الاعتقاد ، كالعرش والكرسى والقلم واللوح المحفوظ ، ويكتفى بالوقوف عند حد النص لأنه لا مجال للعقل فيه وتناوله كفكر وحديث ينبغى الاقتصار فيه على ما اتبع لا ما ابتدع .

ثانيا : فى مجال المتغيرات :

٥ــ ومما يساعد على التجديد فى الفكر الإسلامى ، رد بعض الأفكار المدونة إلى أصولها من الأشخاص والأيديولوجيات والتراث الإنسانى ، حتى يتجلى للقارئ والمستمع أن هذه الفكرة أصولها إسلامية أو غير إسلامية ، ويساعد ذلك على تحرير الثقافة الإسلامية من كثير من الخرافات والأساطير ، والتى قبلت كمسميات لدى بعض الشعوب الإسلامية ، فعلى سبيل المثال : استخدام الأصابع الخمسة (الكف) لدرء الحسد ، ووضع ذلك على أبواب البيوت وفى السيارات ... أصله يهودى ، حيث نسبت التوراة إلى الله أنه طلب من موسى أن يأمر بنى إسرائيل

بذبح ذبائح ووضع اليد فى دمها ، وختم الباب بها حتى إذا نزل الرب لهدم البيوت عرف بيوت الإسرائيليين من بيوت المصريين فيهدم الثانية ويترك الأولى . ومثل ذلك الذبح تحت النقالة (النعش) وهو عادة عربية قبل الإسلام بدعوى أن الميت بحاجة إلى ما يركبه عند البعث ، وعندها يجد الذبيحة (فرس - جمل) فيركبه إلى أرض المحشر . وكذلك خفاض النساء كتقليد عربى صبغ بصبغة إسلامية وإقامة ذكرى خميس وأربعين للمتوفى فى بعض البلاد الإسلامية هو تخليد لذكرى خميس العهد والقيامة على رأس الأربعين .

٦- توسيع دائرة الفكر الإسلامي لكل جديد ، وتحرير العقول فى قبول المستجدات ، وبيان هل ترد العادات والتقاليد الاجتماعية لعدم ورودها زمن النبوة (الأكل بالشوكة والسكينة مثلا) أم أن الحياة تفرض متطلبات ينبغى قبولها ما لم تخالف شريعة الإسلام . ومما ينبغى التركيز عليه والتجديد فيه : كل ما له أصل زمن النبوة وتطور بتطور الزمن فالحداء (وهو لون من الغناء) والعرس (وهو الفرح بلغة العصر) والدف (وهو آلة الموسيقى وقت التنزيل) كل ذلك ينبغى الكتابة عنه بلغة العصر مع مراعاة القواعد والأحكام الفقهية فى هذا الصدد .

٧- إبراز هويتنا الثقافية الإسلامية ، والشد من أزرها فى فترة الضعف التى تمر بها ، حيث نرى الثقافات الغربية قد غلبت

الثقافة الإسلامية فى بعض جوانبها حتى غدا الجهاد تطرفا والتمسك بالدين تخلفا والصالحون بلهاء والمنافقون أذكياء واللاهون واللاعبون المثل الأعلى ، كما غدت الأغنية الأجنبية سابقة للغة العربية والموسيقى الأجنبية سابقة الموسيقى الشرقية ، وكتابة الإعلانات ونشر الدعايات بغير اللغة العربية أمرا حضاريا ـ كما يزعمون .

٨ـ ومما ينبغى تجديد الفكر الإسلامى فيه :

إعادة النظر فى بعض القضايا الفكرية التى ناقشها السابقون وتصحيح المفهوم نحوها مثل : أيهما أفضل . الغنى الشاكر أم الفقير الصابر ؟ ، الفرق بين التوكل على الله والتواكل ، قراءة القرآن للعمل به بدلا من التسول بها ، شراء المصحف للقراءة والعمل لا للحفظ من العين مع الكسل ، مفهوم الجدل المنهى عنه فى الحج ، نوم الصائم عبادة ، حرمة خروج المرأة إلى المساجد، تكرار الحج والعمرة بدلا من العمل الاجتماعى ... الخ . ويضاف إلى ما سبقت الإشارة إليه ما ارتآه العلامة محمد المبارك فى دعوته لتجديد الفكر الإسلامى ومما نص عليه :

٩ـ " الانطلاق مما انطلق منه القرآن للوصول إلى الحقائق العقدية ، التى دعا إلى الإيمان بها ، هو الكون

١٠ـ إدخال ما جاء به الإسلام عن الكون والإنسان إجمالا أحيانا وتفصيلا أحيانا أخرى فى منهج العقيدة ، لأنه فضلا عن كونه

طريقا للوصول إلى الحقائق العقدية ، فهو يشتمل على أسس تقوم عليها نظم إسلامية كثيرة ، فى الاقتصاد والحكم والسلوك .

١١ـ الجمع بين الجانب العقدي المشتمل على مضمون العقيدة : موضوعات ومفاهيم والجانب النفسى العاطفى المشتمل على العواطف والشعور التى من مقاصد الإسلام توليدها فى شتى المواقف فى صلة الإنسان بالطبيعة بمنافعها وملذاتها ومشاهدها، وصلة الإنسان بربه تعظيما ومحبة ورغبة ورهبة ..

١٢ـ اعتماد الأدلة العقلية المقنعة والأســـــاليب المستساغة،مع الاستفادة من حقائق العلم المادى الحديث دون نظرياته .

١٣ـ إبراز ما فى الإسلام من العناصر التى يشد كل منها فرقة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ببيان حدود هذا العنصر وموقعه الصحيح فى الإسلام ، حتى يكون فى ذلك رد للشطح الذى تقع فيه الفرق المتبينة لكل عنصر من هذه العناصر وحتى تكون هذه الصياغة معينا على التقائها بدل الصراع والتصادم بينها ولتأخذ كل فرقة ما ينقصها ...

١٤ـ البناء حتى فيما وجهته الهدم : فقد تكون الوجهة هدم قضية فكرية مناقضة للإسلام ، فلا ينبغى الاكتفاء ببيان فسادها ومخالفتها للإسلام ... ففى رد القومية أو الوطنية مثلا : تجلى

عقيدة الولاء لله سبحانه، وفى نقض العلمانية تؤكد قضية الحاكمية كما جاء بها الإسلام .[١]

وسائل التجديد فى الفكر الإسلامى

لابد من توجيه العقلية الإسلامية نحو التجديد والإبداع فى كافة ميادين العلوم والمعارف باعتبار كل معرفة هادية إلى الإيمان بالله ، ومن أجل ذلك ينبغى الآتى :

١ـ إعادة النظر فى مناهج الدراسة فى الكليات الشرعية واللغوية وتحريرها من كل ما يخالف النص أو العقل ، حتى يتحرر الخريجون من الخرافات والأساطير .

٢ـ تدريس مادة مناهج البحث العلمى والجمع فى هذه المادة بين مناهج المسلمين والمناهج الغربية واختيار أفضل المناهج لطرح بحوث علمية جديدة .

٣ـ التركيز على نشر البحوث التى تناولت التراث بالتحقيق والتعليق وأخرجته فى ثوب يتلاءم مع المستجدات العلمية الحديثة .

٤ـ ربط البحوث والدراسات الحديثة بمشكلات العصر وطلب طرح الحلول القابلة للتنفيذ لها مثل مشكلة (الأمية ، الفقر ، المرض ، التخلف ، الهزيمة النفسية) .

---

[١] انظر فيما سبق : بين الثقافتين ص ٩٤ ، ١٦٧ والفكر الإسلامي الحديث للمبارك ص ١١١ ونظام الإسلام ص ٣٥ نقلا عن حقيقة الفكر الإسلامي ص ٢٢٣ / ٢٢٤ بتصرف.

٥ــ التركيز على الدراسات الواقعية والحد من الدراسات الغيبية لأنه لا جديد فيها ونصوص القرآن الآمرة بالنظر فى الكون والنفس لا تقف عند زمن بعينه ولا أمة بذاتها بل ما تليت النصوص الآمرة بذلك فالأمة بأسرها مأمورة به ولو استجيب لذلك لكان حالة المسلمين غير ما هم عليه الآن .

٦ــ تقرير كتب المستنيرين فى كل منهج له صلة بهذه الكتب ، لأن كثيرا مما أنتجه المجددون فى الفكر الإسلامي لا يدرس فى الكليات الشرعية وما يدرس فيها هو انتقاء من الماضى لاعتبارات اقتصادية تتعلق بهيئة التدريس .

٧ــ الإكثار من المسابقات فى كافة ميادين المعرفة لتنمية القدرات العقلية وطرح المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطلب الحلول لها من الجميع حتى تتبارى العقول فى ميدان السبق والإبداع .

٨ــ الحد من المسابقات الهزيلة المتعلقة باسم الأفلام والفنانين ونجوم الكرة وكأس العالم والدورى .. الخ لأن هذه الميادين لا تنمى عقلا ولا تبعث فكرا ، فضلا عن كونها مضيعة للمال والجهد .

٩ــ الإكثار من المؤتمرات والمنتديات بأسلوب تدريجى (كليات ــ جامعات ــ دولة ــ دول العالم الإسلامى) لطرح كل جديد فى الفكر الإسلامي على غرار جائزة نوبل والملك فيصل وغيرهما .

١٠ـ كفالة حرية الرأى فى كافة المراحل التعليمية وقبول النقد من الآخر ، وتدريب الطلاب على النقد البناء لأن النقد فيه نماء للعقل وقدح للذهن مع طلب البديل فى حال الرفض .

١٢ـ تحرير البحث العلمى من تقديس التراث مع الالتزام بتقديره واحترامه لأن التقديس مانع من تجاوز الحد والاحترام تقدير للماضى ولا حاضر بلا ماضى .

معوقات التجديد فى الفكر الإسلامي فى العصر الحديث :

إذا كان تجديد الفكر الإسلامى مطلوبا فلماذا لا يشتغل به كثيرون باعتباره ضرورة تفرض نفسها على واقع المسلمين ؟ وللإجابة نقول :

إن التجديد لم يتوقف بالكلية فالتحقيق لون من التجديد وقليل من الإبداع موجود ولكن عوامل عدة حالت دون جعل التجديد هو القاعدة والتقليد أو المحاكاة هو الاستثناء نذكر منها :

١ـ التجديد ليس بالأمر الهين بل يفتقر إلى قدرات علمية خاصة وعمل عقلى دؤوب واجتهاد ذهنى بالغ المدى والبحوث التقليدية لا تتطلب شيئا من هذا .

٢ـ التجديد كثيرا ما ينبذ أهله فى الأوساط العلمية ويتهمون بالمروق عن الدين والفسق والرمى بالزندقة فى الوقت الذى يلقى فيه المقلدون كل احترام ومودة .

٣- كثيرا ما يلقى بالمجددين فى السجن ، ومات بعضهم فيه مثل ابن تيمية وجمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده وقاسم أمين ومحمد البهى وغيرهم ، وكم صدرت قرارات حرمان بنشر كتبهم بل وجمعها وحرقها وليس كذلك المقلدون .

٤- المجددون لا يتبعهم من الناس إلا الخواص وخواص الخواص والمقلدون يتبعهم العوام والغوغاء ، والنفس البشرية مفطورة على الائتلاف لا المطاردة.

٥- الخوف من مصادمة الرأى العام ، فالتراث فى فكر وعقل كثيرين مقدس لا يجوز المساس به والمجددون يحترمون التراث ولكنهم يتجاوزونه إلى لغة العصر وضروراته فتنزل كتاباتهم كالسهام على المقلدين الذين يستطيعون إثارة الرأى العام ضد هؤلاء المجددين .

٦- زعم أقلية بأن باب الاجتهاد قد أغلق وأن عصر الاجماع قد ولى ، وكل رأى جديد يعد مروقا من الشرع وخروجا على الإسلام .

ضوابط تجديد التفكير فى الإسلام

إذا كنا ندعو إلى تجديد الفكر الإسلامى ، فإن الدعوة لا تعنى إطلاق العنان للعقل ليكتب ما تراءى له أو ينطق بما تجلى له بدعوى التجديد بل لابد من ضوابط لحركة التجديد منها القديم ومنها الجديد ، ليكون سير الفكر منضبطا بها حتى تأتى النتائج متسقة مع النص القرآنى والحديث النبوى الشريف ، ومن هذه الضوابط ما يلى :

١- الموضوعية فى البحث ، وبه ورد النص (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا) سبأ : ٤٦ وقد مدح الله أناسا بحثوا عن الحقيقة لذاتها، فلما أدركوها لم يعدلوا عنها بل فرحوا بها واتبعوها (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) المائدة : ٨٣ وقد ذكر القرآن الجن وطلبهم الحق وإيمانهم به بعد إدراكه لتجردهم من المؤثرات السابقة ، قائلين لقومهم (يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) . الأحقاف : ٣١

٢- انتفاء التسليم المطلق بموروثات الآباء فى كافة المجالات تسليما خاليا من النقد وإعادة النظر فيه ، لأن التراث الدينى الفكري كثيرا ما يكون سببا فى الفساد والضلال ، وقد عاب القرآن أناسا حاكوا آباء هم دون إعمال العقل فيما ورثوا عنهم، قال تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباء نا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة : ١٧٠ . (أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ..... قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباء كم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم ..) . الزخرف : ٢٣ ، ٢٥

٣ــ توفر الدليل على الكلمة المكتوبة والحجة المدعاة ، عملا بقوله (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) النمل : ٦٤ . (لولا يأتونا عليهم بسلطان بين) الكهف: ١٥ بل إن طلب الدليل حق مكفول للخصوم (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) هود : ٥٣ . (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) الأحقاف : ٤ .

إن طلب الدليل يحد من إلقاء الكلام على عواهنه ويحول من الرد لمجرد الرد أو القبول لمجرد القبول .

٤ــ النهى عن اعتماد الظن سبيلا للأحكام (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا)يونس: ٣٦ . (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى . وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) النجم : ٢٧ ، ٢٨ .

٥ــ مراجعة الأفكار المطروحة واختبار ونشر ما توافر عليه الدليل، ورد ما لا دليل عليه ، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات : ٦ وقوله تعالى (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء : ٨٣

٦- التنزه عن الهوى فى البحث وأن لا يكون للهوى على الباحث سبيل ، لأنه يحيد به عن الصواب (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ص ٢٦ .

٧- عدم البحث فيما نهينا عن التفكير فيه ، لأن فيه توفير لقدرات العقل للإنتفاع بها فى ميادين أخرى كالكونيات والإنسانيات ، وقد خاض السابقون فيما نهوا عن الخوض فيه فلم يصلوا إلى شيئ ، ولا يزال الخلاف قائما بين أتباعهم كالخوض فى ذات الله من حيث كونها جوهر أو عرض أو لا جوهر ولا عرض والخوض فى الصفات وهل هى عين الذات أو قائمة به والصلاح والأصلح والجبر والاختيار .

٨- عدم بتر النصوص القرآنية عند البحث فيها أو الاستشهاد بها ، وعدم وضع النتيجة مسبقا مع طلب المقدمات لها ، وذلك كالاستشهاد على الجبر بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) الصافات : ٩٦ مع أن النص لا صلة له فى سياق القصة بالجبر أو الاختيار لأن إبراهيم ، عليه السلام ، يعتب على قومه اتخاذهم آلهة من دون الله قائلا لهم : إن هذه الآلهة مخلوقة مثلكم فى أجرامها وأنكم تصنعونها بأيديكم وتؤلهونها فكيف ؟ ومثل ذلك الاستشهاد على إقامة المرأة فى البيت وحرمة خروجها ولو إلى المساجد أخذا من قوله تعالى (وقرن فى بيوتكن) الأحزاب : ٣٣ مع أن النص فى ضوء ما سبق من

آيات لا يأمر بالمكث فى البيت بل بترك الخلاف فى البيت والحرص على جعله محل قرار واستقرار.

٩ـ طرح البديل في حال النقد أو الهدم فالهدم وحده لا يكفى ، وما أيسر الهدم وأعز البناء ، والتركيز على النقد معوق من معوقات الإبداع والتجديد وبخاصة النقد الهدام ، ونحن بحاجة إلى النقد البناء حتى لا نخرج عن الطريق الصحيح .

١٠ـ مراجعة الكتب التى كتبت عن آداب البحث العلمي ، لأن ما سبق هى ضوابط شرعية وهناك ضوابط بحثية بحاجة إلى إنزالها منزلتها فى البحث العلمى بهدف الوصول إلى الحقيقة

ـ التجديد فى الخطاب الدينى ـ

الخطاب الديني هو ما يوجه إلى الغير بهدف الدعوة أو الاقناع أو التثبيت والإيضاح ودرء الشبهات ، فإن المخاطبين ينقسمون إلى قسمين :

١ـ القسم الأول : مسلمون يقيمون فى ديار الإسلام وإن أقام معهم غير المسلمين .

٢ـ القسم الثانى : خارج ديار الإسلام ممن لا يدينون به وإن دانت قلة به فى تلك الديار .

والخطاب الديني الداخلي ينبغي تجديده عن طريق :

١ـ حسن طرح القضايا العقدية بما يؤدى إلى إيجابية الاعتقاد فى المجتمع الإسلامى ، وقد نجح هذا الخطاب فى صدر الإسلام ، حين

فهم المسلمون معنى الألوهية والربوبية فهما صحيحا ، فما صدر أمر إلهى وإن خالف هواهم ولا نهى وإن خالف عادة متبعة وسنة جارية عندهم إلا ونهض المسلمون الأول للإلتزام بها، بمثل ما نهض المسلمون لسكب ما معهم من خمر حين نزلت آيات التحريم ، والجمع بين القبلتين حين بلغ أهل قباء تحول القبلة : فضلاً عما ينبغى تناوله من طرح كالرقابة الإلهية والطمأنينة النفسية على أثر الإيمان والتكافل الاجتماعي وغرس الأمل فى التوبة وإن كان الإسراف في المعـصية ، وبيان صفات الجلال والجمال للذات الإلهية والنهى عن الخوض فيما خاض فيه علماء الكلام في فترة من الزمن فرضت نفسها عليهم أفكار وافدة وعقائد شاردة فضلا عن المصطلحات الفلسفية التى وردت فى كتب العقيدة كالهيولى والصورة والجوهر والعرض والجوهر الفر . . . . الخ

كما لا يجوز الإسراف فى الخطاب الدينى المتعلق بالألوهية إلى حد الملل أو السأم ولا يجوز الخوض فيما نهينا عن الخوض فيه ، ونبذ طرح قضايا الخلاف بين التفويض والتأويل والسلف والخلف ، والمذهبيات والفرق ، وحسبنا النصوص الجامعة المتعلقة بذات الله فى القرآن وصحيح السنة وقد تركت لفهم الصحابة والتابعين دون سؤالهم عن أى النصوص المتعلقة بها .

وينبغى اعتماد منهج القرآن فى الاقناع العقلى بقضايا الاعتقاد وقضايا التشريع وبيان أن كل أمر يحبه الله فيه مصلحة البشر أجمعين وكل أمر يكرهه الله أو يبغضه فيه ضرر بسائر البشر أجمعين، فاتباع الأمر واجتناب النهى هو لصالح البشر وليس لله فيه

نصيب (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولن يناله التقوى منكم)[1] وفى الحديث القدسى (إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . . .) *

كما أن الحديث عن الملائكة ينبغى أن يخرج من دائرة الكلام عن طولهم وعرضهم وقدرتهم ــ إلا ما فيه نص ــ إلى الحديث عن علاقتهم بالإنسان وعلاقة الإنسان بهم ، وإلى تحذير الإنسان من الإصرار على المعصية حتى لا يصيبه ما أصاب إبليس ــ على رأى من قال بملائكيته قبل المعصية ــ مع إبراز فضل الإنسان المسلم فى ضوء خدمة الملائكة له ، من طريق الحفظ له والاستغفار والصلاة عليه والتهنئة له عند الوفاة إن كان من الصالحين ونصرته فى المعارك ــ دون تناول قضايا الخلاف بالطرح على الرأى العام ــ مثل قتال الملائكة مع المسلمين هل هو حقيقى أو مجازى وهل هو حسى أم معنوى.

وأما طرح الإيمان بالكتب ، فحسبنا ما تحدث الله به عن القرآن من خصائص وحسبنا ما احتواه القرآن من دقائق والتى لو طرحت طرحا حسنا فى مجال العقيدة والشريعة والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والعلاقات الدولية فى السلم والحرب . . . الخ لكان لها كبير الأثر .

---

(١) الحج : ٣٧

* مسلم كتاب البر باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤

وأما الإيمان بالرسل فطرحه عن طريق الخطاب الدينى ينبغى أن يتحرر من الخرافات والأساطير وبخاصة أن الرسل على وجه الخصوص قد نقل الكثير من سيرهم وما يتعلق بها عن أهل الكتاب وحسبنا من دليل على هذا ما ورد فى تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير والبدء والتاريخ للمقدسى والبداية والنهاية لابن كثير وقصص الأنبياء للثعلبى .

والطرح الجديد يكون ببيان أخلاقهم ومنهجهم فى الدعوة والصبر على الايذاء وبيان أسباب الفناء والبقاء فى الأمم السابقة ، وسنن الله فى الكون وأسباب الشقاء فى الحياة ، وتحذير الأمة الإسلامية من أن يصيبها مثل ما أصاب الأمم السابقة ، وما نظن ذكر القصص النبوى فى القرآن إلا لهذه الغاية (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى) يوسف : ١١١

والخطاب المتعلق برسول الله ــ محمد ــ صلى الله عليه وسلم، ينبغى أن يعاد النظر فيه فى ضوء القرآن والسنة ، فلا إفراط وثناء ومدح يرقى به إلى مرتبة الألوهية لمصادمة ذلك لنصوص القرآن والسنة ولا تفريط يمنع الخطباء والدعاة والوعاظ من الحديث عنه فى زمن معين بدعوى الابتداع فى الدين فى الوقت الذى لا تعارض فيه الأعياد القومية .

كما أن جهل المسلمين ببيت النبوة خاصة جعل كثيرا من الزيجات لا يستطيعون حل مشاكلهم ، لتصور كل منهم أن الزواج جنة

لا لغو فيها ولا تأثيم ولو وقفوا على السنة الصحيحة والسيرة النبوية الصريحة لأدركوا أن الخلافات الزوجية فطرية وأن علاجها يتطلب حكمة ، ولأدرك الرجال أن المطالب المادية من قبل النساء أمر فطرى كما أن الغيرة والمكيدة شيئ طبعى فى المرأة ولعلمت المرأة أن الصبر على طاعة الله والعيش من حلال فى حدود المسموح خير من ترف العيش مع المعصية ، وأن المرأة مطالبة شرعا بجعل البيت دار استقرار لا مصدر إيلام نفسى (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهـــــــيرا) الأحزاب:٣٣

إن السيرة النبوية من القرآن الكريم لم تخرج كاملة إلى حيز الوجود وإن وردت متناثرة فى ثنايا الكتب ، وما كتب حول " السيرة النبوية الصحيحة" فإن الاعتماد فيه كان على كتب السير وروايات السنة ، ويبقى الحديث فى المزمل والمدثر والتحريم والأحزاب وغيرهم بحاجة إلى بيان فى ضوء حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

وأما اليوم الآخر فإن التجديد فى طرحه لا يكون عن طريق التهويل والاعتماد على الروايات المنقولة عن بنى إسرائيل والحديث عن النار بلا دليل وتفصيل نعيم الجنة عن طريق الوضاعين.

إن احترام العقل مبدأ إسلامى ، وهو أوضح ما يكون فى حديث القرآن عن الإلهيات والنبوات والسمعيات ، لقد قدم القرآن أدلة البعث وحاكم الإنسان إلى عقله وإلى واقعه ، حين طرح عددا من الأسئلة عن طريق القياس ولفت النظر إلى الواقع وذكر أخبار الماضى ، وحسبنا ما ذكره القرآن من أسئلة حول اليوم الآخر (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) ص ٢٨ . (قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) الرعد : ١٦ . (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) الجاثية : ٢١

ومما ينبغى اعتباره فى الخطاب الدينى عن الآخرة بيان منهج القرآن فى ذكر اليوم الآخر وكونه من القواعد العامة التى وضعها الإسلام للحد من الجريمة فى المجتمع الإسلامى وبيان الآثار المترتبة على الإيمان بهذا اليوم .

وأما التجديد فى القضاء والقدر فيكون بترك ما تم الخوض فيه فى الماضى كالجبر والاختيار لأنه لا ينتهى إلى شيئ مسلم لدى الطرفين ، والرد من كل على الآخر مستطاع ويكفى أن الخوض فيه

داخل فى دائرة المنهى عنه (إذا ذكر القدر فأمسكوا)[١]. (القدرية مجوس هذه الأمة) [٢]. (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[٣]

لقد أساء المستشرقون فهم القضاء والقدر فى الإسلام ، وقد رد عليهم الإمام محمد عبده قائلا " هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الأحوال ، ويحليها بحلي الجود والسخاء ، ويدعوها إلى الخروج عن كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح والتخلى عن نضرة الحياة .. كل هذا فى سبيل الحق الذى دعاها إلى الاعتقاد بهذه العقيدة.

والذى يعتقد بأن الأجل محدود والرزق مكفول والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء ، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته أو ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله .. ؟

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضله فى قوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) [٤]

---

(١) ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال : ٢٥/٧

(٢) أبو داود كتاب السنة باب القدر ٢٢١/٤

(٣) مسلم كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي

(٤) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤

هذا الاعتقاد هو الذى ثبتت به أقدام بعض الأعداد القليلة منهم أمام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها بسيط البيداء ، فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على أعقابهم " [١]

٢ــ تجديد الخطاب الدينى فى مجال الشريعة :

أولا : فى مجال العبادات :

والطرح الجديد يكون ببيان الفرق بين الدين والمذهب الفقهى وبين المذاهب الفقهية والعقيدة الإسلامية ، وبيان أن الأئمة القدامى لم يحملوا أحدا على فقههم ولم يردوا مذهب غيرهم ، إن الخطاب الدينى ــ لدى كثيرين ــ قد أنزل الفقه منزلة الاعتقاد ، وحكم ببطلان كثير من العبادات لأنه لا أصل لها بل لجهل المنكر لذلك الأصل أو لتعصبه لمذهب بعينه . ومما ينبغى التجديد فيه اعتبار الاجتهادات الحديثة فى الفقه الإسلامى ، لأنها عالجت كثيرا من المستجدات التى لم يرد لها أصل فى العصور الأولى لصدر الإسلام .

كما ينبغى الربط بين العبادة وأثرها فى الإسلام ، فأى صلاة أو صيام أو حج لتجار المخدرات وبائعى السموم وفاتحى الخمارات والبارات والكباريهات. إن التركيز على أهداف العبادة قيد لابد منه لربط العبادة بالسلوك ، بل غاية العبادة من ظواهر النصوص حمل الإنسان على الاستقامة ، وما نظن قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن

تاريخ الإمام ج٢ ص ٢٥٩ / ٢٦٧ نقلا عن الفكر الإسلامي الحديث ط٤ ص ١٤٠ ، ١٤١ بتصرف

الفحشاء والمنكر) العنكبوت : ٤٥ وقوله (كتب [illegible]يام كما [illegible] على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة : ١٨٣ وقوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) البقرة : ١٩٧ . (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة : ١٠٣ كل ذلك غير خاف على أحد .

ومما ينبغى تجديد الخطاب الدينى فيه بشأن العبادات بيان آثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى حياة الأمة . كذلك ربط قبول العبادات بالأكل الحلال والكسب الحلال ، وبيان أن كل عبادة شابتها شائبة الحرام من المال أو الرياء أو الشهرة ... الخ مردودة على صاحبها .

وإظهار فلسفة التشريع فى العبادات أمر محبب إلى نفس المستمعين لبيان حظ الغنى والفقير والكبير والصغير والصحيح والسقيم من هذا التشريع كما أن تصحيح المفاهيم حيال العبادات ينبغى التركيز عليه ، فأى فائدة لتكرار الحج وصاحبه سارق أو ناهب أو مرتشى أو آكل أموال الناس بالباطل أو مانع أخوته إرث أو معطل حقا لله عليه أو مكرر لسنة وإلى جواره مريض يطلب العلاج وفقير يطلب أدنى العيش وراغب فى الزواج يريد العفاف .

إن الطرح الإسلامى حتى الآن فيه تقصير ، لأن القائمين على الطرح كثيرا ما يركزون على أداء الفريضة دون لازمها ، وأحيانا لا

يفرقون بين الفريضة والنافلة ، فالدعوة إلى تكرار الحج دعوة إلى تكرار السنة مع أنه لم يثبت عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكرارها ـ وإن ثبت التكرار بالسنة القولية ، ويظن الناس أن التكرار لون من تكرار الفرض حيث يزعمون أو يعلنون أنهم أدوا الفريضة سبع مرات ، مع أن الفريضة تسقط بالأداء الأول الصحيح .

إن فقه الأولويات ينبغى أن يطرح وإن تقديم الأهم على المهم مطلوب وإن الاشتغال بالسنة مع ترك الفريضة مخالف لمبادئ الإسلام وقيمه ومما ينبغى التركيز عليه فى الخطاب الدينى بيان يسر التشريع وسهولته وأهدافه وآثاره فى حياة الفرد والأمة .

ثانيا : فى مجال المعاملات :

وتجديد الخطاب الدينى حولها يكون بالفهم الصحيح لها ولختيار الأيسر وما يتناسب مع متطلبات العصر واحترام الاجتهادات المتأخرة ، واعتبار اجتهاد أهل كل زمن والوقوف على قررات المجامع الإسلامية المتعددة وتقدير الاجتهادات المحلية على غرار القديم والجديد فى فقه الشافعى والإمام والصاحبين فى فقه الأحناف ، وما ارتآه ابن تيمية مخالفا فيه مذهب أحمد بن حنبل سائر المذاهب دون أن يتعصب لها .

كما أن طرح المختلف فيه باعتباره آراء فقهية قابلة للعمل بها يؤدى إلى حل مشكلة كبرى ظاهرها التعارض والتصادم مما يوقع

الناس فى حيرة من أمرهم ، والأولى أن يكون الخطاب ناتجا عن قرارات مجامع فيما لا نص فيه وما فيه نص ينظر فيه فى ضوء المستجدات وفقه الواقع وفقه النوازل .

ثالثا : فى مجال الأنكحة :ـ

وأما التجديد فى الأنكحة فيكون بحسن طرح العلاقات الأسرية فى الإسلام ، وتصحيح مفهوم الزوجية وكون العقد عقد شركة لا عقد ملكية من أحد الطرفين للآخر وكون الحقوق والواجبات متقاربة وللمرأة على الرجل مثل ما للرجل على المرأة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) البقرة : ٢٢٨ .

كما أن التراث الفقهى بحاجة إلى تنقية فى هذا المجال ، فكون المهر مقابل الاستمتاع وكون الانفاق مقابل اللذة .. الخ مما ينبغى إعادة النظر فيه .

كما أن كل رأى فقهى أو تفسيرى لا يتناسب مع قيم الإسلام ومبادئه يجب استبعاده كالحديث عن تقييد المرأة من رجليها فى حال النشوز أخذا من قولهم : هجر البعير إذا قيده ، والأثر ثلاثة إذا أهنتهم أكرموك : المرأة والخادم والنبطى مما لا أساس له من الصحة .

إن الخطاب الثقافى الإعلامى فى قضايا الدين لا يقل عن الخطاب الدينى المباشر ، وقد أسيئ طرح الجوانب الاجتماعية من هذا

الطريق ، فسرعة الطلاق فى المسلسلات دون التماس أسباب العلاج والتصريح بالتعدد دون ذكر قيوده أو شروطه مما يشوه صورة الإسلام فى الداخل والخارج .

ومما ينبغى [illegible] الخطاب الدينى حوله فى الأنكحة [illegible] عن الزواج غير الموثـــق (الزواج العرفى) وزواج المسير وزواج المتعة ، وهو ما يتطلب طرحا جديدا لبيان المقبول والمرذول منه .

كما أن تناول مشكلة العنوسة والعزوبة وكثرة الطلاق والأرامل وغيرها من المشاكل الاجتماعية ينبغى أن يطرح ويقدم الحل القابل للتطبيق .

رابعا : وأما الحدود والجنايات :ــ

فلا يتأتى طرح العقوبات المقدرة دون بيان [illegible] سريعه لإيقاع الحد ، مع بيان أن الحد بمثابة [illegible] جزاء بين الفرد والدولة ، إن ارتكب كذا عوقب بكذا ، وإن تعمده ارتكاب هذا الأمر يوجب إيقاع الشرط الجزائى إذا استوفى شروطه ، مع بيان الآثار الإيجابية لتطبيق الحدود والجنايات ، على الفرد والمجتمع ، وكلها عقوبات تهدف إلى أمن المجتمع وطهره ونقائه وذيوع وشيوع الحب فيه مع المحافظة على الأديان والأبدان والنسل والعقل والمال . والتركيز على شروط وجوب الحد وموانع التنفيذ والمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات مما ينبغى الاهتمام به فى عصرنا الحاضر .

خامسا : فى مجال الجهاد : ـ

وأما تجديد الخطاب الدينى فى ميدان الجهاد فيكون بتصحيح مفهومه وبيان أهدافه ولمن له حق اتخاذ القرار فيه وتقسيمه إلى جهاد دفع وجهاد طلب ، وبيان أسمى مراتب الجهاد (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) [1]

كما أن الحديث عن السلام قرين الحديث عن الجهاد ، من حيث المبدأ وشروط الالتزام به ومتى يكون القتال وأدب القتال فى الإسلام والمقارنة بين مبادئ الإسلام والنظم البشرية فى الماضى والحاضر .

والقوة فى الإسلام مانعة من الحرب لا جالبة له ، وهذا هو ظاهر نص القرآن الكريم وهو ما يؤيده الواقع المعاصر ، ولولا ضعف المسلمين ما صارت أرضهم كلأ مباحا ترعى فيه الغنم من كل بقاع العالم ، فى وقت عجزت فيه نفس الغنم عن الرعى فى بلاد الصين وكوريا الجنوبية وغيرهما .

إن السلام غير الاستسلام ، وإن الخطاب من قوة غير الخطاب من ضعف ، وإن يقين الخصم من قوة عدوه مانع من الاعتداء عليه، قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ٠٠) الأنفال : ٦٠

---

(١) الجامع الكبير ، رقم ٦١٠٧

سادسا فى مجال الأخلاق : ـ

وأما تجديد الخطاب الدينى فى مجال الأخلاق فيكون ببيان الآثار الإيجابية والسلبية لكل منهما ، وبيان اتفاق الأخلاق الإيجابية مع الفطرة السليمة وتحرير الخطاب الديني من الزهد فى الدنيا والميل إلى الآخرة كما أن كثرة الحديث عن ذم المال وعشق الفقر وشظف العيش مما يخالف نصوص القرآن والسنة .

سابعا : فى مجال القضايا الدينية والمبادئ التشريعية :

ومما ينبغى التجديد فيه تناول القضايا الدينية والمبادئ التشريعية المحرم الكلام فيها ، بالبيان ، كالعلاقة بين الحاكم والمحكوم وبيان ما لكل منهما من حقوق وما عليه من واجبات ، وإصدار كتب فى هذا الشأن وتدريسها فى مادة الثقافة الإسلامية حتى لا يساء استخدام ذلك من قبل تيارات شتى تبغى الفتنة أو تحرص على الوقيعة، بل إن بعض الجماعات والجمعيات المارقة لتسيئ استخدام هذه النقطة ، وما خوارج الماضي وخوارج الحاضر عنا ببعيد ، كما أن إساء ة استخدام السلطة ناتج الجهل بالواجبات والتمرد والخروج على الحاكم بإيحاء أجنبى هو ناتج الجهل بالواجبات أيضا .

وينبغى على الخطاب الدينى أن يسد المنافذ التى يدخل إلينا منها الغرب يبغى الفتنة ويزعم التحضر والتحديث وذلك بتناول المبادئ الأساسية التى يزعم الغرب اختصاصه بها مثل (الشورى ـ الحرية ـ

المساواة ـ العدالة الاجتماعية ...) على أن يؤلف عمل علمى واحد من بين الأعمال الكثيرة المتعلقة بهذا الموضوع ويطرح على المشتغلين بالخطاب الدينى لتوحيد الرأى العام حيال هذه المبادئ ، وبخاصة أنها لا تخص جماعة دون أخرى ولا فرقة دون ثانية إذا ما استثنيا طائفة من المسلمين تنزل الأمامة منزلة أسمى مما أوجبه الشرع لها . إن عدم طرح هذه القضايا فى الخطاب الدينى هو الذى فتح الباب لحماة الفكر الغربى وعملاء الاستعمار وأذناب المستشرقين بالضرب على هذا الوتر .

إن حق إبداء الرأى مكفول منذ نزل القرآن (وشاورهم فى الأمر)[١] وهو من سمات أفراد هذه الأمة (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم)[٢] مع وجوبه على كل قادر عليه ، وفى الحديث (لا يحقرن أحدكم نفسه ، أن يرى أمرا لله عليه فيه مقال لا يقوم به فيلقى الله فيقول ما منعك أن تقول يوم كذا وكذا قال : قال يا رب إنى خشيت الناس . قال : قال إياى أحق أن تخشـــى)[٣] مع النهى عن التبعية فى الرأى (لا تكونوا إمعـــة ..)[٤] بشرط العلم بالموضوع محل الشورى (ولا تقف ما ليس لك به علم) الإسراء : ٣٦ وبشرط الإخلاص (المستشار مؤتمن)[٥]. (وأن تنصحوا من ولاه الله أمركم)[٦] وأن تحترم

---

(١) آل عمر [illegible]
(٢) الش [illegible]
(٣) مسند أحمد [illegible] ص ٣٠ رقم ١١٢٧٣ ، ص ٤٧ رقم ١١٤٥٨ ، البيهقي رقم ١٩٩٧١
(٤) الترمذي كتاب [illegible] باب [illegible]سان ٣٦٤/٤ وحسنه .
(٥) الترمذي [illegible]
(٦) مسند أحمد [illegible]

الشورى من قبل ولى الأمر ، مع جواز التفاوت فى الطرح بين الرأى العام كما فى أحد والرأى الخاص كما فى الخندق وبين رؤساء الأحياء والمحافظين كما فى بدر والأحزاب وبين الصفوة كما فى فعل أبى بكر لاختيار عمر وفى ترشيح عمر لستة من الصحابة ...إن عندنا فى التراث الإسلامى حيال هذه المبادئ ما عجزت البشرية عنه فى الماضى وما تعجز عنه فى الحاضر ، ويمكن الاستفادة من وسائل التطبيق فى ضوء ما تطبقه النظم الغربية فى الانتخابات .

ثامنا : فى مجال غرس العزة ونزع السلبية :ـ

ومما ينبغى اشتغال الخطاب الدينى به نزع بذرة السلبية والذلة والهوان التى بذرت فى قلوب الناشئة وغرس نبتة العزة والخيرية والسيادة والريادة وتناول التاريخ الإسلامى لا للتغنى به بل للإستلهام منه ، فحال المسلمين اليوم ليس بأسوأ من حال العرب وقت البعثة ، وقوة الغرب اليوم لا تفوق قوة الفرس والروم إذا قورنت بزمن البعثة ، وعوامل البناء فى بلاد الإسلام أكثر منها فى بلاد العرب، وعوامل الهدم فى الحضارة الغربية أكثر منها فى الفرس والروم ، وما هى إلا سنوات محدودة انقلبت فيها الأمور رأسا على عقب ، وقبل مضى خمسين عاما من البعثة كان العرب أمة لها دولة فتحت الشام وشمال إفريقيا ووصلت عاصمة فارس وأطراف الروم ، فلا يأس (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) [١]

---

(١)

تاسعا : فى مجال تصحيح المفاهيم الخاطئة :ـ

تصحيح المفاهيم التى ساد خطؤها عبر الزمن الماضى ، فمفهوم العلم قد قصر على العلم الشرعى ، ومنذ ظهر الإسلام حتى الآن والناس يرون أن التعليم الشرعى وحده هو المنجى من النار والموجب للجنة للأبناء والآباء ، وما درى هؤلاء أن كل علم هادف هو فى عداد العلوم الشرعية ، وأن أعرف الناس بالله هم المشتغلون بالعلوم التطبيقية (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء) . فاطر:٢٨

ومما ظهر فى العصر الحديث مقولة حرمة العمل فى المصارف والبنوك ، وحرمة التداوى والاقتصار فى العلاج على الطب النبوى ، وحرمة تعلم الطب ، وحرمة الاشتغال بالكيمياء كما ذكر ذلك ابن خلدون فى مقدمته .

عاشرا : فى مجال المفردات الشرعية وطرحها :ـ

عدم الاستحياء من تناول مفردات نص عليها القرآن والسنة كالجهاد والقتال والاستشهاد والحكم بالكفر على طائفة ما .. فلكل أمة خصوصيتها وتقاليدها وفكرها ، وما لنا نستحى من كلام قاله ربنا ونص عليه نبينا ولا نستحى من كلام نردده مخالف لديننا وقيمنا ومبادئنا ، كوصف المجاهدين بالإرهابيين والمقاومين بالمعتدين

والأعداء بالأصدقاء والمستعمرين بالحلفاء والمفسدين فى الأرض بالمصلحين .

إن الحرب والدمار وخراب الديار أمر مشروع فى الحضارة الغربية لمجرد الظن ، وإن القائمين عليه يوصفون بدعاة الحرية والديمقراطية ، مع أن حربهم لا تعرف قيما ولا مبادئ ولا حرية ولا ديمقراطية .

لماذا لا نطرح أدب القتال فى الإسلام من حيث المشروعية والآداب والآثار ونقارن بينه وبين الحضارات الغربية منذ الحرب العالمية الأولى وما تبعها من حروب فى بلاد الإسلام .

أحد عشر: فى مجال حقوق غير المسلمين فى ديار الإسلام:

ومما ينبغى تناوله كتجديد فى الخطاب الدينى : بيان حقوق غير المسلمين فى ديار الإسلام ، لأن هذا الأمر يضرب عليه الغرب الآن ، لإيقاد الفتنة فى بلاد الإسلام، وبخاصة أنه لم تخل دولة من وجود غير المسلمين فيها ، حتى إن المملكة العربية السعودية لم تسلم من هذه الفرية ، وكم أدينت من منظمات ودول غربية بدعوى أنها مقصرة فى حقوق الإنسان (ويقصدون حرية الاعتقاد وإقامة الكنائس) .

إن تناول حقوق غير المسلمين فى ديار الإسلام يؤدى إلى ثلاثة فوائد فى وقت واحد .

الفائدة الأولى : تكميم أفواه وكسر أقلام وطى صحف الغرب حيال هذه القضية لأنهم لن يجدوا متنفسا فى هذا المجال .

الفائدة الثانية : إيجاد وعى لدى أفراد الأمة من المسلمين بحقوق هؤلاء فى أعناقهم ، وأن الإسلام قد كفل لهم من الحقوق مثل ما كفل للمسلمين كحق الحياة وحق الحرية والكرامة والتملك والعمل والحل والترحال والعدل ، والإمام مسئول عن إقامة هذه الحقوق لهم .

وفى إطار تسامح الإسلام ينبغى إبراز ما أذن به الإسلام مثل جواز زواج المسلم من الكتابية وأن يأكل من طعامهم (الذبائح) ويشترى منهم ويبيع لهم مع جواز المشاركة فى الأفراح والأحزان وعيادة مرضاهم ورعاية جوارهم ويعطوا من بيت مال المسلمين وترد عليهم التحية ويلقى عليهم السلام ـ لزوال علة المنع ـ وتقبل منهم الهدايا وتسقط عنهم الجزية إن اشتركوا فى الجيش .

وبهذا العرض يتأكد لكل مسلم حق أهل الذمة فلا إيذاء ولا اعتداء ولا أخذ مال ولا استباحة عرض ، وبذلك يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأهليهم فى ديار الإسلام بشرط ألا يكونوا عينا على المسلمين ولا [illegible]سروا عدوا ولا ينتهكوا حرمة وعندها يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

الفائدة الثالثة : تحصين فكر أهل الكتاب ضد الثورات والانقلابات والمؤامرات الخارجية ، لأنهم حين يسمعون هذا الخطاب ويتوفر لهم العلم به يدركون مدى الأمان على ما سبقت الإشارة إليه ، ولن يجدوا لما يوعز إليهم به سبيلا فضلا عن حبهم للإسلام والمسلمين .

ثانى عشر : فى مجال القضايا الكبرى للأمة الإسلامية :

وجوب معالجة القضايا الكبرى فى الخطاب الدينى ، وذكر البدائل إذا تعذرت الأسس ، فعلى سبيل المثال (وحدة المسلمين فرض عين) والتحذير من فرقتهم نص عليه القرآن قبل وقوعه وبين آثاره فى حال وقوعه . بل إن وصف المسلمين بالأمة الواحدة قد ورد مرتين فى سورتين مكيتين ، قبل أن يكون للمسلمين دولة أو تكون لهم أمة بالقياس لوقت التنزيل ، والنهى عن التنازع ورد فى العهد المدنى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين).الأنفال : ٤٦ (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) آل عمران : ١٠٣ . والبديل المقترح الآن لوحدة الدول الاسلامية فى دولة واحدة هو إحترام قرارات منظمة المؤتمر الإسلامى ، باعتبارها ممثلة لسائر بلاد العالم الإسلامى وتشكيلها من علماء يجمعون بين السياسة والدين قادرين على الاجتهاد يمثلون جميع الدول الإسلامية ، ليجتمع هؤلاء ويرسمون سياسة العالم

الإسلامى على أسس دينية سياسية ، يكون الناتج لها صالح الأمة الإسلامية وتكون قرارات المنظمة ملزمة .

ثالث عشر : فى مجال الثقافة التى تطرح :ـ

عادة النظر فى الثقافة واجبة الطرح ، فالعالم الغربى له ثقافته وهو يطرحها ولا يبالى والدول الشيوعية لها ثقافتها وهى تطرحها ولا تبالى ، ونحن نستحى من طرح الثقافة الإسلامية ككل لا يتجزأ . نحن نطرح وندرس ثقافة السلام أمام عدو لا يعرف السلام ، ونطرح ثقافة الحوار الحضارى أمام معتد يفرض رأيه وفكره بالقوة ، يحرص على طرح هويتنا قبل مسخ ذاتيتنا مع حرصه على هويته وذاتيته ، علينا أن نطرح ثقافتنا ككل لا يتجزأ ، متى السلام . متى الحرب . متى الحوار متى الصدام . من نحن . ما الآخر ...؟

رابع عشر : فى ميادين البلاغ :ـ

توسيع دائرة الخطاب الدينى وعدم قصره على الأساليب التقليدية ، بل لابد من اقتحام ميدان الإعلام المرئى والمسموع ، وتوسيع دائرة التبليغ فى مجال الأفلام والمسلسلات والمسرحيات ، وكتابة أعمال فنية بحس دينى وقد لاقت الأفلام والمسلسلات ذات الصفة من النجاح ما لا نظير له مثل مسلسل عمر بن عبدالعزيز، أبو حنيفة النعمان ، هارون الرشيد ، وإسلاماه ، إن انتقاء بعض الأشعار والأ[illegible] وطرحها على ساحة الفن أمر مطلوب وما لم نطرح

الكلمة الطيبة سوف تطرح الكلمة الخبيثة ، وما لم نسد العجز في مجال النص بأساليب محمودة سوف يسد العجز بأساليب مرذولة .

خامس عشر : فى ميدان التربية والتعليم :ـ

إدراج الخطاب الدينى فى مناهج التربية والتعليم وعدم قصره على أسلوب الموعظة ويكفى أن يعقب المدرس فى مجال التاريخ على بيان سنن الله فى الكون ، وأخذ العظة والعبرة من التاريخ مع ذكر شيئ من النصوص القرآنية ذات الصلة بالموضوع . وفى مجال الجغرافيا يمكن التعقيب على الظواهر الجوية والأجرام السماوية والمكونات الأرضية بنص قرآنى فى بدء الموضوع أو خاتمته ليكون العلم للدين ويكون الدين معضدا للعلم ، كما ينبغى وزن بعض النظريات بميزان الشرع كنظرية السديم والإنشطار الكونى وانفجار المجرة وغير ذلك من النظريات التى تنفى الخلق والخالق وتنسب الوجود والنظم والإبداع والرعاية والعناية إلى الذاتية والصدفة والطبيعة التى انتهت من نظمها وتكوينها إلى ما انتهت إليه مما يصادم نصوص الدين صراحة ، وفى الأحياء لابد من التعليق على النظريات الوافدة والتي لاقت رواجا وقبولا لدى بعض الأوساط العلمية مثل نظرية دارون فى النشوء والارتقاء ، ونظرية التحليل النفسى لفرويد وبيان بطلان هذه النظريات لمصادمتها الدين والعلم ، إن تعميم روح الدين فى كافة العلوم والمعارف أمر ممكن ، وبخاصة القضايا التى تثير دراستها شبها حول الدين .

سادس عشر : فى مجال الريادة الفكرية :ــ

إتاحة الفرصة لأعلام الفكر والفقه بالظهور فى وسائل الإعلام المؤثرة فكريا وتحرير هذه الوسائل من سيطرة المأجورين والمنافقين والتقليديين ومن على شاكلتهم ؛ إن الناس فى هذا الزمان قد ضاقوا ذرعا بالخطاب الدينى لأنهم ملوا رؤية المتكلم أو علموا من أمره ما ينفرهم عنه ، أو رأوا من سلوكه ما يصرفهم عنه أو سمعوا من أقواله ــ فى غير الرسميات ــ ما يبغضهم فيه .

إن أسلوب التنويع فى الخطاب الدينى لا يقل عن وسائل التنويع فى الطعام ، وإن الثبات على طعام واحد يؤدى إلى كره تام للطعام بل إلى المرض فى بعض الأحيان ، إن ذوق الأذن وفقه القلب للكلام لا يقلان عن ذوق اللسان وقابلية المعدة للطعام .

ومما ينبغى مراعاته :ــ

١ ــ الربط بين الماضى والحاضر فى وقائع السيرة وأسباب النزول وتاريخ الأمم وسنن الله فيها ، وبين الحاضر والمستقبل فى استشراف الآفاق والعمل للدنيا على غرار العمل للدين .

٢ ــ طرح المشكلات الواقعة وبيان منهج الإسلام فى غير عاطفة ولا عشوائية ، وما لا نص فيه فإن النص بالإحالة إلى أهل الاختصاص قد ورد فيه ، فليس بلازم إقحام الدين فى كل شيئ ، وإنما تحال بعض الأشياء إلى أهل الاختصاص وكم من حكم فقهى لا يفتى فيه إلا طبيب شرعى .

٣ – تجنيب الخطاب الدينى الخلافات المذهبية القائمة على أسس عقدية عند الطرح العلنى ، حتى لا يؤجج ذلك نار الخلاف بين المسلمين مع بعضهم ، وحتى لا يغتنم خصوم الإسلام هذه الفرقة فيضربوا على الوتر الحساس فيها

والتجديد فى هذا الموطن يكون بجعل الخطاب الدينى سبيلا للتقارب لا للتقاتل ، فيتم التركيز على جوانب الاتفاق كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأصول العبادات ... الخ وأما جوانب الخلاف فتكون فى المؤتمرات والمنتديات الخاصة واللجان المقربة بين المذاهب .

وأما المذهبيات الفقهية فالطرح الجديد فيها يكون ببيان رحمة الله فى ظهورها وصحة العمل بها والنهى عن التعصب لمذهب بعينه .

وتصحيح المفاهيم ببيان كون الأحكام الفقهية جهدا بشريا ييسر سبيل العبادة ويبين كونها قابلة للأخذ والرد وليست دينا يتعبد به ولا يتأتى العدول عنه .

وعلى مقلدى المذاهب أن يعيدوا النظر فى سياسة الانتصار لمذهب بعينه وإبطال ما عداه من مذاهب ، لأن ذلك يضيق أمرا وسعه الله .

٤ – ومما ينبغى اعتباره فى تجديد الخطاب الدينى فقه المستجدات وعدم طرح الاجتهاد الفردى من أى مسئول قبل عرضه على لجنة الفتوى أو مؤتمر الفقه أو مجمع البحوث أو إدارة الفتوى والتشريع ... حتى يتم الخلاف بين المجتهدين داخل الأروقة

العلمية ، ينتهى المجتهدون إلى رأى واحد أو رأيين وتطرح نتيجة الاجتهاد بعد ذلك على الرأى العام ، ليعلم الناس أن فى الأمر محل التناول رأيا واحدا أو رأيا راجحا ورأيا مرجوحا مع إباحة العمل بكليهما .

٥ ـ التفرقة فى الخطاب الدينى بين الركن والهيئة وعدم إنزال السنة أو الهيئة منزلة الركن ، والتفرقة بين المتفق عليه والمختلف فيه ، وعدم إنزال الثانى فى الحكم منزلة الأول ، والتفرقة بين العبادات والعادات ، وعدم إنزال العادات منزلة العبادات ، وتصحيح المفاهيم إذا نزلت العادة منزلة العبادة ، والمقارنة بين المصالح والمفاسد فى الالتزام ، فصلاة العيد سنة ووحدة المسلمين فرض وأداؤها فى الخلاء سنة واتحاد المسلمين فرض .

٦ ـ التحلى بقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه والسمو بالكلمة عن السب والشتم والقذف والاستجابة لأمر القرآن (وقولوا للناس حسنا) البقرة : ٨٣ (إذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) طـه : ٤٣ ، ٤٤

٧ ـ طرح العلاقة بين الإنسان والكون فى الإسلام ، وتصحيح مفهوم الدنيا فى الفكر الإسلامى ، ورد مقولة (لهم الدنيا ولنا الآخرة) . (الفقير الصابر خير من الغنى الشاكر) إن ذلك يتعارض مع مفهوم الاستخلاف فى الأرض ولماذا خلقنا فى الدنيا إن لم يكن لنا فيها نصيب ولماذا رتب الإسلام أجرا على كل عمل دنيوى يقصد به وجه الله كإماطة الأذى عن الطريق ،

غرس شجرة ، زرع بذرة ، حفر بئر ، بناء بيت لابن السبيل ... الخ .

كما أن ثناء الإسلام على المال الصالح للعبد الصالح [١] يبين منزلة الدنيا من الدين . والغنى الشاكر فى كثير من المواطن خير من الفقير الصابر فى نفس المواطن ، كما حدث من أبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف فى بعض المعارك .

٨ ـ قبول الآخر فى الخطاب الدينى والتعامل معه وفق أدب القرآن الكريم (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الأنعام : ١٠٨ . (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) العنكبوت : ٤٦ . (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذن مثلهم) النساء : ١٤٠ (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد) العنكبوت : ٤٦ مع التلطف فى الخطاب (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) . آل عمران : ٦٤

٩ ـ العقلانية فى مناقشة الخصوم وتحرير الخطاب من العاطفة بلا دليل وعدم تناول أسلوب الغير بالسخرية والتهكم دون الكر عليه بالدليل المقنع ، فالثقافة قد اتسعت ومعارف الناس ازدادت والعبرة بالدليل والبرهان .

---

[١] مسند أحمد ١٦٧/٤

١٠ـ وجوب تحميل كل مسلم مسئوليته عن أمن المجتمع ورقيه وازدهاره ونمائه وعدم إلقاء اللائمة على ولاة الأمر وحدهم .
وكذلك تحميل ولاة الأمر مسئولياتهم من حيث القيادة والريادة والوحدة والزود عن الحياض وتطبيق شرع الله فى دنيا الناس .

١١ـ عدم إهمال عوامل النهضة من التناول فى الخطاب الدينى وبخاصة أن الله حبى أمة الإسلام بالموارد البشرية والموارد الطبيعية والموقع فضلا عن العقيدة بما لم يتوفر لغيرها على وجه الإطلاق .

١٢ـ إذا كان التغنى بواقع الغرب سمة كثيرين ، فإن التزامهم الأدبى هو الذى أدى بهم إلى هذا الرقى الحضارى ، مع أن هذا الالتزام دينى فى الإسلام ، فالنظام والنظافة واحترام المواعيد والدقة والاتقان فى العمل والوفاء بالوعد وجمال الصنعة وإماطة الأذى عن الطريق ، ووضع آداب للوقوف على الطريق، والاستئناس قبل الزيارة .. كل ذلك مما تعبدنا به الإسلام .

الخطاب الديني الخارجي ومجال التجديد فيه :

إن الإسلام فى الغرب مظلوم من أهله ومن غير أهله ، وإن الخطاب الدينى إلى الغرب بحاجة إلى تجديد حتى يؤتى أكله ، وإن صورة الإسلام فى الغرب قد شوهت ، وإن ظلمه من أهله تجلى فى :

١ـ تعصب المذهبيات والفرق لما تدعوا إليه وتدين به على أسس عقدية أو مذهبيات مارقة أو جماعات متطرفة أو أنبياء كذبة أو صراعات سياسية ، فالمساجد متجاورة ولا تصلى طائفة ما فى مسجد طائفة أخرى ، وقد تكفر طائفة طائفة أخرى ، حتى ظن أهل هذه الديار أن الإسلام متعدد وأن قرآنه مختلف وأن أنبياءه كثيرون ...

٢ـ عدم التزام السياح المسلمين فى تلك البلاد بقيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه مما يؤدى إلى تشويه صورته فى الواقع العملى ـ إلا من رحم الله منهم ـ

٣ـ الجهل بطرح بعض القضايا ذات الاهتمام وتناول الهيئات وترك الفرائض وإعطاء صورة سيئة عن الإسلام وموقفه من العلم ، كالتعصب للصوم بناء على رؤية الهلال ، وعدم اعتماد الحساب الفلكى ، والخلاف على صلاة العيد فى المساجد أو فى الخلاء ...

٤ـ الدعاة المرسلون إلى تلك الديار غالبا ما يجهلون عادات وتقاليد أهلها ولا يجيدون لغتهم ولا يعرفون الأولويات محل الطرح والتناول مما يجعل رحلاتهم لطلب المادة أكثر منها لنشر الإسلام .

٥ـ تقصير المراكز الثقافية الإسلامية فى حق الدعوة والتركيز على حل مشكلات المبتعثين والمعارين دون نشر الإسلام بصورة صحيحة .

٦ـ واقع المسلمين فى بلاد الشرق وتصوير الغرب لهذا الواقع ونشر الأفلام عن حال المسلمين مع الزعم بأن الإسلام يحارب التقدم والمدنية ، ويكفى اختلاف المسلمين فى ثبوت رمضان بدءا ونهاية ، وثبوت ذى الحجة بدءا لا نهاية ،

٧ـ ما قامت وتقوم به بعض الجماعات الإسلامية من إصدارها حكما بكفر الغرب ووجوب قتاله وقتله وتلقف اليهود هذه الأفكار ونشرها لا يجاد كراهية مصطنعة بين الغرب والإسلام .

وأما ظلم الإسلام فى الغرب من غير أهله فيتجلى فى الآتى:

١ـ وجود مدارس خاصة ومعاهد متخصصة لتخريج أناس لا هم لهم إلا الطعن فى الإسلام بكل الوسائل والأساليب .

٢ـ الجهل التام لدى الغرب بقيم الإسلام ومبادئه وقيام كبار الكتاب والمفكرين ـ إلا قليلا منهم ـ بتشويه صورته فى مقالاتهم ، حتى ظن الجيل الجديد أن الإسلام خطر يتهدد الغرب.

٣ـ الاعتقاد بأن الإسلام والمسلمين قوة كامنة يمكنها أن تغير وجه التاريخ الآن كما غيراه من قبل ، وفى ذلك ضياع للحضارة الغربية ، وهو ما لا يأذن به الغرب

٤ـ الحكم على الإسلام من خلال سلوك المسلمين فى الداخل والخارج وعدم التفرقة بين الإسلام والمسلمين .

٥ـ تعميم الأحكام على سائر المسلمين من خلال سلوك أفراد معينين ، ولصق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين ، ساعدهم

على ذلك الأحداث الأخيرة التى صنعوها أو اصطنعوها لتيسر لهم السبل لتحقيق المراد وقد كان .

وتجديد الخطاب الدينى الموجه للغرب يكون عن طريق :ـ

١ـ إعداد كوادر علمية خاصة تدرس لغة البلد التى سترسل إليها وعادتها وتقاليدها وواقعها ، حتى يكون الخطاب سهلا وتجد الدعوة قبولا ، وذلك علي غرار ما يفعله المبشرون والمستشرقون فى معاهد إعداد دعاتهم .

وهذا الإعداد بهذه الكيفية ندركه من النص القرآنى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) إبراهيم : ٤ أى بلغتهم ، وإعلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعاذ بشأن المرسل إليهم يفيد ذلك (إنك ستأتى قوما هم أهل كتاب)[1]

٢ـ استقطاب أكبر عدد من أهل هذه الديار للدراسة فى المؤسسات الدينية فى بلاد العالم الإسلامى ، وعودة هؤلاء إلى ديارهم لنشر دعوة الإسلام مع تقديم النصح لهم عند الدراسة بما ينبغى أن يطرح ، وبالجديد فى أسلوب الخطاب ووسائل التبليغ مع ضرورة الاتصال بهم بعد التخريج ويمكن حل مشكلة التمويل لهؤلاء عن طريق جمعيات لأهل الخير تتبنى الفكرة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين .

٣ــ حسن طرح الإسلام فى تلك الديار عن طريق :

= بيان موقف الإسلام من الأنبياء السابقين وكتبهم وأهل الكتاب بخاصة وذلك لائتلاف قلوبهم .

= بيان موقف الإسلام من الإنسانية عامة مع التركيز على وحدة المنشأ والمصير وعمارة الأرض وعدم الإفساد فيها .

= إبراز المبادئ التى لا يستقيم أمر البشر إلا بها كالعدل والمساواة والحرية والحل والترحال والتعليم والعمل والتملك ، وبيان سبق الإسلام على الأمم المتحدة فى هذا الجانب .

= إظهار حقوق المرأة فى الإسلام ، وكونها لا تقل عن حقوق الرجل فى شئ بل هى مكرمة عن الرجل فى التكاليف مراعاة لطبيعتها، وهو ينفق اضطرارا وهى بالخيار (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الطلاق : ٧ . وهو يمهرها وهى لا (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) النساء : ٤ وهو يقاتل حتى يقتل دونها وهى لا (من قتل دون أهله فهو شهيد) [1] وطلب الرزق فى حقه فرض عين وهى لا، وتعطيه من الزكاة وهو لا ورعايته لمصالحها فــــرض (الرجال قوامون على النساء) النساء : ٣٤ ورعايتها لمصالحه معروف منها ، وهو مطالب بالجمعة والجماعة والجهاد وهى فى ذلك كله بالخيار .

---

[1] البخاري : ١٧٩/٣

وللمرأة حق سبق الرجل في الطاعة والعلم والتملك ، كما أن حق الحياة والحرية والكرامة من القواسم المشتركة بينهما ، فهل يعلم الغرب ذلك ؟

= الرد على الشبهات المثارة فى وجه الإسلام فى الغرب ، وهى تفتقر إلى كفاءات علمية مميزة ، جمعت إلى جوار العلم بالدين قدرات علمية فائقة وأضافت إلى الدراسات الإسلامية الدراسات المقارنة لتكون الحجة أقوى وما من شبهة أثيرت فى وجه الإسلام إلا ومثلها حقيقة فى معتقدات القوم وبخاصة تعدد الزوجات والطلاق والإرث فضلا عن الطعن فى سند القرآن ومتنه والطعن فى شخص الرسول وسنته ورد ذلك يسير على العالم المسلم عسير رد مثله من قبل غير المسلمين .

= الحرص على حل الخلافات المذهبية والنزاعات السياسية والدعوات القومية بين مسلمى الغرب ، وأداء التكاليف الشرعية بصورة لا تنفر من هذا الدين ، فالمساجد للجميع وبدء رمضان وانتهاؤه على أساس علمى ، وصلاة العيد بحسب مقتضى الحال ، وزواج المسلم الكفء من المسلمة الكفء بالتراضى حق شرعى .

= الاهتمام بالمعاهد الإسلامية التى أنشئت فى بعض البلاد الغربية وتزويدها بالكتب والعلماء والمفكرين المستنيرين حتى يعطوا صورة حسنة عن الإسلام .

= عقد مؤتمرات وإجراء مناظرات تبين موقف الإسلام من العلم التطبيقى وتشرح أثر المسلمين فى العلوم التجريبية .

= الحرص على تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام ، كالسيف وتعدد الزوجات والطلاق والإرث ... عن طريق استئجار قنوات فضائية لمدة ساعتين أسبوعيا كل يوم حتى يكون الخطاب موجها إلى الشعوب لا إلى المؤسسات الحكومية .

= إصدار مجلات ودوريات وحوليات صغيرة الحجم كبيرة المضمون بلغة أهل هذه الديار ، حتى يصل العلم بالإسلام إليهم بطريق مباشر .

= رعاية كل قلم حر فى تلك الديار وتبنى الكتاب المعتدلين والاهتمام بمن دان منهم بالإسلام وتفريغهم لنشر هذا الدين فى بلادهم ، عملا بقوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وما نظن كتابات محمد أسد وروجيه جارودى وموريس بوكاى ، مسيو أتينيه دينيه بخافية عن أحد من حيث التأثير والمضمون .

= إلقاء محاضرات داخل معاهد الاستشراق ، يلقيها الأكفاء الذين تخرجوا منها من ذوى النزعة الدينية المعتدلة لتصحيح الصورة عن الإسلام وللحد من العداء ضد هذا الدين ، أو يتولى ذلك علماء لهم قدم راسخ فى مجال الحوار والجدل ليكون الإلزام .

= الحديث عن فلسفة التشريع الإسلامى بما يحبب فى هذا التشريع وبيان وجه الحاجة إلى هذا التشريع ، وكونه خطابا إلهيا إلى البشرية أجمع مع الاحتكام إلى العقل والعلم فى كل ما

حل وحرم ، فما أحل الله شيئا وقال العلم بضرره ولا حرم شيئا وقال العلم بغلبة نفعه .

= الإكثار من البث عن طريق الانترنت ، وفتح مراكز لتلقى الأسئلة من الغرب والرد عليها بلغة السائل ، وطرح أبواب ثابتة تعرف بالإسلام ، بفكر مستنير وعقل راشد ، وقد بدأت هذه الفكرة فى التنفيذ ، وفيها جهود بشرية فردية وجماعية وتفتقر إلى تنسيق بينها حتى لا يبدد الجهد ويضيع الأمل .

= قيام السفراء والسفارات والملاحق الثقافية بدورها فى التعريف بالإسلام وتعيين مستشار دينى فى كل سفارة إسلامية للتعريف بالإسلام والرد على الشبهات المثارة فى وجهه .

= رعاية الأقليات الإسلامية ، وربطها بالمركز العام للعالم الإسلامى فكريا وهو الأزهر الشريف ، وإرسال دعاة إلى هذه الأقليات ورعاية حقوقهم السياسية بأسلوب حكيم ، وقد ظهر فى الأونة الأخيرة فقه الأقليات المسلمة كما ظهرت دراسات تهتم بهم ينبغى وضعها فى الاعتبار .

إقامة مراكز إسلامية تضم كل ممثلى الفرق الإسلامية لتوحيد الكلمة والصف والاتفاق على المبادئ الأساسية وطرح الخلافات الهامشية والنزول على رأى الجمهور (الأغلبية) لتحسين صورة الإسلام فى الغرب ، وتقوم هذه المراكز باختيار الموضوعات محل الكلمة ليكون الطرح موحدا من الجميع .

= التدرج فى الدعوة إلى الإصلاح والتغيير على مستوى الأفراد والجماعات وحسبنا من دليل على هذا ، سنة الله فى التدرج

فى التشريع فى صدر الإسلام وهدى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى التدرج فى الدعوة ، روى أنس بن مالك أن أناسا كانوا يأتون إلى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يسلمون ، هدفهم المال الذى يمنحهم الرسول إياه فيقبل منهم لأنهم لا يلبثون أن يتخلل الإيمان فى نفوسهم ، [١]

وروى أيضا أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لرجل : أسلم . قال الرجل : أجدنى كارها [٢] قال : أسلم وإن كنت كارها

وعن نصر بن عاصم أنه أتى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسلم على أن لا يصلى إلا صلاتين فقبل ذلك منه [٣]

" وليس ذلك إقرار من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لمن أراد أن يكتفى بصلاتين من الخمس أو للمتظاهرين بالإسلام وهم يستبطنون الكفر أو الكره له ، ولكنها سياسة نبوية فى ربط الناس بالإسلام والذى لا يلبث فور سريان قوته فيهم أن يهزهم ليسقط عنهم كل مخالفة له قبل ذلك " [٤].

* * *

---

(١) حقيقة الفكر الإسلامي ص ٢٧
(٢) مسند أحمد ١٠٩/٣ رقم ١٢٠٨٠ زوائد الهيثمي ٦٦٤/٢
(٣) مسند أحمد ٢٤/٥ رقم ٢٠٣٠٢
(٤) حقيقة الفكر الإسلامي د/ الزنيدي ص ٢٨ بتصرف.

المواجهة العلميـــة

للشبهات القديمـــة والحديثـة ضد الإســـلام

الحمد لله يقول الحق وهو يهدى السبيل

وبعد

إن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الله فى الوجود ، وللحق أتباعه وللباطل أشياعه ، والغلبة فى هذا الميدان لمن يلتمس أسباب الغلبة ، كما أن الغلبة إلى حين لأهل الباطل لا تعنى أنهم صاروا على الحق بل تعنى أن أهل الحق قد أغمدوا السيف واستمرؤا الراحة وخلدوا إلى الدعة وتركوا الأخذ بالأسباب فتمكن منهم خصومهم .

وحين يستيقظ أهل الحق من غفلتهم ويبعثون من رقدتهم وينهضون بعد طول سبات ستكون لهم الكرة على أهل الباطل ثانية (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (١)

وأهل الحق وحملة رايته هم الأنبياء والمرسلون ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، حملوا لواءه وزادوا عنه وقاتلوا وقتلوا دونه (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) (٢)

وقد تخلى بعض أتباعهم عن سنن الله فى التماس أسباب النصر والثبات على الحق والزود عنه والقتال دونه مع الالتزام بالوحى الإلهى ككل لا يتجزأ ، فدارت عليهم الدائرة .

وأهل الباطل هم المعرضون عن الوحى الإلهى المكذبون للرسل المتبعون لخطى الشيطان الصادين عن سبيل الله ، الكارهين لأتباعه منذ البدء وإلى المنتهى السالكين سبيلين فى الصد عن الحق :

---

(١) الأنبياء ١٨

(٢) آل عمران ١٤٦

السبيل الأول : الفكر وهو أقوى مظاهر الصراع وأدومه وأشده تأثيرا .

السبيل الثانى : السيف وهو أيسر من الأول وأقله تأثيرا ولا يكتب له النجـــاح إلا إذا بنى على فكر قوى فى بابه (القتال) والتمست أسبابه .

وإذا كان الوحى الإلهى قاسما مشتركا بين الرسل أجمعين ، فإن الرسل السابقين قد جوبهوا بالرفض من أقوامهم وبخاصة الملأ منهم ــ إلا من رحم الله ــ ولو أن الأمر اقتصر على حد الإنكار للنبوة والرسالة لهان الخطب ، ولكن الأمر تجاوز الحد ، فوجدنا المكذبين يرمون أنبياءهم بالآتى :

١ــ ادعاء الوحى مع بطلان الدعوى من وجهة نظرهم

٢ــ نسبة ما يقوله الأنبياء إلى التراث الإنسانى أو مس الشيطان

٣ــ انتفاء الدلائل الدالة على نبوتهم ورسالتهم مع طلب خوارق العادات منهم

٤ــ الرمى بما يستقبح (السحر ــ الكذب ــ الجنون ــ الفقر من وجهة نظر الملأ)

٥ــ تأثير آلهتهم المزعومة فى مدعى النبوة والرسالة فكان من أمرة ما ادعى به النبوة والرسالة .

٦ــ الرمى بالضلال وإظهار الاستهزاء به

٧ــ تشكيك الأتباع فى صدق الداعى

وقد ذكر القرآن ما سبقت الإشارة إليه فى آيات كثيرة ، وكلها تهدف إلى طرح الشبهات فى وجه دعوة الرسل مع تحقق الإيذاء المعنوى لهم .

وأما الإيذاء الحسى فقد تجلى فى صور شتى منها :

١ــ الضرب

٢ــ القتل للمرسلين (بعضهم)

٣ــ الجمع بينهما لأتباع الرسل

القرآن وذكر الشبهات : —

لقد خلد القرآن بعض الشبهات التى أثيرت فى وجه الرسل السابقين تسلية وتعزية وتصبيرا للرسول — صلى الله عليه وسلم — قال تعالى (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمت الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)(١) . (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم)(٢)

الرسالة الخاتمة وسنة الله الجارية : —

لم يكن الإسلام بدعا من الأمر ، ولم يكن اختيار الرسول بدعا من الرسل ، وكانت البشرية أحوج ما تكون فى وقت البعثة إلى هذا الوحى ، إلا أن عوامل عدة قد لعبت دورها فى إثارة الشبهات فى وجه الرسالة الخاتمة ، ولا تزال هذه العوامل قائمة حتى يومنا هذا ، ولعل فى الإشارة إليها ما يساعدنا على رسم المنهج واجب الاتباع فى المعالجة ، ومن هذه العوامل :

أولا : موروثات الآباء العقدية لدى الوثنيين بخاصة ،والتى دفعت كثيرين منهم إلى رفض الدعوة وإثارة الشبهة حولها ، لطول عهدهم بالباطل وإلفهم له ، حتى صار طلب العدول عنه خروجا على العرف السائد (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب • وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد • ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) (٣)

ثانيا : التراث المسيحى • والذى يؤمن أتباعه بعالمية دينهم ولا يرون بعثنى جديد بعد المسيح ، ويفسرون كل نص يتعلق بالبشارة بنبى جديد تفسيرا يتفق مع

---

(١) الأنعام ٣٤
(٢) الأحقاف ٣٥
(٣) سورة ص ٥ ـ ٧

أهوائهم وأغراضهم دون صرفه إلى محمد — عليه السلام — وهم ينتظرون عودة المسيح ثانية إلى الأرض حسب،وعده لهم ليدين الأحياء والأموات .

ثالثا : اليهود : لإيمانهم بأن كلمة الله واحدة ، وقد أوحى بها إلى موسى عليه السلام ، ولا جديد بعدها ولا حذف منها حتى لا يكون النسخ ، والنسخ يعنى البداء والبداء على الله محال . وهم ينتظرون المسيا — أى المخلص — من نسل داود ولا يقرون بنبوة عيسى أو محمد عليهما السلام .

رابعا : المنافقون وهم أناس أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر لعجزهم عن المواجهة وضعفهم عن المجاهرة ، فغمزوا ولمزوا وأثاروا الشبهات فى وجه الدعوة الإسلامية .

تخليد بعض الشبهات فى القرآن :—

شاء الله أن يخلد بعض الشبهات التى أثيرت فى وجه الدعوة الإسلامية فى القرآن الكريم ، ونرى أن الحكمة من تخليدها تتجلى فى الآتى :

١— عدم خوف الإسلام من إثارة الشبهات ضده بل جمعها وذكرها وكان الرد عليها بما يتناسب مع طبيعتها .

٢— بيان سنة الله فى الكون وهى الصراع بين الحق والباطل ، وإذا كان الصراع قد تم فى وقت نزول الوحى فهو فى غيره أولى .

٣— الدلالة على أن القرآن دون كما أوحى به إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأن به سب وشتم ولعن يتعلق بالرسول — صلى الله عليه وسلم — ولو كان عملا إنسانيا ما استبقى ذلك متعلقا به وبخاصة أن القرآن كان يعرض فى بعض المواطن عن الرد .

٤ـ تدريب أتباع هذا الدين على الرد ، وتهيئتهم نفسيا لسماع الشبهات والتي لو بدأ وقوعها بعد عصر النبوة لاحتار المسلمون في أمرهم ، ماذا يفعلون ولكنها وقعت في عصر النبوة كما وقعت للسابقين (سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا)[١]

٥ـ بيان المنهج الأمثل في الرد على الشبهات من حيث : قوة الدلالة وإقامة الحجة وذكر المقدمات والنتائج واستنطاق الفطرة والاحتكام إلى البدهيات العقلية واعتماد القياس في الرد ، مع السمو الخلقي في كافة المواطن .

٦ـ اتباع الطرق المسماة بمناهج الأدلة ، كدليل السبر والتقسيم ، والقياس الحملي والشرطي وقياس الأولى وقياس الخلف ، بحسب حال كل شبهة ، تربية وتعليما .

٧ـ سماع الآخر ولا نقول : قبول الآخر ، لأن السماع شيء والقبول شيء ثان ، والإسلام وإن أجاز السماع لكنه لم يوجب القبول إلا ما توفر على صحته الدليل .

٨ـ تعدد مصادر ومظاهر الشبهات للفت النظر بأن المعادة لا تقتصر على جهة واحدة أو أمة واحدة ، بل ذكر شبهات الوثنيين والملاحدة واليهود والنصارى والمنافقين ... الخ

التناسب العكسي بين الشبهات وقوة المسلمين وضعفهم وصلة ذلك بالواقع :ـ

إذا ما أمعنا النظر في آيات القرآن الكريم وجدنا أن الشبهات تكثر في وجه الإسلام كلما استشعر خصومه ضعف أتباعه ، فتطرح الشبهة جهرة ، سواء ما تعلق منها بالداعي أو الدعوة أو الأتباع ، وهو أوضح ما يكون في السور المكية وحين

(١) الأحزاب ٣٨

قويت الدعوة بقوة الدولة فإن الشبهات تقل ، ويكون اللحن لها أكثر من المجاهرة وإن التناجى لها قبل الجهر هو السمة الغالبة وهو أفصح ما يكون فى العهد المدنى.

الرسول — صلى الله عليه وسلم — بين التسامح مع الخصوم والمؤاخذة : —

لعل فى تسامح الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع أهل مكة ودعوته لهم بالهداية ، وتسامحه مع المنافقين وحرصه على عدم قتلهم رغم علمه بما يروجونه من شبهات ضد الرسول بخاصة وضد الإسلام بعامة ، هو الذى جعل البعض منهم يستمرأ الاستمرار فى الافتراء ، وبخاصة معتب وابن أبى وغيرهما ، وحين استئذن — عليه السلام — فى قتلهم لم يأذن بذلك قائلا : حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، وكله أمل فى أن يخرج الله من أصلابهم من ينصر هذا الدين ، ومواقف عبد الله بن عبد الله بن أبى لا تخفى على أحد .

وأما من تجاوز الحدود وعاب العرض وسفك الحرمات فقد أهدر الرسول — صلى الله عليه وسلم — دمه كما فى كعب بن الأشرف وغيره ، والسمة الغالبة فى هذه الفترة أن الوحى كان يتولى ويكفى الرسول — صلى الله عليه وسلم — الرد على الشبهات فى أغلب الأحيان .

وفى عهد الخلفاء الراشدين (أبى بكر وعمر بخاصة) قوى الإسلام واتسعت رقعة الدولة وأذل الله الشرك وأهله ، فقلت الشبهات وندرت إن لم نقل توقفت ، ثم نبتت من جديد فى أواخر خلافة عثمان وأينعت فى خلافة على وأثمرت وآتت أكلها فى البلاط الأموى والعصر العباسي وبخاصة الثانى .

وفى عصر اضمحلال الدولة الإسلامية فى الأندلس وفترة الحروب الصليبية فى الشرق ، أثيرت الشبهات بكثرة ، وكتبت الكتب وألقيت الخطب وجرت المناظرات وعقدت المؤتمرات واستخدم السيف لإكراه المسلمين على الطعن فى دينهم بعد الإقلاع عنه، وضعف حال المسلمين فى الأندلس فى هذا الوقت جعل بعضهم يكتب الرد على شبهات النصارى غير مصرح باسمه طلبا للسلامة ، كما فعل عز الدين المحمدى فى الرد على حنا مقار فى الرسالة المسماة " بالفاصل بين الحق والباطل" أو يكتب مصرحا باسمه كما فى كتاب : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبى .

وفى الشام ومصر والعراق ، ألقيت شبهات شتى فى وجه الإسلام ، جمعها علماء أفذاذ وردوا عليها بحسب ما تيسر لهم من علوم ومعارف على غرار ما كتبه القرافى ، صالح بن حسين الجعفرى ، ابن تيمية ، ابن القيم وغيرهم من العلماء ، أعلام فى هذا الميدان .

وعندما انتهت الحروب الصليبية الأولى (آخر القرن الثالث عشر الميلادى) وعاد الأوربيون إلى بلادهم ووقعت الفتنة بين الكنيسة والدولة وبين الدين والعلم ، وشغل هؤلاء عن طرح الشبهات فى وجه الإسلام ، فى وقت استعاد الإسلام فيه عافيته حيث فتحت القسطنطينية فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وانتشر الإسلام فى شمال أوربا فى بداية القرن السادس عشر الميلادى ، بل تأثر كثير من رواد الإصلاح عنهم مثل مارتن لوثر وغيره بالفكر الإسلامى ، وخفت حدة الضغط على الإسلام .

إلا أن الفرق التى ظهرت فى هذه الفترات من الزمن منتسبة إلى الإسلام وأصولها يهودية أو زنادقة أو مجوسية أو فارسية ، كانت شبهاتها وسلوكياتها بحق

الإسلام أسوأ من الشبهات التى أثارها خصوم الإسلام فى وجهه ، ولا يزال تراثهم المحسوب على الإسلام خير زاد لأعداء الإسلام ، بل إن المستشرقين ليصورون الحركات المارقة والشخصيات المرتدة بأنها نموذج لدعاة الحرية وأن إبادتها لون من العصبية ضد حرية الرأى فى الإسلام ، وفى القرنين الأخيرين (١٩،٢٠) من الميلاد ، تم الاستيلاء على بلاد العالم الإسلامى ثانية باستثناء بلاد الحجاز وأفغانستان ، وتمكن المستعمر من رقاب العباد والبلاد فعاث فى الأرض الفساد ، وأتى بمستشرقين درسوا الأرض والفكر ، ورسموا الخرائط وزاروا الأماكن المقدسة بأسماء مستعارة إسلامية ووصفوا الكعبة على الطبيعة ، وأجروا دراسات عن العادات والتقاليد والأفكار فى العالم الإسلامى ، كما رسموا السبيل لطرح الشبهات ضد الإسلام ، كل ذلك لضعف المسلمين عن المقاومة ، وعجزهم عن المواجهة ، اللهم إلا جهودا فردية لأناس لاقوا من الإيذاء فى بلادهم مما لا يعلم مداه إلا الله .

لماذا إثارة الشبهات ضد الإسلام ؟ وما السبب فى اتحاد الخصوم فى مواجهة الإسلام . ولماذا اشتغل بالطعن فيه من لا يؤمنون بدين على وجه الإطلاق كما طعنه أتباع الرسالات السماوية ؟

وللإجابة نقول : إن الإسلام محل خوف من هؤلاء أجمع ، ومصدر الخوف ما يلى :

١ـ اتفاق تعاليم الإسلام مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، كالإيمان بمصدر للكون ووصفه بما يتناسب مع صفات الكمال وتعاليم الإسلام كلها تتفق مع العلم والعقل والمنطق عكس اليهودية والنصرانية والشيوعية مما يكسبه أتباعا من هؤلاء ولا يخرج منه أحد إليها .

٢ـ لم ينس الأوربيون أن الذى سلب مستعمراتهم وحررها هو الإسلام ، وبخاصة الشام وشمال افريقية ، وهى خير بلاد فى حياتهم من حيث الموارد والمناخ .

٣ــ الإسلام هو الدين الوحيد القادر على مواجهة النصرانية فى مجال الدعوة ولا وجه يذكر عند المقارنة بين ما ينفقه المبشرون وما ينفقه الدعاة الإسلاميون ولا وجه يذكر بين النتائج بالنسبة للدعوتين حيث ترجح الكفة للإسلام .

٤ــ كثيرا ما يدين النصارى وبخاصة القساوسة بالإسلام ، ولم نسمع عن عالم مسلم واحد قد اعتنق النصرانية ، وقد رأينا كتابات طيبة لعبد الأحد داود ، عبد الله الترجمان ، إبراهيم خليل أحمد ، أتينيه دينيه ، زكي الدين االطهطاوى وغيرهم من القساوسة الذين اعتنقوا الإسلام .

٥ــ الإسلام هو الذى نقض معتقدات النصارى وبخاصة عقيدتى : التثليث والصلب والفداء ، وهما لب الاعتقاد فى النصرانية .

٦ــ قدرة الإسلام على المواجهة العسكرية فى الماضى ، والضعف فى حياة أتباعه أمر عارض ، وقدرة المسلمين على المقاومة تفوق الوصف ، وعقيدة الاستشهاد تفعل العجب العجاب فى ميدان القتال ، فكان الصراع الفكرى خيرا لهم من الصراع العقدى .

٧ــ كما أن اليهود يكرهون الإسلام لأنه حذر الناس من خطرهم وكشف عن حقيقتهم ، وذكر الكثير من صفاتهم مثل الحقد والحسد والعنصرية والمادية والقتل للآخر وتحريف الوحى ووصف الله بما يستقبح ...

ولم يكن الحكم عاما لأن الإنصاف من مبادئ الإسلام ، بل استثنى الإسلام من الحكم طوائف التزمت فامتدحها وأثنى على سلوكها (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) [١] . (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [٢] . كما أن سمة اليهود التشكيك فى كل الأديان فلماذا لا يشككون فى الإسلام ؟ الذى أذلهم فى يوم من الأيام ، وعلم

---

(١) الأعراف ١٥٩
(٢) السجدة ٢٤

البشرية كيف يكون الإلزام لهؤلاء على غرار بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة وخيبر وفدك وتيم اللات وعرب الضاحية ووادى القرى .

٨ـ وأما الماديون الدهريون فهم كارهون لكل دين ولكن شعورهم بالخطر من الإسلام دون غيره هو الذى زين لهم الاهتمام بالطعن فيه وإثارة الشبهات فى وجهه ، فضلا عن أن مؤسسي الحركة الشيوعية من اليهود .

٩ـ وإذا كانت الحروب العسكرية تكلف الأفراد والدول الكثير من الأنفس والأموال فإن الحروب الفكرية لا تتكلف مثل هذه الأعباء ، فضلا عن أن الحروب العسكرية مستقبحة والحروب الفكرية مقبولة نسبيا ، والحروب العسكرية تجمع شمل الأمة المعتدى عليها والحروب الفكرية تفتت وحدة الصف وتوهن العزيمة .

١٠ـ الرغبة فى إضعاف المسلمين وإيجاد جيل لا هو مسلم كما ينبغى ولا هو خارج عن الإسلام وإنما طمس الهوية الإسلامية مع بقاء التسمية ، لأن النصرانية شرف لا يرقى إليها مسلم ـ كما قال جولد تسيهر ـ واليهودية لا تعرف العالمية ، والإلحاد عسير قبوله على المسلم ولو كان منحلا .

وبهذه النقاط نكون قد أوضحنا الأسباب التى دفعت إلى إثارة الشبهات فى وجه الإسلام .

أقسام الشبهات الواردة فى وجه الإسلام من حيث الزمن : ـ

فى ضوء ما سبق يمكن القول : إن الشبهات المثارة فى وجه الإسلام ، لم تتوقف بالكلية ، ولم تسر على نمط واحد ، وإنما انقسمت من حيث الزمن إلى :

أ ـ شبهات قديمة

ب ـ شبهات حديثة

والشبهات القديمة هى التى ذكرها القرآن الكريم ، وورد فى السنة بعضها . كما دونتها كتب التاريخ والسير والتراث الإسلامى والتراث الإنسانى ، وقد وجدنا ذكرا لهذه الشبهات فى كتب التفسير والتاريخ وعلم الكلام والملل والنحل وعلوم الحديث وعلوم القرآن ،كما ألفت كتب فى الرد على هذه الشبه مثل تأويل مشكل الآثار ، تأويل مختلف الحديث ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، مفتاح الجنة فى الإحتجاج بالسنة ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، المنتخب الجليل ، الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، وردود ابن تيمية على شبهة كثيرين من أهل عصره .

وقد جمع الدكتور/ عبد المجيد الشرفى فى كتاب له (الفكر الإسلامى فى الرد على النصارى) كافة الكتب التى ألفت فى الرد على شبهات غير المسلمين والموجهة ضد الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجرى .

وأما الشبهات الحديثة فإنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يقوم به غير المسلمين وأخصهم بالذكر :

١ــ المستشرقون

٢ــ المبشرون

٣ــ مؤسسات ومنظمات يهودية

٤ــ الفرق المارقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانية والفرخانية ، وهى أخطر هذه المؤسسات لانتسابها إلى الإسلام وهو منها براء ، ودعواها الإسلام يجعل كلامها محل قبول من البعض ويكسب لها أتباعا من الآخرين .

القسم الثانى : يقوم به مسلمون أو متمسلمون وأخصهم بالذكر

١ــ المستغربون الذين نقلوا كثيرا من فكر الغرب وشبهاته إلى الشرق .

٢ــ العلمانيون الذين أثاروا كثيرا من الشبهات فى وجه الشريعة الإسلامية

٣ـ العصرانيون أو الحداثيون الذين رأوا فى الشريعة الإسلامية والثبات عليها معوقا عن الرقى والتقدم ، وطرحوا بعض الشبه ، وزعموا أن الحل البديل هو نقل فكر وحضارة الغرب إلى العالم الإسلامى ، كبديل عن الشريعة والأخلاق

٤ـ الوجوديون : أصحاب النزعة المادية الغربية ، والذين أثاروا كثيرا من الشبهات فى وجه الأديان بعامة والإسلام بخاصة

تقسيم الشبهات من حيث المحتوى والتعلق :ـ

اهتم أعداء الإسلام بإثارة الشبهات فى وجه الإسلام فى الجوانب التالية :

أولا : مصادر التشريع الإسلامى

ثانيا : العقيدة الإسلامية

ثالثا : الشريعة الإسلامية

رابعا : الأخلاق الإسلامية

خامسا : الفكر الإسلامى العام

ويمكن ذكر الشبهات الأساسية فى كل جانب من هذه الجوانب فيما يلى :

أولا : مصادر التشريع الإسلامى وهى :ـ

١ـ القرآن الكريم : متفق عليه بين جميع المسلمين والشبهات تجاهه قديمة جديدة وتم التركيز فيها على أمرين :

الأمر الأول : نفى نزول القرآن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) [١]

---

[١] الأنعام ٩١

الأمر الثانى :   التسليم بالقرآن مع توجيه الطعن إليه من حيث السند والمتن

أما الطعن فى السند : فقد تعلق بـ (التلقى من الوحى ـ الآداب من الرسول ـ التدوين ـ الجمع فى عهد أبى بكر ـ النسخ فى عهد عثمان ـ حرق المصاحف المخالفة ـ النقط والشكل ـ قواعد التلاوة ـ الترقيم والفواصل ـ عدد الحفظة فى صدر الإسلام (قضية التواتر)

وأما الطعن فى المتن . فمن حيث : المحتوى والخلاف فيه زمن عثمان ، روايات جمع المصحف وما فيها من شبه فى عهد أبى بكر ، وجود مصاحف أخرى غير المصحف الإمام ، حرق المصاحف المخالفة ، وجود روايات تصرح بسور وآيات لا وجود لها الآن ، وجود روايات تصرح بحذف سور وآيات لها وجود الآن .

وأما من حيث الكم فقد تم توجيه الطعن إلى محتوى القرآن بزعم : ـ

تعارض بعض الآيات مع بعضها

،،   ،،   ،،   ،، التاريخ

،،   ،،   ،،   ،، العلم

،،   ،،   ،،   ،، قواعد اللغة

،،   ،،   ،،   ،، عصر التنزيل

،،   ،،   ،،   ،، الكتب المقدسة الأخرى

تناقض النصوص فى القصة الواحدة

تناقض النصوص مع الأحكام الواردة فى القرآن كنفى تعلم الرسول الشعر وقراءته له مع أن فى نصوص القرآن بعض الشعر .

والذين أبوا ألوهية مصدر القرآن عجزوا عن نفيه باعتباره واقع ، فحاولوا رده إلى ما ذكره القرآن عنهم (سحر ــ يعلمه بشر ــ أساطير الأولين ــ . .) وما يزعمه المعاصرون من كون القرآن ناتج تأمل أو ذكاء أو طبيعة الصحراء عامة ومكة على وجه الخصوص ساعدت على ذلك أو النقل عن أهل الكتاب أو رد فعل لمعتقدات أهل الكتاب .

الطعن فى السنة النبوية الشريفة من الجوانب التالية : ــ

* ــ الطعن فى شخص الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حيث :
الروايات التى تحدثت عن طفولته وشق صدره مرات عدة ، وتأثره وقت نزول الوحى عليه ، والزعم بأنه مقدس من أتباعه أو طلب ذلك منهم ، واتهامه بكثرة الزواج ، فضلا عما ذكره القرآن من رمي المشركين له بالسحر والجنون والكذب والاختلاق ومخالفته الشرع حين حرم ما أحل الله (سورة التحريم) ووصفه بالمذنب والعاصى (سورة الفتح ، سورة الشرح) والضال (الضحى) والمتحير فى أمره (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) [1] والمستمع للشيطان (الحج ، النجم) وقصة الغرانيق العلى ، والنسيان لبعض الأحكام الشرعية ــ كما يزعمون ــ ومحاولته الانتحار ، وموته بالسم ، فضلا عن وصفه بالأمية وما ترتب عليه من خطأ فى العمليات الحسابية فى سورة فصلت ــ كما يدعون ــ ، كما وصفوا الوحى بأنه نوبات صرع كانت تعتريه فيهذى ويكتب أتباعه هذيانه على أنه وحى .

* الطعن فى السنة وله اتجاهان :

اتجاه عام : وهو النفى الكامل للسنة والتركيز على ردها ونفى كونها المصدر الثانى للتشريع وعند الاضطرار يسلمون بالسنة العملية ويطعنون فيها بالتعارض والتناقض

---

[1] سبأ ٢٤

وهذا الاتجاه بذرت بذرته فى حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قال قائل : تكتبون عن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل ما يقول ، وإنما هو بشر يخطئ ويصيب ، فلما بلغ الخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال اكتبوا عنى فوالذى بعثنى بالحق ما أقول إلا صدقا .

إتجاه خاص ، وذلك بتوجيه الطعن إلى السنة من حيث السند والمتن .

أما الطعن فى سند الحديث النبوى الشريف فمن حيث التأخر فى التدوين عن زمن ورود الحديث ، والاضطراب فى الجمع ، وفتح باب الوضع مع التركيز على العنصرية والعصبية الجاهلية والتيارات السياسية فضلا عن الطعن فى راو بعينه .

وأما الطعن فى المتن فمن حيث الزعم بالآتى :

أ ــ تعارض الأحاديث مع بعضها

ب ــ تعارض الأحاديث مع القرآن

ج ــ تعارض الأحاديث مع العقل

د ــ تعارض الأحاديث مع العلم

هـ ــ تعارض الأحاديث مع المستجدات العلمية

و ــ الطعن فى كم الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ [1]

ثالثا : الطعن فى القياس والاجماع وباقى مصادر التشريع الأخرى المعتبرة عند علماء الإسلام .

---

(١) راجع فيما سبق هنا :
السنة ومكانتها في التشريع د/ مصطفى السباعي
مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ـ السيوطي
تاويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة
دفاع عن السنة ـ محمد أبو شهبة

رابعا : الطعن فى مكونات الإسلام : (العقيدة ـــ الشريعة ـــ الأخلاق)

أ ـ أما العقيدة فالطعن فى الألوهية فى الإسلام قد بلغ حدا فى الكثرة ومن
كتاب التبشير والاستعمار لعمر فروخ ، وكتاب الغارة على العالم الإسلا
لمحب الدين الخطيب ، والفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار
د/ محمد البهى وكتاب الهداية من عمل لجنة الإرسال التبشيرية الأم
يدرك ذلك ، فضلا عن دائرة المعارف الإسلامية وفيها ما فيها بشأن الألوه
فى الإسلام .

وأما النبوات ، فالزعم بأن الإسلام قد وصفهم بما يستقبح وأسقط قد
وأكثر من ذمهم وارد عندهم ، كما فى كتاب : الهداية وكتاب
والمسيح (حنا مقار) ولعله اسم مستعار وغيرهما .

وأما اليوم الآخر فالشبهات حوله كثيرة ومن يقرأ كتاب الأجوبة ا
للقرافى والمنتخب الجليل للمسعودى وإظهار الحق لرحمة الله الهندى و
فى الملل والأهواء والنحل يدرك ذلك ..

ب ـــ وأما الشريعة فإن الطعن فى العبادات وارد بحق الصلاة من حيث
والكيف ومحاولة الرد إلى غير الوحى مع نسبة ذلك إلى مصادره الأخرى
الصوم فالمقارنة بينه وبين صوم النصرانية ـــ من وجهة نظرهم ـــ يظهر
رحمة الله عند النصارى وقسوة إله المسلمين فضلا عن كونه معوقا عن
العلم والعمل .

ويفسرون الزكاة على أنها لون من الإتاوة وأنها حظ الأغنياء أكثر منها
الفقراء .وأما الحج : فرمى المسلمين بالوثنية فى تقبيل الحجر الأسود والطوا

حول الكعبة من أبرز الشبهات المثارة حوله ، وهناك محاولات رد الحج إلى تقاليد عربية قبل الشريعة الإسلامية .

والطعن فى الأنكحة أوضح ما يكون فى : تعدد الزوجات ، وسلب الزوجة حقها ومبدأ القوامة وإباحة الطلاق ، ووصف الزواج من الكتابية دون زواج الكتابى من المسلمة بأنه عنصرية .

والطعن فى الحدود من طرق شتى منها :

١ــ تناقضها مع كرامة الإنسان

٢ــ تناقضها مع الحرية الشخصية

٣ــ عدم مراعاتها الجوانب النفسية للجانى

٤ــ لون من الهمجية والوحشية وبخاصة فى كيفية التطبيق .

٥ــ آثارها السلبية أكثر من آثارها الإيجابية ، فقطع اليد وتكراره معوق عن العمل ، والتغريب تعذيب وإهانة والجلد احتقار ودناءة .

ج ــ الطعن فى الجنايات ، بالرمى بالقسوة وانتفاء حقوق الإنسان ، وعدم اعتبار الحالة النفسية والظروف الاجتماعية .

د ــ الطعن فى الأخلاق الإسلامية بدعوى تعذر التطبيق أو المثالية أو الغلو وبخاصة ما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية

خامسا : الطعن فى الجوانب الاجتماعية مثل :

أ ـــ نظام الحكم فى الإسلام ، واتهام الإسلام بعجزه عن تقديم نظام متكامل للحكم، وغيبة النظام السياسى فى الإسلام .

ب ـــ مبادئ الإسلام فى الحكم مثل : الشورى والمساواة والحرية وكرامة الإنسان ... والزعم بعدم صلاحية هذه المبادئ للتطبيق مع طرح أفضلية ما سواها .

ج ـــ الزعم بظلم الإسلام لحقوق المرأة فى مجال الميراث والتعليم والعمل حتى الشعائر الدينية فضلا عن رميه بالتعصب ضدها كالوصف بنقصان العقل والدين .

د ـــ الزعم بأن الإسلام أقر نظام الرق ولم يحرمه وهو مناف للكرامة الإنسانية.

سادسا : اتهام بعض العلوم الإسلامية بالنقل عن الغير ، والتأثر بغيرها من الشرائع الأخرى ، مثل علم الفقه ورده إلى القانون الرومانى أو شريعة حمورابى وعلم الكلام وتأثره بالمنطق الأرسطى .

سابعا :توجيه الشبهات إلى العقل العربى والزعم بأنه خامل لا يعرف الإبداع ودور المسلمين دور النقلة للمعارف اليونانية دون إبداع يذكر :

ثامنا : الطعن فى اللغة العربية من حيث الجمود وعدم التطور والضيق والعجز عن مواجهة المستجدات .

مصادر خصوم الإسلام لطرح الشبه : ـ

١ـ التراث الإسلامى : وفيه الكثير من الشبهات التى أثيرت فى وجه الإسلام ولا يزال الخصوم يأخذون منها ويعيدون طرحها بأسلوب عصرى .

٢ـ ما ذكره علماء الإسلام من افتراضات متوقعة من الخصم وجاء ردهم عليها هزيلا كما فى تفسير الرازى وغيره حتى قيل إنه يورد الشبهة نقدا ويردها نسيئة.

٣ـ النظر المباشر فى النص القرآنى ، دون علم تام باللغة العربية وبأسباب النزول وبآداب البحث فى النص القرآنى ، كجمع النصوص ذات الموضوع الواحد ومراعاة الترتيب الزمنى والنظر فى الأضداد .

٤ـ معاهد التبشير والاستشراق وما ينتجه الفكر المتطرف فى هذه المعاهد مع غض الطرف عن كل كلمة حق قالها مستشرق فى هذه المعاهد.

٥ـ واقع المسلمين المعاصر وفتاوى الحمقى والمغفلين فى بعض القضايا بما يشوه صورة الإسلام ، مما يدفع خصوم الإسلام إلى تلقف ذلك والزعم بأنه الإسلام.

٦ـ قياس الإسلام على معتقدات القوم ـ أحيانا ـ وتصورهم أن الإسلام يقاس بالنصرانية ولا تقاس النصرانية بالإسلام .

٧ـ العقل والقلب الحاقدين ، والبصر الكليل الذى لا يرى الجمل فى رائعة النهار ويرى الإبرة فى ظلمة الليل بشأن الإسلام .

٨ـ الحركات الإسلامية الهزيلة وبخاصة الصوفية والسذج من المسلمين

٩ـ المستغربون وعملاء الإستعمار الذين ذهبوا إلى الغرب وعادوا بجلد آخر ، ونقلوا عن أسيادهم ـ المستشرقين ـ الشبهات فى وجه الإسلام ، ناسبين الفكر إلى أنفسهم باعتبارهم دعاة التحرير .

١٠ـ الافتراض الذى استقر فى قلب وعقل غلاة اليهود والنصارى بأن الإسلام دين مختلق وأن محمدا كذاب وأنه تشويه متعمد لليهودية فى نظر اليهود وللنصرانية فى نظر النصارى ، دفعهم ذلك إلى اختلاق اتهامات بحق الإسلام ونبيه.

١١ـ الترجمات المشوهة للقرآن : والتراث الإسلامى فى بلاد الغرب أو الرحلات التى يقومون بها فى بلاد الشرق .

١٢ـ ما علق بالذهن وران على القلب عند هؤلاء منذ نعومة أظفارهم ، فالنتائج عندهم مسبقة ـ الإسلام دين وضعى ـ وهم يطلبون لها مقدمات مسلمة أو غير مسلمة ، صحيحة أم لا .

ميادين نشر الشبهات : ـ

لم يترك خصوم الإسلام ميدانا يمكن أن تنشر فيه شبهة إلا وطرحوا فيه ما استطاعوا . ومن أبرز ميادين الطرح ما يلى :

أ ـ الكتب الفردية والجماعية لهؤلاء الخصوم

ب ـ الموسوعات وبخاصة دائرة المعارف الإسلامية

ج ـ معاهد التبشير والاستشراق وتدريب الطلاب على ذلك

د ـ شبكات الانترنت وهناك أبواب كثيرة للتشكيك فى الإسلام

هـ ـ المراسلات التى تصل إلى الأفراد عن طريق مؤسسات تعلن عن رغبة فى المراسلة .

و ـ الإذاعات الموجهة إلى العالم الإسلامى بخاصة .

ز ـ رؤوس المستغربين المملوءة بالفكر المشوه للإسلام أو الذين توفرت لديهم قناعة بالفكر الغربى كبديل عن الإسلام .

ح ــ الكتيبات الصغيرة التى تطرح فى جميع بلاد العالم الإسلامى تحمل هذه الشبهات .

ط ــ الإعلام المرئى وكثيرا ما تطرح أفلام فيها تشويه متعمد للسيرة والسنة وقيم الإسلام ومبادئه .

ى ــ المناظرات التى أعدوا لها جيدا ورتبوا لنجاحها بليل حتى تكون النتيجة لصالحهم .

ك ــ دعوة ساسة الغرب إلى إعادة النظر فى الإسلام وتنقيته ونشر ثقافة السلام . وهى شبهات حول الإسلام من طرف خفى .

الردود على الشبهات والحلقة المفرغة :ــ

لم يقصر علماء الإسلام فى الرد على كل شبهة أثيرت فى وجه الإسلام ، إلا أن هذه الردود عليها مآخذ عدة ، والهدف من ذكر هذه المآخذ التلافى لها حتى نرقى فى الرد إلى مستوى التأثير ومن هذه المآخذ :

١ــ الحرص على الرد ولو كانت الشبهة بعيدة عن تخصص المتصدى لها ، فيأتى الرد ضعيفا .

٢ــ عدم تناسب الرد مع الشبهة فى القوة والمضمون ، والفهم غير الصحيح للشبهة أحيانا يؤدى إلى رد غير مطلوب إبتداء .

٣ــ الدوران فى حلقة مفرغة وذلك بالبحث عمن رد على هذه الشبهة قبل ذلك ، ونقل ما كتب ، ويأتى آخر لينقل عن الثانى وهكذا دون جديد ، فإن كان الرد الأول ضعيفا ظل أثره فيما كتب بعد ذلك .

٤ــ العاطفة الجياشة لدى بعض المدافعين عن الإسلام دفعهم إلى الرد بالسباب والشتم لا بالحكمة والمجادلة بالتى هى أحسن .

٥- جهل كثيرين بمعتقدات اليهود والنصارى جعلهم مقصرين فى الرد على هؤلاء عن طريق معتقداتهم ، فتعدد الزوجات لا حد له فى اليهودية ، ولا يوجد نص واحد قطعى الدلالة على تحريمه فى النصرانية ، والطلاق مسموح به فى اليهودية وآثاره غاية فى القسوة عندهم ، ويلحق بهذا الطعن فى سند الكتاب المقدس ومتنه .

٦- محاولة تأويل نصوص القرآن والسنة أو صرفها عن ظاهرها ، بهدف الوصول إلى الرد ، مع إمكان الاستشهاد بنصوص أخرى غير التى ذكرت لتؤدى الغرض المرجو دون لى أو اكراه ، وأحيانا يكون الإنكار للنصوص محل الاستشهاد لدى الخصم إذا كانت من غير القرآن الكريم .

٧- تصور ما ليس بشبهة على أنه شبهة وغض الطرف عن الشبهة لأنها من وجهة نظر البعض ليست بشبهة .

٨- كثيرا ما ترد الردود مرة واحدة فى مقال لمؤلف أو كتاب له لا يعاد طبعه ، أو فى بحث لم يخرج إلى حيز الوجود ، وما رسائل الماجستير والدكتوراة التى تولت الرد على خصوم الإسلام إلا حبر على ورق فى مكتبات الكليات الإسلامية وقلما خرج عمل منها إلى حيز الوجود .

السبيل للرد على الشبهات المثارة فى وجه الإسلام :

نطرح هنا تصورا قابلا للتطبيق إن خلصت النوايا وصدقت الهمم ومضت العزائم ، وذلك على النحو التالى :

أولا : لابد من جمع الشبهات المثارة فى وجه الإسلام قديما وحديثا فى موسوعة واحدة ، وتنقيتها وتحريرها ونسبتها إلى قائليها إن استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ثانيا : يستعان فى جمع هذه الشبهات بالمراكز الثقافية للمسلمين فى الغرب والطلاب المبتعثين فى مهمات علمية ، واللجان العلمية المتخصصة الغرض وطلاب الدراسات العليا فى الكليات الشرعية والمشتغلون بشبكة الاتصال المفتوح (الانترنت) وتلقى الشبهات بالبريد على مركز الشبهات .

ثالثا : فهرست هذه الشبهات على أي تقسيم يراه المختصون كالشبهات حول مصادر التشريع ، العقيدة ، الشريعة ، الأخلاق ، الفكر الإسلامى ، قضايا اجتماعية ، قضايا إنسانية ، علوم ومعارف .. الخ

رابعا :إنشاء مركز إسلامي للدفاع عن الإسلام يكون مقره الأزهر الشريف و فروع فى دول العالم الإسلامى يقوم بالأمور التالية :ـــ

الأمر الأول : إدخال هذه الشبهات فى مركز للمعلومات مع إعلانه قبول كل شبهة تثار فى وجه الإسلام ، وترسل على عنوان المركز ويقوم المختص بمراجعة الفهرس العام لسجل الشبهات ، فإن كانت الشبهة جديدة أدرجوها ضمن السجل وإن كانت قديمة فى قالب جديد أشاروا إلى مثيلتها من الشبهات السابقة

الأمر الثانى : إعطاء الباحثين والدارسين ما شاءوا من هذه الشبهات لتسجيل دراسات حولها فى مرحلة الدكتوراة بشرط أن لا تكون الشبهة قد سبق الرد عليها

الأمر الثالث : تسجيل الردود على الشبهات التى تم الرد عليها ، ليستعين بها كل راغب فى الرد على هذه الشبهات ، وليقرأها كل راغب فى الرد عليها ، فإن رأى جديدا لديه عما سبق كتبه إلى هذا المركز وسجل باسمه على غرار براءة الاختراع وإن لم يكن لديه جديد بحث عن شبهة لم يرد عليها واشتغل بها ، وفى هذا المشروع نرى توفير الجهد والمال والوقت والاشتغال بالجديد وعدم تكرار الماضى.

الأمر الرابع : تشكيل لجان متخصصة لمراجعة الردود قبل إدراجها فى مركز المعلومات فإن أجازت الرد بموافقة أغلب الأعضاء سجل ، وإن رفضت إجازته رد ولا حرج .

خامسا : وجوب اختيار الأكفاء فى البحث المتضلعين فى المعرفة المشهود لهم بالاعتبار فى الأوساط العلمية ، حتى تأتى الردود دامغة للشبهات ، وقد بدأت هذه المحاولة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر ، وصدر العدد الأول من (حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين) .

سادسا : جمع أعمال هذه اللجان وما أجازته من عمل فردى فى موسوعة خاصة بالشبهات المثارة فى وجه الإسلام والرد عليها باللغة العربية ابتداء ، وتترجم إلى اللغات الحية تباعا ، وهو ما يحاول المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فعله الآن.

سابعا : ضرورة الاستعانة بـ :

أ ـ ما كتبه المنصفون فى الغرب بحق الإسلام ، لأن لغة خطابهم أقرب إلى عقول خصوم الإسلام من لغتنا

ب ــ الرجوع إلى الكتب التى اشتغل أهلها بالدفاع عن الإسلام واقتباس كل نافع منها .

ج ــ الرجوع إلى الندوات والحلقات العلمية المذاعة للإستفادة منها فى الردود المتعلقة بهذه الشبهات .

د ــ الرجوع إلى البحوث التى أجيزت فى مرحلة الماجستير والدكتوراه وتهذيبها والاستفادة منها .

ثامنا: إيفاد علماء متمكنين فى علوم الدين الإسلامى إلى بلاد الغرب لحسن عرض الإسلام فى المراكز مصدر الشبهات هناك ، وهو ما عقـــدت وزارة الأوقاف المصرية العزم على تنفيذه فى صورة قوافل تغطى العالم الغربى .

تاسعا : تعيين مستشار ثقافى دينى فى سفارات الدول الإسلامية بالدول الغربية من المشهود لهم بالكفاءة العلمية والاستقامة الفكرية والخلقية ، ويمكن الاستعانة بطلاب البعثات من أصحاب الدراسات الدينية لسد العجز فى هذا المجال .

عاشرا : زيادة الوعى الدينى لدى الجاليات الإسلامية فى البلاد الغربية وتحميلها مسئولياتها الدينية تجاه الإسلام حتى تقوم بالنشر له وتكون خط الدفاع الأول ضد الشبهات .

حادى عشر : عقد مؤتمرات مشتركة فى الداخل والخارج مع المستشرقين لمعرفة ما عندهم عن الإسلام , وتعريفهم بما عندنا من فكر صحيح .

ثانى عشر : الكشف عن السلوك المنحرف لبعض الجماعات والجمعيات المنتسبة إلى الإسلام حتى لا تحسب سلوكياتهم على الإسلام .

ثالث عشر : استئجار قنوات فضائية ــ مؤقتا ــ فى بلاد الغرب ، وتوجيه ما يستطاع من القنوات العربية لمخاطبة الغرب بلغته مع الإكثار من هذا الأمر حتى تصل الرسالة إلى الأفراد والجماعات فى الغرب وليس للمؤسسات الحكومية وحدها ، ويمكن الاستعانة فى ذلك بشبكة المعلومات الدولية (الانترنت) .

رابع عشر : إصدار مجلات أسبوعية أو شهرية تقوم بالتعريف بالإسلام ، يتولى الكتابة فيها صفوة علماء المسلمين وتترجم إلى اللغات الحية وتوزع على نطاق واسع .

خامس عشر : تحصين كل مبتعث إلى ديار الغرب من أخطار وسموم الاستشراق وتبصير هؤلاء الدارسين بمهمتهم ومسئوليتهم تجاه الإسلام ، على غرار ما تفعله المملكة العربية السعودية فى رعاية المبتعثين .

سادس عشر : بذل كل جهد ممكن لنشر الإسلام فى الخارج باعتباره أمرا وقائيا ضد الشبهات فى الداخل والخارج .

سابع عشر : عقد مناظرات وإجراء مساجلات مع العلمانيين فى الداخل وبيان صلاحية الإسلام للدين والدنيا ، لأن كثيرين منهم يتهمون الإسلام عن

جهل ويظنون أنه طقوس تؤدى ، وبعضهم يرى الإسلام فى سلوك بعض أئمته فإذا ما اتضحت لهم الحقيقة عدلوا عن أفكارهم .

ثامن عشر : دعوة الشيوعيين فى بلاد العالم الإسلامى ، إلى حضور مؤتمرات وعقد ندوات تكشف لهم عن صلاحية الإسلام لكافة ميادين الحياة الإنسانية ، فإن استطعنا فعل ذلك فقد كسرنا شوكة من الشوكات المسلطة على الإسلام ، وعدول هؤلاء عن فكرهم إلى الإسلام ، يكسب الدعوة رجالا ، لهم وزنهم فى مجال الجدل والمناظرة ، فضلا عن عمقهم فى دراسة التاريخ وتحليله وما أظن ذلك يخاف عن أحد !

كلمة أخيرة :

إن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ، وما لنا نستحى من أناس لا يستحيون ، لماذا لا نطرح من الشبهات بل من الحقائق ما يعجز خصوم الإسلام عن الطعن فيه ويجعلهم يشتغلون بالرد ، وبدلا من أن نجرى وراءهم فى الرد نجعلهم يتكفتون خلفنا فى الدفاع .

والأمل فى حفظ الله لهذا الدين قائم ، قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) [١]

والحمد لله رب العالمين ،

* * *

---

[١] الصف الآية ٩

• الخلق الأول كما يصوره القرآن

إن البحث في الخلق الأول للكون لم يتوقف لحظة واحدة ، سواء أتعلق ذلك بخلق الكون أم بخلق الإنسان ، وإذا كان الإنسان مما يندرج عليه كلمة كائن ويندرج تحت كلمة (كون) كفصل من الجنس إلا أن الباحثين قد قسموا الحديث عن الخلق الأول إلى قسمين :

القسم الأول : يتناول خلق المحسوسات غير الإنسان ، وهو ما يسمي بآيات الله الكونية .

القسم الثاني : يتناول خلق الإنسان الأول (آدم عليه السلام) وزوجه (حواء) وسائر بنيه وهو ما يعرف بآيات الله الإنسانية .

وقد ذكر القرآن أمر الخلق ونسبه إلى الله بما لا يدع مجالا للشك ، واستدل به على وجود الخالق ورعايته ، ويمكن بيان ذلك بشئ من الإيجاز في ضوء القرآن نظرا لظهور كثير من النظريات وذيوع وشيوع كثير من الافتراءات، حول تكوين الأرض والشمس والقمر ، والتي تحاول أن تفسر الوجود تفسيرا ذاتيا دون خلق أو ترتيب ، بل إنها الصدفة ، أو القوانين التي تحكم الكون دون مقنن ، ومثل ذلك القول بوجود الإنسان الأول .

خلق السماء والأرض كما يصوره القرآن

قال تعالي مخاطبا أهل مكة من الوثنيين ومن يدور في فلكهم (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوي إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) [1] ونلمح من الآيات السابقة ما يلي :

١- التصريح بالخلق ونسبته إلى الله ، والخلق في لغة العرب هو الإيجاد من العدم .

٢- استغرق الخلق وحدتين من الزمن عبر عنهما بيومين ، دون القطع بكيفيتهما، فاليوم عند العرب يطلق علي الليل والنهار، وعلى النهار فقط ، وعلى فترة زمنية مختلفة المقدار : (يوم بدر) (يوم حنين) أو محددة المقدار(وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) [2] (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [3]

---

(١) فصلت : ٩-١٢

(٢) الحج : ٤٧

(٣) المعارج : ٤

٣- إيجاد الجبال في الأرض وفق سنة الله وحكمته ومشيئته وبيان الغاية من إيجادها (رواسي من فوقها) وفي غيرها من الآيات (وجعلنا فيها رواسي شامخات) [١] (والجبال أرساها) [٢]

٤- بارك الله في الأرض ، فهي تعطي منذ سكنها الإنسان ولا يزال عطاؤها قائما موصولا غير منقطع (وبارك فيها) فكلما توجه الإنسان بالطلب قابلته بالعطاء، وهذا هو سر تقدم الغرب على الشرق في الحياة المادية ، بل إن البركة لتسير طردا مع الزمن ، فعشرات المعطيات الأرضية لم تظهر إلا في الآونة الأخيرة ، البترول ، الغاز الطبيعي ، اليورانيوم ، الخ .

٥- أنها مصدر القوت لكل كائن حي يعلوها أو يسكن في داخلها (وقدر فيها أقواتها) . (ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا ، وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) [٣] (سبح اسم ربك الأعلي ، الذي خلق فسوى والذى قدر فهدى ، والذى أخرج المرعى) [٤] بشرط أن يلتمس الإنسان أسباب القوت ، كما تلتمسه الحيوانات والطيور (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [٥] .

وفي الحديث " لو أنكم تتوكلون علي الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا " [٦] لم يقل تنام وتأكل ، بل تخرج وتلتمس أسباب الرزق ، وتعود وقد تحقق لها ما تريد .

٦- استغرق الخلق والبركة وتقدير الأقوات أربعة أيام متساوية ، واليومان الأولان داخلان في الأربعة المذكورة حتى لا يكون التعارض ، وهو ما يعرف بتداخل الزمن ، فإذا قلت وصلت إلى طنطا بعد ساعة ، وإلى القاهرة بعد ثلاث ساعات ، فلا يعني ذلك أن الرحلة قد استغرقت أربع ساعات ، بل الساعة الأولي مندرجة في الثلاث الأخيرة .

٧- ما سبقت الإشارة إليه ، الناس أمام الانتفاع به سواء دون اعتبار لاعتقاد أو إلحاد ، وإن كان الدين الحق يضع قواعد وضوابط للتعامل مع الأرض ، لم تعرفها البشرية حتى الآن .

٨- صرح القرآن بخلق البحار والأنهار ، وتكوين مياه الآبار والعيون وتسخير ذلك كله لصالح الإنسان بقدر وحكمة ، قال تعالي : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريقا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ..) [٧] (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل البحرين

---

(١) المرسلات : ٢٧
(٢) النازعات : ٣٢
(٣) المرسلات : ٢٥- ٢٧
(٤) الأعلي : ١- ٤
(٥) الملك : ١٥
(٦) الحديث مسند أحمد ٣٠/١
(٧) النحل : ١٤

حاجزا ٠٠٠) [١] (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات)[٢] (أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) [٣]

٩ـ وأما عن خلق السماء فقد تم في يومين كما ورد في النص الشريف (فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها) وجعلها تعلوا الأرض وتحيط بها ، فهي كالسقف لها (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم) [٤]

١٠ـ انقادت السموات والأرض لله انقيادا اختياريا وأجرى سننه فيهما فبقى الانقياد بالاضطرار ، وذلك حين خوطبنا بقول الله تعالى (إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وسواء أكان النطق بلسان الحال أم بلسان المقال فإن المسلم لا ينكر كون الحق أنطقهما بكيفية شاءها ، كما أنطق الجبال لداود والطير لسليمان وعندما عرضت عليهما التكاليف الشرعية ، دعوا الله ربهما أن يخفف عنهما ذلك ، لأن بهما من الضعف ما يعجزهما عن القيام بذلك (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) [٥]

١١ـ صرح القرآن بأن الأجرام العلوية قد خلقت خلقا مستقلا لغاية ، ولم تنفصل عن بعضها ، أو تكون نتيجة انشطار أو انشقاق بل خلق بقدر ، يستوي في ذلك : الشمس والقمر والنجوم والكواكب قال تعالى : (وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) [٦] وذلك بقدر وحكمة (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [٧] (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) [٨] وعن النجوم ورد قوله تعالي : (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ولهم عذاب واصب ، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) [٩] (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير) [١٠]

---

(١) النمل ٦١
(٢) الرعد ٣
(٣) الزمر ٢١
(٤) النازعات ٢٥ ـ ٣٣
(٥) الأحزاب ٧٢
(٦) الأنبياء ٣٣
(٧) يس ٣٨ ـ ٤٠
(٨) نوح ١٦
(٩) الصافات ٦ ـ ١٠
(١٠) الملك ٥

١٢- وأما حديث القرآن عن الرعد والبرق والصواعق والمطر والغيث وصور السحب المختلفة ... الخ فقد ورد كثير من آى القرآن منسوبا من حيث التكوين والسير والسقوط والانتفاع وعدم الانتفاع إلى الله ، قال تعالى : (ألم ترى أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) [1]

وبهذه العجالة من العرض يكون الحديث عن خلق الأرض والسماء قد اتضح مضافا إلى الله ، قائما على سنن ، لغاية شاءها الحق ولحين ينتهي معه الوجود ، إلا ما شاء الله ، فليس تكوين الأرض عبثا ولا صدفة ولا خبط عشواء، وهذا ما تنطق به الفطرة إذا سلمت من المؤثرات الخارجية . (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولون الله فأني يؤفكون)[2]

خلق الإنسان :

لخلق الإنسان أربع كيفيات أو صور ، كما صرح القرآن الكريم ، ثلاث منها خاصة وواحدة عامة ..

أما الصور فهي :

١- خلق آدم عليه السلام
٢- خلق حواء رضي الله عنها
٣- خلق عيسى عليه السلام
٤- خلق الناس أجمعين من غير هؤلاء المذكورين

وقد ذكر القرآن خلق آدم ، ومراحل الخلق ، وفصلت السنة الحديث عن طوله ولونه وبعض أحواله حال الخلق ، بما لا يدع مجالا للشك ، أو يفتح بابا للريب ، إلا إذا كان الهدف الإضلال بعد قيام الضلال بالمتحدث، قال تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) [3] أي أن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان الأول من الأمور الغيبية التي لا سبيل للعلم بها إلا من طريق الوحي ، وكل محاولة لتفسير ذلك الخلق من قبل الإنسان ، في غير هدى من وحي ، هي لون من الضلال ، لأنه حديث عن غيب لا مجال للعلم في بحثه ، ويمكن بيان هذه الصور على النحو التالي :-

---

(١) النور ٤٣
(٢) العنكبوت ٦١
(٣) الكهف ٥١

أولا : خلق آدم عليه السلام :

مر آدم عند الخلق بأطوار ، كما يمر سائر بنيه في بطن أمهم بأطوار كذلك ، وهو أحد المعاني في قوله تعالى : (وقد خلقكم أطوارا)[١] وهذه الأطوار جمعها كثير من المفسرين وكتاب قصص الأنبياء والسير على النحو التالي :-

أ) طور التراب : قال تعالي : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب)[٢] (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب)[٣] وفي الحديث : " الناس لآدم وآدم من تراب "

ب) طور الطين (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) [٤](الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) [٥](إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) [٦]

ج) طين لازب : ومن معانيه اللازج قال تعالي : (فاستفتهم أهم أشد خلقا أمن خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب)[٧]

د) طور الصلصال : قال تعالي : (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) [٨](ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون)[٩] (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) [١٠]

هـ) هذه المراحل غير مستوية الزمان أو محددة المقدار من دليل قطعي يعتد به في كل مرحلة ، وإن أشار القرآن إلى بقاء الإنسان الأول فترة من الزمن حتى نفخ فيه من روح الله ، قال تعالي : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) [١١]

و) وصف خلق الإنسان بالخلق المميز عن سائر المخلوقات ، فقد أوجدها الله بالأمر الإلهي (كن) فكانت ، وأما الإنسان فقد أضاف الله خلقه إلى نفسه ، وسواه وشكله بيده (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) [١٢]

يقول المفسرون : إن التعبير باليد هنا يكسب آدم خصوصية لم تتوافر لغيره من المخلوقات الأخرى، ولا يتأتي تأويلها بالقدرة ، لأن سائر المخلوقات أوجدها الله بقدرته ، ولو أراد بها القدرة ، لما توقف إبليس عن الاحتجاج قائلا :

---

(١) نوح ٤٣
(٢) آل عمران ٥٩
(٣) الحج ٥
(٤) المؤمنون ١٢
(٥) السجدة ٧
(٦) ص ٧٨
(٧) الصافات ١١
(٨) الرحمن ١٤
(٩) الحجر ٢٦
(١٠) الحجر ٢٨
(١١) الإنسان ١
(١٢) الحجر ٢٦

وأنا بقدرتك أيضا ، فكان التعبير باليد فيه إظهار فضل آدم دون سواه ، في غير تشبيه ولا تجسيم ، وفي إطار قوله تعالي : (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) [١]

وهذه الآيات قد أثرت على الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية بالآتي :

أولا : التصريح بوحدة الأصل الإنساني وعدم تفاوت البشر من حيث المنشأ (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) [٢]

ثانيا : أبطلت كل مزاعم الجاهلية ، وأسقطت دعاوي العنصرية وصححت أفكارا سادت البشرية قبل التنزيل ، فالفرس قسموا طبقات المجتمع إلى ملوك وحكام وهم من طبقة الآلهة ، ورجال القضاء والجيش وهم من طبقة البرجوازية أو الطبقة العليا ، والمنبوذين أو الشوترا وهم العمال والفلاحين ، والعرب ألفوا التفاضل بالأحساب والأنساب والكرم والشجاعة ونصرة المظلوم إلى آخره ، كما عرفوا الطبقية الاجتماعية على أساس من الغني والفقر والحرية والرق .

ثالثا : كان الرسول صلي الله عليه وسلم يحذر آل بيته من الاعتماد على النسب دون العمل ، وينهي عن كل بقية من جاهلية بعد نعمة الإسلام وفي الحديث: " ليس منا من دعا إلى عصبية " [٣] " من دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم " [٤] (إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي وفاجر شقي ، والناس بنو آدم وآدم من تراب ") [٥]

رابعا : معيار التفاضل بين الناس هو التقوي ، وهي كلمة جامعة للخير كله، وأما الصحة والمال والأرض ، فكل سبق في ذلك هو لون من الابتلاء ، ليشكر الإنسان أو يكفر (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم)[٦]

خامسا : سنة الله في الكون أن الأيام دول ، فقد تكون الغلبة لدولة الإسلام ، وقد تكون لغيرها ، وقد تكون لبقعة من أرض الإسلام دون غيرها أو دون سواها ، وقد تكون لغيرها ، وقد يكون الغني لأمة دون سواها وقد تعطي جماعة العلم ويحرم غيرها ... الخ كل ذلك لا يأذن بالإستعلاء أو الاستعباد أو السيطرة ، بل

---

(١) الشوري ١١
(٢) الأعراف ١٨٨
(٣) أبو داود ٥١٢١
(٤) حم ١٣٠/٤ حب ١٢٢٢
(٥) حم ٣٦١/٢
(٦) النمل ٤٠

يوجب الشكر ، إذا كان الأمر بين المسلمين ويدفعهم إلى اليقظ والنهوض إذا كان بيد غيرهم ٠

ثانيا : خلق حواء :

وردت آيات ثلاث ، تشير إلى خلق الزوج من النفس الواحدة هي حسب ترتيب المصحف كما يلي :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)[1] (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)[2] (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ٠٠٠)[3]

وجمهور المفسرين علي أن النفس الواحدة في الآيات الثلاث هي نفس آدم ، والزوج هي حواء ، ولهم آراء أخرى غير هذا الرأي ذكرها الألوسي في تفسيره وأضاف إليها وزاد صاحب تفسير المنار ٠

وفي السنة إشارة إلي أن حواء قد خلقت من ضلع آدم وفي الحديث :

" استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه ، فإن قومته كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج " [4] وفي الحديث " إنما النساء شقائق الرجال " [5] وجمهور المسلمين على أن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وإلى هنا ذهب كثير من الصحابة والتابعين ٠

ولا يعني خلق حواء من آدم الانتقاص أو الازدراء أو الاحتقار بل يوجب ذلك على الإنسان احترامهن لأنهن جزء من أصل الخليقة فضلا عن كونهن سكنا للرجال ، ولا يخرجن عن كونهن أمهات لنا أو زوجات أو أخوات أو عمات أو خالات أو بنات بل يجمعن ذلك كله - غالبا - بالنسبة للرجال أو حليلات ٠ وكم كثرت الوصية بهن في السنة ، وسوى الله بينهن وبين الرجال في الأجر المترتب على العمل الصالح والعقاب المترتب علي العمل الطالح ، قال تعالي : (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثي بعضكم من بعض) [6] (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين

---

(١) النساء ١
(٢) الأعراف ١٨٨
(٣) الزمر ٦
(٤) صحيح مسلم ك الرضاعة والبخاري ١٦١/٤
(٥) الحديث مم ٢٥٦/٦
(٦) آل عمران ١٩٥

والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) [١]

ثالثا : خلق عيسي عليه السلام :

وهو خلق يختلف عن المظهرين السابقين ، فأمه حقيقة مسلمة ولا أب له ، وقد عجبت أمه من البشارة بحملها على هذه الصورة حيث انتفت السببية المتعارف عليها في لغة البشر ، إلا أن الملاك أخبرها أنها الإرادة الإلهية ، فما كان منها إلا أن استسلمت لإرادة الله ، فنفخ فيها الملك روح المسيح وكونه الله فيها بلا نطفة من رجل ، فكان الحمل وكان الولادة وكان النطق في المهد كل ذلك خارج عن التقاليد المتبعة ، لحكمة أرادها ، وليس بالإمكان ذكر الآيات (آل عمران ٤٢ ـ ٦١) ٠ (مريم ١٦ : ٣٥) (التحريم ١٢)

رابعا : خلق الناس أجمعين غير هؤلاء المذكورين : ـ

ذكر القرآن الكريم أن الناس يتوالدون من أبوين ، بعد المرور بمراحل، تمت الإشارة إليها في القرآن ، قال تعالي : (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثي من نطفة إذا تمني) [٢](والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) [٣]يتم التزاوج المشروع فتكون ثمرته الطيبة الولد ، فإن كان التلاقي غير مشروع فيكون الحرص على عدم الولد، وهذا سبب أساسي في زيادة السكان في بلاد الإسلام وقلتهم في بلاد الغرب (المشروعية وعدم المشروعية في الحياة الجنسية) ٠

وأطوار الخلق الثاني مجموعة في قول الله تعالي : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين)[٤] وقد أشير إلى كل مرحلة من هذه المراحل في آيات أخري من القرآن الكريم ، كما أشير إلى القرار الأمين ، والمكين ، والظلمات الثلاث التي يخلق فيها الإنسان في بطن أمه ، وهو ما لا يستطيع العلم نفيه فضلا عن إثباته في العصر الحديث ٠

وقد صرحت السنة بما يريح كل نفس ويذهب كل قلق ، ويحقق الأمن وينفي الخوف ، وذلك في حديث الرسول صلي الله عليه وسلم " إن النطفة تكون

---

(١) الأحزاب ٣٥
(٢) النجم ٤٥ ، ٤٦
(٣) النحل ٧٢
(٤) المؤمنون ١٢ ـ ١٤

في الرحم أربعين يوما على حالها لا تغير فإذا مضغت الأربعون صارت علقة ثم مضغة كذلك ثم عظاما ، فإذا أراد الله أن يسوي خلقه بعث إليها ملكا ، فيقول الملك الذي يليه أي رب أذكر أم انثي أشقي أم سعيد أقصير أم طويل أناقص أم زائد ، قوته وأجله أصحيح أم سقيم " [١]

والحديث ينفي كل ما يعتري الإنسان في هذه الحياة من قلق وهي خصوصية في الإسلام لم تتوافر لغيره ، فلا خوف في الإسلام علي العمر لأنه محدد ولا على الرزق لأنه مقسوم ولا على الضرر الواقع أو المتوقع لأنه مقدر، والآيات والأحاديث في ذلك تبلغ حدا في الكثرة ٠ والنوع (ذكر - أنثي) في الإسلام ليس فرضا على الله ، فإنه سبحانه - لا يجب عليه شئ ، وإنما هو هبة ، وإذا كانت له أسباب عند التلقيح ، فلا يزال العلماء عاجزين عن اكتشاف سبب تخصيب حيوان التذكير للبويضة دون حيوان التأنيث والعكس بالعكس، والمحاولات التي تجري الآن لمساعدة المرأة على الحمل، إن تمت على يد أمينة فهي مساعدة للوسائل فقط ، وليس دورها دور إنشاء أو خلق ، فالحيوان يؤخذ من نطفة الرجل ، وتلقح به بويضة المرأة ، لساعات معدودة ، ثم يكون زرعها ثانية في الرحم ، مع بذل وسائل التثبيت للحمل ليكون الولد إن شاء الله ٠ قال تعالي : (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) [٢]

العلاقة بين الإنسان والكون في الإسلام

١- تقوم العلاقة بين الإنسان والكون على أساس من الانسجام التام فلا صراع ولا مصادمة ، ولا يوجد طرفان يستبقان ، بل الكون مسود والإنسان سيد والكون مسخر والإنسان قد سخر له كل ما في الكون ، حتى يتأتي الانتفاع به ، قال تعالي: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [٣] ٠ (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار)[٤] (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [٥]

---

(١) الحديث مسلم ك القدر ٤ ومسند أحمد ٣٧٥/١
(٢) الشوري ٤٩ ، ٥٠
(٣) الجاثية ١٣
(٤) إبراهيم ٣٢ - ٣٣
(٥) النحل ١٤

وأشار إلى نسيان الإنسان لنعمة التسخير هذه ، بل إنه ليظن أن ذلك بقدرته ، وينسي فضل ربه ، قال تعالي : (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) [١]

هكذا تسخير البحر والبر والجو والأجرام السماوية ، فهل ينهض المسلمون كما نهض غيرهم للانتفاع بهذه النعم .

٢- جعل الحق سبحانه الدلائل الدالة على وجوده ورعايته وعنايته بخلقه قائمة بالكون كما هي قائمة بالإنسان ، قال تعالي : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٢] (وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، وفي السماء رزقكم وما توعدون)[٣] وكم دعا الإسلام الإنسان إلى النظر فيما حوله باعتباره دالا على وجود الله وحسبنا الأسئلة التي وردت في سورة النمل (أمن . . .)[٤]

والأمر بالنظر في سورة (عبس) و (الغاشية) وأسلوب العرض والحض على التفكير في سورة (النبأ) والحديث عن الظواهر الكونية في مطلع سورة (الصافات) و (الذاريات) و (المرسلات) و (الشمس) و (العاديات) . . الخ كل ذلك وأقله كاف لهداية الإنسان إلى الحق (إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد) [٥]

٣- انقاد الكون لله بالاختيار ، وجرت سنة الله فيه على الحركة باضطرار (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)[٦] (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [٧](وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ)[٨]

---

(١) النحل ٤ ، ٥
(٢) فصلت ٥٣
(٣) الذاريات ٢١ ، ٢٢
(٤) النمل ٦٠
(٥) ق ٣٧
(٦) يس ٤٠
(٧) القصص ٧١ - ٧٣
(٨) النمل ٨٨

وكم وردت آيات في القرآن تشير إلى التسبيح والتحميد لله رب العالمين ، قال تعالي : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)[١] (ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)[٢] (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)[٣] والآيات تشير إلى تسبيح السموات والأرض ومن فيهن من كائنات حية (وما بث فيهما من دابة) فضلا عن سجودها لله رب العالمين .

٤- الفساد في الكون ناتج عن صنع الإنسان ، فالحق حين خلق السموات والأرض خلقهما خلقا خاليا من الفساد مع قابليتهما له قال تعالي : (الذي أحسن كل شئ خلقه)[٤] (فتبارك الله أحسن الخالقين)[٥] وكم أمر الرسل السابقون أقوامهم بعدم الفساد في الأرض (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها)[٦] (ولا تعثوا في الأرض مفسدين)[٧](إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[٨] إلا أن بعض بني الإنسان لم يستجب للأوامر الإلهية والتوجيهات النبوية عبر التاريخ فكان الفساد في الأرض (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)[٩] والناس يعانون الآن من الإشعاع الذري والنفايات النووية والأسلحة البيولوجية والجرثومية والكيماوية ، وثقب طبقة الأوزون واختلال الطقس ودرجات الحرارة والبرودة في سائر بلاد العالم ، فضلا عن الصواريخ عابرة القارات ، حاملة الرؤوس النووية ، التي تدمر الأرض ومن عليها مئات المرات ، كل ذلك من صنع الإنسان (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) [١٠] وقد ظهرت في الآونة الأخيرة جماعات في الغرب تدعو إلى الرفق بالكون والطبيعة وتقليل الفساد والإفساد مثل جماعة الخضر ، أطباء بلا حدود ، وأنصار الطبيعة ، فضلا عن المؤتمرات التي عقدت لمثل هذا الأمر .

---

(١) الإسراء ٤٤
(٢) النحل ٤٩
(٣) النور ٤١
(٤) السجدة ٧
(٥) المؤمنون ١٤
(٦) الأعراف ٥٦
(٧) هود ٨٥
(٨) المائدة ٣٣
(٩) الروم ٤١
(١٠) الشوري ٣٠

٥ـ لا يزال المجهول في الكون أكثر من المعلوم ، هذا هو منطق الإسلام ، والأصل في الكشوف العلمية أن تكون هادية إلى الحق لا داعية إلى الكفر، فالسنن الكونية لها مواقيت مواليد ، وهي تدل على جهل الإنسان أكثر مما تدل على علمه ، قال تعالي : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)[١] (ويخلق ما لا تعلمون)[٢] ولذلك أمر الإسلام الناس عامة والمسلمين بخاصة إلى النظر في الكون وكشف أسراره ، وفك رموزه ، حتى يتحقق لهم رغد العيش وعطاء الله هنا عطاء ربوبية ، فهو عام شامل لمن التمس الأسباب وإن لم يكن على دين أو كان يدين بدين فاسد ، وهو ما دفع الغرب إلى التقدم المادي حين التمس أسبابه، وتأخر المسلمون لتقاعسهم عن التماس الأسباب .

٦ـ صريح القرآن أن هذا الخلق تم دون تعب أو نصب لذات الخالق ، وهو إبطال لما عليه الفلسفات القديمة (اليونانية بخاصة) والديانة اليهودية ، قال تعالي : (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)[٣] (أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم)[٤] ولا يزال الكون في رعاية الله وعنايته (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا)[٥] إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى الكمية والمقدار والجاذبية والطفو والحركة والتوازن . . .

* * *

---

(١) الإسراء ٣٠
(٢) النحل ٨
(٣) ق ٣٨
(٤) يس ٨١
(٥) فاطر ٤١

نشأة الدين

(التطور العقدي) :

لا يزال البحث في نشأة الدين قائما في المدارس الغربية ، وفي الإسلام كفي الوحي أتباعه ، مشقة الطلب لأمر غيبي ، لا سبيل للعقل إلى الوصول إليه على سبيل التحديد ، ويمكن إيضاح منشأ الدين في الفكر الإسلامي ، ونشأته في الفكر الغربي على النحو التالي :

أولا : نشأة الدين في الفكر الإسلامي :-

يري المسلمون أن الدين وحي لازم الإنسان الأول (آدم) عليه السلام ، بل إن بنيه قد فطروا على الإيمان بخالق لهذا الكون ، قبل خروجهم إلى حيز الوجود، وأمروا بعدم تغيير الفطرة التي فطروا عليها بعد الخروج إلي الوجود ، واستدل علماء الإسلام بالآتي :

أولا : من القرآن الكريم :

١- آية العهد والميثاق ، وذلك في قول الله تعالي (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ٠ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣

وتناول المفسرون هذه الآيات بالبيان ، وأوردوا كثيرا من الأحاديث وإن اختلفت درجاتها من حيث القبول والرد ، فضلا عن ذكرها لأهل الجنة وأهل النار، ومن الآراء في الآية ما ذكره القرطبي قائلا : وفيه ست مسائل :
الأولي : قوله تعالي : (وإذ أخذ ربك) أي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر ٠ ٠ قال قوم : معنى الآية ، إن الله تعالي أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض ، قالوا : معنى (أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) دلهم بخلقه على توحيده ، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا ٠ ٠ ٠ وقيل : إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد ، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها به ٠

وقد استدل بهذه الآية من قال : إن من مات صغيرا دخل الجنة لإقراره في الميثاق الأول ٠ وهذا القائل يقول : أطفال المشركين في الجنة وهو الصحيح في الباب [1]

---

[1] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، مختصرا ٧/٣١٤/٧ ط دار إحياء التراث العربي٠

يقول الرازي : " ظاهر الآية يدل على أنه تعالي أخرج الذر من ظهور بني آدم فيحمل ذلك على أنه تعالي يعلم الشخص الفلاني ، يتولد منه فلان ، وذلك الفلان فلان آخر ، فعلي الترتيب الذي علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض، وأما أنه تعالي يخرج كل تلك الذرية من صلب آدم ، فليس في لفظ الآية ما يدل على ثبوته ، وليس في الآية ما يدل على بطلانه ، إلا أن الخبر قد دل عليه فثبت إخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن ، وثبت إخراج الذرية من ظهور آدم بالخبر[١]

والذي نفهمه من هذا النص الكريم أن الله سبحانه وتعالي قد أخذ العهد على الخلائق قبل إخراجهم إلى حيز الوجود بكيفية لا يعلمها غيره ، بأن يقروا بخالق للكون ، ويعترفوا لهم برب ، وأنهم أقروا علي أنفسهم بأنهم مربوبون وأن لهم ربا ، وحذرهم الله من العدول عن هذا الإقرار ، لأي علة من العلل سواء أكانت العلة الغفلة أم كانت إتباع الآباء أو ما سوي ذلك .

وهذه الفطرة الكامنة في النفس هي التي تدفع كل إنسان إلى السؤال عن مصدره ، بل إن الطفل ليسأل عمن خلقه ؟ فإذا قيل له : الله . قال : ومن خلق الله ؟ الفطرة التي فطر عليها الإنسان ، لكل صنعة صانع ولكل حدث محدث ولكل موجود موجد، وتنزه الله أن يجري عليه ما يجري على خلقه . وهو ما لا يدركه الأطفال .

والشيطان يحرص على إساءة استخدام هذه الفطرة ، وفي الحديث الصحيح " يأتي الشيطان إلي أحدكم فيقول له : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول له : فمن خلق الله ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) . ولن تتحقق راحة النفس إلا إذا أشبعت الفطرة في هذا الجانب . وكما يكون الإشباع الحسي بالنافع والضار ، فقد يأكل الإنسان أو يشرب ما فيه حتفه ، كذلك الإشباع الروحي يكون بالنافع (ما أتي به الوحي) والضار (ما كان من قبيل الوضع) وهو ما يسبب شقاء روحيا لدي أصحاب التيارات المادية .

٢- آية الفطرة ، قال تعالي (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [٢]

يقول ابن عطية : " وقيل : إن الفطرة هي العهد الذي أخذه الله تعالي على ذرية آدم حين أخرجهم نسما من ظهره " [٣]

---

(١) مفاتيح الغيب ٥١ ، ٥٢/ ١٥ دار الكتب العلمية - طهران ط ٢

(٢) الروم ٣٠

(٣) المحرر الوجيز ٤٥٤/١١

وهذه الآية جاءت بعد آيتين تذكران ما كان من أمر المشركين ، واتباعهم الهوي ، وتأليههم غير الله ،دون دليل يعتمدون عليه ، فأمر الله رسوله أن يعرض عن هؤلاء ، وأن يتوجه إليه بالعبادة وحده ، لأن عبادة الله والتوجه إليه بالقصد والطلب، أمر فطري ، وإن كان البعض يعرض عن ذلك ، والواجب عدم الإعراض ، لأن النفي هنا فيه معنى النهي (لا تبديل لخلق الله) .

ويلاحظ أن النص قد وردت فيه كلمة (الناس) ولم ترد كلمة (الإنسان) لأنه لو تم التعبير بكلمة (إنسان) لفتح باب الخلاف في معناه ، هل الألف واللام للعهد أم للجنس .. الخ فقطع النص كل خلاف حين ذكر كلمة (الناس) .

ثانيا : من السنة : نذكر منها حديثين :

الأول قدسي : وذلك فيما رواه الرسول صلي الله عليه وسلم عن ربه (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم) [1]

والمعنى واضح : أن الله سبحانه ـ فطر الناس على الإيمان به خالقا، ولكن الشياطين صرفتهم عن الاعتقاد الحق إلى الاعتقاد الباطل ، فضلا عما أوحت إليهم به من تحريم الحلال وتحليل الحرام .

الثاني : حديث نبوي شريف ، ورد بروايات عدة ، نذكر منها قوله عليه السلام "كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " [2]

ولشراح السنة كثير من الآراء حول النص ، وأقواها لدي البعض : أنه الإسلام ولدي آخرين ، أنه التوحيد ، وقيل البديهيات العقلية ، لكل صنعة صانع ولكل أثر مؤثر ولكل حدث محدث ولكل مخلوق خالق ، فلو لم يصرف المولود عن ذلك إلى عبادة الثالوث أو النار لبقي مهيئا لعبادة الله وحده .

ويلاحظ على النصوص السابقة أنها عامة ، شاملة لبني آدم أجمعين ، وأن الفطرة وصف لازم للبشرية جمعاء وإن اختلفت الآراء حولها .

---

[1] أخرجه الشيخان

[2] الحديث أخرجه الشيخان ، المحرر الوجيز (١١/٤٥٤)

الوحي الإلهي عبر تاريخ الإنسان :-

إذا كانت النصوص السابقة قد أشارت إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فإن نصوصا أخري قد صرحت بأن الوحي الإلهي قد لازم الإنسان منذ آدم - عليه السلام - حتى يومنا هذا ، بطريقة حقيقية أو بطريقة حكمية .

- والملازمة الحقيقية أن يتزل الوحي على نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل ليبلغ عن ربه ، فيكون له بالبلاغ الشهادة على الناس .

- والملازمة الحكمية في قيام أتباع هذا الرسول أو ذاك ، بتبليغ ما أوحي إليه ربه حال حياته أو بعد مماته فتكون لهم الشهادة على خلق الله ، وهذا هو معنى النص الكريم (وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس)[١]

وإذا كان آدم - عليه السلام - أبو البشر ، فإن نصوص القرآن قد أشارت إلى خطاب الله له ، خطابا تضمن أمرا ونهيا ، وهو التكليف في لغة الفقهاء، كما أشارت نصوص القرآن إلى تلقيه كلمات من ربه وإلى إخبار الله له بأن وحيا سيوحي إليه به (فإما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هدي فلا يضل ولا يشقي)[٢]

وجمهور المسلمين على القول بنبوته مع " الخلاف في رسالته" ، وقد وردت في السنة روايات عدة تؤكد نبوة آدم - عليه السلام - وإن اختلفت درجاتها فالضعيف منها منجبر بالقوي ، وفي الحديث بشأنه عليه السلام (قال : نعم ، نبي مكلم)[٣] وفي حديث الشفاعة (ما من نبي يومئذ آدم فما سواه ...)[٤]

وقد أشارت نصوص القرآن إلى علم ابني آدم بالجنة والنار والحلال والحرام والثواب والعقاب ، فمن أين العلم ما لم تكن نبوة - ويكون الوحي ؟ قال تعالي : (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)[٥]

ومن الآيات ندرك الآتي :-

١- العلم بالله والتقرب إليه بقربان طلبا لمرضاته .

٢- العلم بأن الله لا يقبل إلا ما كان طيبا وكان فاعله تقيا .

---

(١) الحج ٧٨
(٢) طه ١٢٣
(٣) أحمد ١٧٨/٥
(٤) الترمذي ج٥ ك التفسير رقم ٥١٥٦
(٥) المائدة ٢٧ - ٣٠

٣- الخوف من الله يحول دون الإقدام على المعصية ٠
٤- للكون إله واحد لا رب سواه (إني أخاف الله رب العالمين) ٠
٥- العلم بالثواب والعقاب المترتبين على العمل ٠
٦- العلم بالجنة ولمن هي والنار ولمن أعدت ؟

وهذا يؤكد علم الأولين بالحق والتكاليف الشرعية والجنة والنار ، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما - كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام [١]

وفي القرآن ما يشير إلى وحدة الدين ، والتزام الناس بالوحي الإلهي فترة من الزمن ، إلا أن عوامل عدة صرفتهم عن ذلك ، قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) [٢]

يقول المفسرون : كان الناس أمة واحدة على الحق فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ٠

والنبوة قد تتابعت عبر التاريخ بدء من نوح وانتهاء بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وقد جمع ذلك الحق في قوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [٣]٠ وقوله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)[٤] وذكر الحق الحكمة من إرسال هؤلاء الرسل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) [٥]٠
(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزي) [٦]

وإذا كان العلم بالرسل الذين أرسلوا إلى بعض الأمم لم يتوفر ، فإن ذلك لا يعني النقص ، فعدم العلم لا يؤدي إلى العلم بالعدم ، كما أن القرآن قد صرح بأنه لم يأت لحصر المرسلين أجمعين - بل ذكر منهم ما تتناسب الأحداث والأحوال في زمنه ، من حيث : الدعوة ، الأمة ، المعارضة والتكذيب ، موقف الداعي) مع

---

(١) الإحسان بترتيب صحيح بن حبان ٢٤/٨
(٢) البقرة ٢١٣
(٣) النحل ٣٦
(٤) فاطر ٢٤
(٥) النساء ١٦٥
(٦) طه ١٣٤

الرسول - صلي الله عليه وسلم - (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) [١]

وكما قال أحد الباحثين : توجد بلاد بلا مصانع ولا متاجر ولا أبنية شاهقة، ولكن لا يوجد بلد واحد بلا معبد (دار للعبادة) وإن اختلفت ألوانها ، وهو ما يؤكد كون الإيمان بالخالق فطرة ، والتطلع إليه غريزة وأما العلم به ، إن كان من طريق الوحي ، فهو العلم الصحيح ، بشرط عدم التصرف في النص الموحي به، وإن كان من طريق العقل فقد ذهبت النفس فيه كل مذهب . والله أعلم .

الدين والتطور (منشأ العقيدة الإلهية) :-

في القرون الثلاثة الأخيرة ، بدأ الغرب ينحو منحي الإلحاد ، وبدا ذلك واضحا في قيام طائفة ممن يدعون بالباحثين أو العلماء أو المفكرين ، في محاولة تفسير الأشياء تفسيرا ماديا ، أو روحيا بعيدا عن الوحي . فاتجهوا إلى الدين بالدراسة كما اتجهوا إلى وجود الكون ونشأته واتجهوا إلى المخلوقات أو الموجودات ، لأنهم لا يستخدمون كلمة خلق ، فتحدثوا عن الحيوانات والإنسان، وحاولوا تفسير ذلك كله تفسيرا آليا زمنيا ، صدفيا ، تطوريا ، طبيعيا ، وفق دعاوي ذكروها ، وشواهد ساقوها .

فكل فكر غريب وعجيب ، يلفت النظر ، ويبهر الرائي ، وينبه العقل الخامل وهو ما دعا إلي ذيوع هذه الأفكار وشيوعها ، فضلا عما يقوم به اليهود، وأعداء الدين ، من ترويج لهذه النظريات .

ومن القضايا التي لم تسلم من أذي هؤلاء وافتراءاتهم قضية (نشأة الدين) . فقد خاض فيها كثيرون ، وكانت نتائج الدراسة متفقة مع طبيعة التخصص ، بل قل : إن التخصص هو الذي فرض علي هؤلاء الباحثين ، أن ينتهوا إلى نتائج متفقة مع مقدمات المصادر التي استقي منها التطوريون أدلتهم .

وإذا كانت اتجاهات البحث في هذا الجانب متعددة فإنني أذكر هذه المدارس باختصار معتمدا على الله ثم على ما ذكره المرحوم الدكتور دراز في كتابه (الدين) ، والدكتور/ علي سامي النشار في كتابه (نشأة الدين) . والدكتور / عبد الرؤف شلبي في كتابه (يا أهل الكتاب تعالوا)

---

[١] هود ١٢٠

والدكتور/ محمود حب الله في كتابه (الحياة الوجدانية والعقيدة الإلهية) حتى يتيسر فهمه على الطلاب ٠

القاسم المشترك بين التطوريين : -

المدارس وإن اختلف القائلون بها ، إلا أن قاسما مشتركا بين هؤلاء جميعا يتجلي في : -

١- أن الإنسان هو الذي اعتقد في الله أو في مصدر للكون وحاول التقرب إليه ٠

٢- الدين ليس قديما قدم الإنسان ولكنه أتى بعد فترة من الزمن يختلف تحديدها بين المدارس ٠

٣- لا يوجد إله ولا وحي ولا رسول ولا رسالة ، فالدين صنعة إنسانية وليس وحيا إلهيا ٠

أوجه الخلاف بين المدارس التطورية :-

١- أول مظهر للخلاف هو تحديد الباعث على الاعتقاد في وجود قوة عليا تتصرف في الكون ، ونشأ عن اختلاف التحديد اختلاف المدارس ٠

٢- النظرة المستقبلية للأديان ، فبينما تري بعض المدارس أن زمن الدين ولي وأن نجمه سيأفل ، تري مدارس أخري أن العلم في خدمة الدين وأنه يقوي الاعتقاد في موجد لهذا الكون ، من خلال القوانين التي اكتشفها العلم ٠ كقانون الرعاية ، العناية ، المقدار ، التوازن ، النسبية ، الجاذبية - الجذب والطرد - الإبداع ، الغاية ، النظام ، ٠٠٠ الخ ٠

الرد على منهج التطوريين : -

يمكن إبطال ما ذهب إليه التطوريون بصيغة العموم على النحو التالي:

١- بحث هذه القضية باسم العلم مخالف للعلم ولمنهجه وقواعد البحث العلمي، فمجال العلم التجريبيات والمحسوسات والواقع ، فكيف يبحث في قضية مضي عليها من الزمن آلاف السنين ، وبخاصة أن بعض العصور السحيقة لم يتوفر من أمرها شئ يساعد على البحث العلمي ٠

٢- لا سبيل للظن في الحقائق العلمية ، فالقول بالاحتمال ، واستخدام صيغ التعريض في البحث العلمي غير مقبول ، مثل : من الممكن ، من المتوقع ، لعل الإنسان قديماً ، حيث إن ٠٠ ولم يذكر أحد من هؤلاء شيئا بأسلوب القطع أو اليقين ٠

٣- التراث الديني كما يعطي سنداً للتطوريين ، فإنه يمد القائلين بالفطرة بكافة الأسانيد التي تدحض رأي التطوريين ٠

٤- ذهب كثير من الباحثين ومعهم أتباع الرسالات الثلاثة " اليهودية - والنصرانية - والإسلام ، إلى أن التوحيد هو الأصل ، والعلم به تم عن طريق

الوحي، والتعدد مرحلة متأخرة عنه ، لانحراف الفطرة والجهل بالله ، ولا تزال القبائل الهمجية حتى الآن تعتقد في الإله الأعلي الواحد الأحد ، وإن صوروه في صورة المحسوس ، إلا أنه غالبا واحد .

٥- قياس الماضي على الحاضر في مجال الدين غير صحيح لإحتمالين :

الاحتمال الأول : أن تكون الأمم المتخلفة في الحاضر ذات ماضي مجيد ، واعورها الزمن فانتكست ، فحاضرها ليس امتدادا لماضيها ، كما أن الصيف لا يحكم به علي الربيع والعكس صحيح .

الاحتمال الثاني : أن الأمم الماضية ليست متردية في حضارتها ، على غرار القبائل الهمجية أو البدائية الحاضرة ، فقد أخبر القرآن عن حضارة عاد وثمود وقوة ذي القرنين وداود وسليمان ، وحضارة المصريين القدماء والآشوريين والبابليين والسومريين ... الخ كل ذلك يشير إلى أن الحضارات تظهر وتكمن ثم تظهر ، ولا يزال الأثريون يكتشفون قصورا وزخارف ونقوشا تحت الأرض تدل على التطور والتقدم في العمران .

٦- قياس التطور في الاعتقاد على التطور في الصناعات غير مضطرد ، بل العكس هو الصحيح ، فالبساطة في الحياة تكسب وفرة في الوقت تدفع إلى التأمل ، والرقي المادي صارف عن التأمل الروحي .

٧- لا يفتقر الرقي في الدين إلى ما يفتقر إليه الرقي في الصناعة ، فالرقي الصناعي يتطلب جهدا ومشقة في البحث ، وسنين عددا في الطلب ، وأما الدين فإنه ينبع من نظرة خاطفة أو كلمة مؤثرة ، أو حدث يوقظ النائم ، وينبه الغافل لأن الدين كامن في النفس ، يفتقر إلى من يوقظه .

٨- القول بالتوحيد وفطريته أقرب قياسا إلى العلوم والفنون وليس العكس ، فكما أن العلوم والفنون تبدأ بسيطة متجانسة ثم تنمو وتزداد ، حتى تصل إلى درجة من التعقيد ، كذلك العقيدة الإلهية والوحي ، يكون البدء سهلا ميسرا ، والتوحيد فطريا ، ثم يكون التعدد والكثرة ، فيكون التعارض والتناقض والغموض .

٩- بين القدر الذي عرفناه من تاريخ البشرية وبين عصر نشأتها - العقيدة الإلهية - لا تزال الثغرة واسعة لم تسد ولن تسد - إذ لم يقل أحد إن الوقائع المفقودة الوثائق يمكن إثباتها على وجه قاطع بمثل هذا الضرب من التخمين .

١٠ـ لم يسلم أي مذهب من هذه المذاهب من النقد ، بل إنها اشتغلت بنقد بعضها ، وما سلم منها ما قاله الآخر ، وهو دليل ضعفها أجمع .

أشهر مذاهب التطور :-

المذهب الطبيعي : يري أهله أن النظر في الكون والطبيعة هو الذي أدي إلى الاعتقاد في وجود إله ، نتج عنه التدين ، لاسترضائه ، وينقسم أصحاب هذا المذهب إلى فريقين :-

الفريق الأول : أصحاب الطبيعة الهادئة ، يقولون : إن النظر في الكون كاف للإيمان بوجود خالق ، بناء على قانوني السببية والغائية ، وقد أله الإنسان بعض مظاهر الكون والطبيعة اعتقادا منه في جلب المنفعة أو درء المضرة أو هما معا، ولما كان الانتقال من المحسوس إلى الروحي شرطا في الإيمان ، فإن اللغة قد لعبت دورها حين وصفت بعض المظاهر الطبيعية بما يوصف به البشر، البحر يجري ، الهواء يزمجر ، النار تشهق وتزفر ، الشمس تطلع ، النجم ظهر أو غاب، وبعد فترة من الزمن ، تم الانتقال من المدلول المجازي للصفة إلى الاعتقاد بحقيقة الصفة ، فكان التقديس لذواتها .

رأي الدكتور عبد الله دراز في هذا الأمر :-

يري أن النظر في الكون يهدي، ولكنه لا يبعث على التاليه للمحسوسات، لأن الأصل في الاعتقاد أن يكون المتوجه إليه أهلا لأن يستقبل حديث من يناجيه ، وأن يكون أسمي مقاما وأكمل صفة من الإنسان ، لأنه يستطيع ما لا يستطيع الإنسان ، فلا يمكن أن يكون مادة صماء لا تسمع نجواك .

ويرى (د/ دراز) أن العقيدة الإلهية ـ بعد الوحي أو في غيبته ـ تنشأ من تزاوج مبدأين نفسيين هما : غريزة عقلية تدفع إلى فهم الطبيعة ، والثاني حاسة وجدانية .

الاعتراض على مذهب الطبيعة الهادئة :-

وجه إلى أصحاب الطبيعة الهادئة كثير من الاعتراضات نذكر منها :

١ـ أن استمرار حركة الأجرام السماوية بصورة رتيبة يبطل الشعور بالانبهار

٢ـ لم يحدث أن دفع العجب صاحبه إلى التقديس والتاليه ، والشعور بالعجب غير الشعور الديني .

٣ـ إذا كان الانبهار بالأفق الأعلي باعثا على التاليه ، فكيف ننسي عبادة الحجر والشجر والزواحف والحشرات والحيوانات .

٤- إسناد العبادة إلى المحسوسات إسناد فيه تجوز ، فالأصل أنها تقدس لوجود روح خفية قائمة بها أو أنها رمز لقوة خفية .

٥- لو كان التأمل في الكون باعثا على التقديس ، لقدست الأجرام المؤثرة دون سواها ، أو ما يبهر الناظر ، والعكس صحيح .

٦- الحيوان لديه القدرة على التمييز بين الكائن الحي والجماد ، فكيف بالإنسان يؤله جمادا ويقدسه ، أو يعتقد أن الجماد يحي ويميت .. الخ

الفريق الثاني : أصحاب الطبيعة الشاذة العنيفة :-

يرى هذا الفريق أن الطبيعة الهادئة لا تدفع إلى التفكير في قوة فاعلة في الكون ، وإنما الطبيعة الشاذة العنيفة ، فالرعد والبرق والصواعق والزلازل والبراكين والعواصف .. الخ كلها تدفع الحيوان قبل الإنسان إلى الانبهار والاندهاش وطرح هذا السؤال : ما سبب ذلك . وما باعثه ، وكيف يمكن تلافيه؟

وحين يعجز الإنسان عن تفسير ذلك ، بسبب ظاهر ، فإنه يصرفه إلى سبب خفي ، فكان الاعتقاد في السبب الخفي القادر على فعل ذلك ، ومحاولة التقرب إليه .

الرد على هذا الاتجاه :-

١- لو كان الباعث على التدين هو الخوف من الطبيعة لبطل التدين الآن بعد التقدم العلمي ، واكتشاف أسرار الحوادث الكبري المشار إليها .

٢- الإيمان يكسب أصحابه القدرة على زحزحة الجبال ، فكيف تكون الحوادث باعثة عليه ، وهي أضعف منه .

٣- لو كان باعث الدين هو الخوف من الطبيعة ، لكانت الأديان ناتجة عن الوهم والخوف وضربا من الخرافة .

٤- الرهبة وحدها تؤدي إلى اليأس وتدفع إلى القنوط ، وما لم يكن الأمل في الخلاص ، يكون الفناء .

المذهب الحيوي الروحي :-

يري أصحابه أن التأليه نتج عن :-

١- إدراك الإنسان الأول أن روحا أعلي من الحياة الحيوانية تقوم به ، فبالثانية ينمو ويزداد ويستيقظ وينام .. الخ ، ولكن روحا غير هذه تقوم به تنتقل في نومه إلى حيث تريد ثم تعود ثانية .

٢- اللاشيئ لا يمكن أن يصير شيئا ، الشئ لا يصير لا شئ ، والفقدان الظاهري إنما هو تغير في الصورة .

٣- الموت مرحلة فصل بين شقي الإنسان (الروح - الجسد) ليعود كل منهما إلى عالمه ، فالجسد يصير ترابا والروح تستقل في وجودها عن الجسد الذي أسرها فترة من الزمن .

٤- بعد خروج الروح من الجسد تصبح حرة طليقة لها قدرة على التحليق في الآفاق والنفع والضر .

٥- تمد الروح الخيرة بعض الأفراد الأحياء بالخير ، كالقدرة على العمليات الحسابية وإلهام الشعراء ، وقوة الأبطال، والخطباء الذين يأخذون بالألباب ، كل هؤلاء ألهمتهم روح خيرة .

وأما المصابون بالجنون والصرع والفساد والقسوة .. الخ فذلك ناتج عن روح شريرة .

٦- يعتقد الإنسان أن روحه جسم مادي من مادة شفافة أثيرية ، لها القدرة على الحركة المستقلة ، فهي تذهب إلى أقصى الأرض ثم تعود ثانية إلى صاحبها وهو نائم ، كل ذلك في دقائق ، وهي تفعل الخير والشر بعد الوفاة ، ولذلك كان الاستراليون يقطعون الإبهام الأيسر لقتلاهم الأشرار ، حتى تفقد روحهم القدرة على الانتقام .

٧- لا يزال تأثير الروح على الأحياء قائما ولا تزال قدرتها غير محدودة ، فالرؤيا الصادقة ، والإلهام والكشف، والتلباثي ، كل ذلك يقوي الاعتقاد في أمرين :

الأمر الأول: وجود كائنات روحية خرجت من الأجساد إلى عالمها ، وروحا أعلى منها تسيطر على سائر الأرواح.

الأمر الثاني: أن هذه الكائنات الغيبية المزودة بتلك القوة الخارقة قد تتصل بعالم النفس أو عالم الحس من الحياة الإنسانية وتترك فيه أثرا من آثارها .

ولكن كيف دفع الاعتقاد في بقاء الروح وعدم فنائها إلى الإيمان بألوهيتها ؟

يجيب أصحاب هذا المذهب بأنه ناتج عن أمور عدة نذكر منها :-

الأمر الأول : الرؤية المنامية للأسلاف والأموات ، وكان الاعتقاد أن للأرواح أجسادا شفافة ، تأتي إلى النائم فتحدثه بما يرى في منامه ، وكان التقرب إليها إتقاء لأذاها وطلبا لرضاها .

الأمر الثاني: الاعتقاد بأن للجواهر العلوية روحا تحركها وتسيطر بها على الطبيعة، وقيل إن الالتباس اللغوي هو الذي أدى إلى التقديس ، بمعنى أن بعض الناس سمي نجما أو شمسا أو أسدا، فلما توفي انتقل التقديس من اسمه كإنسان إلى سميه من الجمادات .

الأمـر الثالـث : إن أول عبـادة إنسـانية إنمـا اتجهت إلـى المـوتي . . لأنـهـا بـه تحولـت مـن روح عاديـة إلـى روح مقدسـة ، وكانـت الطقـوس الأولـي طقوسـا للمــوت ، وكانـت أولـي التضحيات قرابين غذائية تشبع حاجات المـوتي وكانـت القبور أول ما يقدم عليه القربان وإليه النذر .

الأمر الرابع : يري فريق أن الروح لا يراد به الروح الإنسانية ، بل روح خفيـة تحرك الكون بأسره ، تحرك الرعد والبرق والصواعق . . . ومن هنا نشأت فكرة تسكين وتهدئة الأرواح التي تسيطر على تلك الأشياء الطبيعية .[١]

النقد الموجه إلى هذا المذهب :ـ

١ـ إن دلت الأحلام على بقاء الأرواح ، فإنها لا تؤدي إلى القول بألوهيتها فمن الرؤي ما هو أضغاث أحلام ، أو ذكريات أو انفعالات أو ناتج أطعمة . . .

٢ـ تقديس الموتي على العموم غير مسلم ، وإنما التقديس للصالحين منـهم دون الطالحين ، لأن الميت قد يري في المنام طفلا أو هرما أو مشوها . . .

٣ـ العبادة الناتجة عن الاعتقاد في حيوية الأفلاك يبطلها العلم ، بعد فقدانها هذه الحيوية عن طريق التقدم العلمي .

٤ـ دعوي قدرة البدائي على التمييز بين الروح والجسد ، فوق قدراته العقلية ودعوي قيام الروح بالحركة بعيدا عن الجسد باطلة ، ولو سئل المرئي في المنام هل رأيت الرائي الليلة مناما ؟ لكانت الإجابة بالنفي ، بل قد يري في نفس الوقت عكس ما رأي الآخر .

٥ـ كم تخطئ الحواس أثناء اليقظة فكيف لا تخطئ أثناء النوم ؟

٦ـ لـو كانـت عبادة الأرواح هـي منشأ الدين وباعثـه لوجدنا ذلـك لـدى القبائـل الهمجيـة فـي استراليا ، والعكـس صحيح ، فعبـادة الأرواح تـوفرت عنـد الأمـم المتدينة المتحضرة كمصر والصين واليونان ، أكثر منها عند البدائيين .

وبهذا تبطل هذه النظريات وتبقـي الحقيقـة ساطعة كمـا أوردهـا القـرآن الكريم .

---

[١] لثالث عن نشأة الدين ص ٥٩ بتصرف ، والرابع عن ص ٦٠

نظرية التطور (النشوء والارتقاء)

ويراد بها : أن الإنسان لم يخلق خلقا مستقلا به بل تطور عن كائنات حية سبقته بملايين السنين ، مرت بمراحل ووقعت فيها الطفرة ، حتى كان الإنسان الذي نراه الآن .

ويرجع القائلون بالتطور آراءهم إلى :

١- الظن والتخمين والافتراض .

٢- قياس الماضي على الحاضر في القبائل البدائية في وسط أفريقيا ، وجنوب آسيا ، ووسط وجنوب استراليا ، وبعض مقاطعات أمريكا .

٣- التراث الديني القديم وبخاصة الصيني والمصري والهندي واليوناني .

٤- قياس التطور في الاعتقاد على التطور في الصناعات ، فالدين بدأ بصورة مبسطة (الإيمان بقوة عليا) ثم بدأ التدين والتعقيد في الشعائر .

٥- المؤثرات الثقافية على الباحثين ، فكل فن يحاول أهله أن يجعلوه باعثا على التدين لدي الإنسان الأول ، وهو باعث الدين ، وبذلك ظهرت مدارس العلوم الطبيعية ، الروحية ، النفسية ـ الأخلاقية ، الاجتماعية ، ... الخ .

القائلون بهذه النظرية :-

تنسب هذه النظرية إلى (تشارلي روبرت دارون) (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢) وصديقه (ألفريد رسل ولاس) (١٨٢٣ ـ ١٩١٢) .

وهذه النظرية وإن اشتهرت باسم دارون إلا أنه قد سبق برأي (لامرك) كما تبعه كثيرون [١]

ويمكن ذكر الأسس التي استندوا عليها فيما يلي :

أولا : لامارك والقول بالتطور :

يعتمد المذهب اللاماركي (١٧٤٤ـ ١٨٢٩) على قانونين أساسيين .

القانون الأول : قانون الإهمال والاستعمال .

القانون الثاني : الصفة المكتسبة تورث من جيل إلى جيل .

ومعنى القانون الأول : أن استخدام عضو أو طرف وعدم استخدامه هو الذي يؤثر في بقائه وعدمه ، فالبيئة هي المؤثر الأول في ذلك من خلال العلاقة ؟ ؟ بين الجزء بالتوارث ، وانقرضت أرجل الجوت لأنه لا يمشي عليها ، وضمرت أجنحة بعض الطيور بسبب عدم طيرانها ، وطالت الثعابين ونحفت لأنها تعتمد على الزحف في الحركة والهرب، وقوي فراء دواب الدوائر القطبية لمقاومة البرد، وقويت عضلات لأجنحة بعض الطيور لكثرة طيرانها ، وغابت أسنان بعض الحيوانات البرمائية التي لا تستخدمها .

---

[١] نظرية التطور بين العلم والدين ص ٤٨

ومعنى القانون الثاني: أن ما حدث للأسلاف ينتقل إلى الأخلاف بالإرث وينمو بنمو الزمن ، فيأتي الأبناء محاكين الآباء .

الرد على لامارك :-

أبطل الباحثون قول لامارك بالأدلة التالية :

١- أجري (فايزمان) عملية بتر أذناب الفئران لمدة ١٩ جيلا ثم تركها فتولد منها فئران لها أذناب

٢- التأثير بين السلالات يكون من طريق الخلايا الجرثومية (النطفة) لا النسيج الجسمي " ومن المعروف أن الخلايا الجرثومية لا تخضع للمؤثرات والظروف البيئية التي تتطلب من عضو ما إهمالا أو استعمالا "[1]

٣- أجري (كاسل) و (فيليبس) عملية إزالة مبيض خنزير لونها أبيض وزرعا مكانه مبيض خنزير أسود ، وتم التلقيح بعد فترة فكان الناتج خنزيرا أسودا لأن البويضة تولدت من مبيض خنزير سوداء .

٤- في الصين كانوا يضعون الأقدام في أحذية صغيرة لتصغير القدم ، ولم تتوارث هذه الصفة بعد .

٥- تجري عملية قطع الذيل والقرن وشرم الأذن في الحيوانات ، ولم تتوالد أبناؤها محاكية إياها .

٦- يتم الختان عند اليهود والمسلمين من سنين عددا ولم يتوارث الأبناء ذلك (يولدون غير مختونين)

ثانيا : نظرية دارون (١٨٠٩ - ١٨٨٢) وصديقه : رسل ولاس (١٨٢٣ - ١٩١٣)

أسس النظرية :-

١- الصراع من أجل البقاء : فكل الكائنات الحية تتوالد ، ولو بقي سائر أبنائها ما وسعتهم الأرض في مدة ألف عام ، فيكون الفناء للضعيف ويبقى القوي مع توازن بين الأحياء .

٢- البقاء للأصلح ، ومعناه أن الكائنات تختلف في موائمتها للظروف المحيطة بها، ولا يبقى منها إلا ما صلح للعيش في البيئة التي يقيم بها ، ويكون الأفضل .

٣- التطور ناتج للاختيار الطبيعي ، فكل ما يتعارض وجوده مع البيئة التي يعيش فيها ينقرض فمثلا :

- في المناطق الباردة لا يبقى حيا إلا الحيوانات ذات الفراء السميك .
- في الغابات البقاء للحيوانات سريعة الجري والباقي يموت .
- إذا هاجمت الذئاب مجموعة من الخيل فإنها لا تدرك منها إلا الضعيف .

---

[1] نظرية التطور ٤١

إذا فمعنى الانتخاب الطبيعي : أن الطبيعة اختارت كائنات معينة لتعيش وتتناسل وتتكاثر وتبقي ، وهذه الكائنات هي التي تتناسب مع بيئتها . وهذه الكائنات تورث أبناءها القدرة على البقاء والتكاثر مع الاحتفاظ بخصائص الآباء، ويضرب المثل لذلك بقوله : إن الزراف قصير القامة كان موجودا ولكنه انقرض لعدم استطاعته مداومة العيش ، وأما طويل القامة فقد كتب له البقاء .

٤- تتطور الأنواع عن طريق تجمع الاختلافات الصغيرة خلال العصور الطويلة .

ثالثا : نظرية (فريزر) (١٨٤٨ - ١٩٣٥) :

اكتشف فريزر نظرية الطفرة ومعناها : التغير الفجائي في طبيعة العامل الوراثي الذي ينشأ عنه تغيير في ظهور الصفات الوراثية[1]

ويعتمد هؤلاء على الأسس التالية : -

١- اختلاف الناتج عن الأصل فجأة دون مقدمات أو أسباب .
٢- الاختلاف الظاهر بين أفراد النوع لا يعني الطفرة .
٣- الطفرة كامنة دائما في الأصل وهي مما يتوارث .
٤- ظهور الطفرة محدود للغاية ، وقد تتكرر الطفرة على النوع الواحد .
٥- تحدث الطفرة في أى وقت ، وهي نافعة وضارة للكائنات الحية .[2]

الدراسات التي اعتمد عليها القائلون بالتطور : -

١- الحفريات

٢- علم التشريح المقارن يثبت تشابها بين بعض المخلوقات في تركيبها وتكوينها وأطرافها ، وهو ما يؤكد انحدارها من أصل مشترك .

٣- الأعضاء الأثرية أو التراكيب الأثرية ، حيث تشترك الكائنات الحية في كثير من المكونات ولكن بعضها ضعيف أو ذبل لعدم الحاجة إليه ، بينما زاد لدي الغير لقوة الحاجة إليه مثل : الزائدة الدودية بين الإنسان والحيوانات ، الجفن الثالث في العين ، نهاية العمود الفقري ، العضلات المحركة للأذن بين الإنسان والحيوان ..

٤- الأجنة المقارنة حيث تتشابه المراحل الأولي لأطوار الأجنة بين الإنسان والحيوانات ، وهو ما يؤكد التشابه القوي بين الإنسان نفسه والحيوان في المراحل الأولي للتكوين . وبخاصة أن تكوين القلب والأذن والكبد والبنكرياس

---

(١) نظرية التطور ص ٤٦

(٢) المرجع السابق ملخصا ٤٧

من الأمور المتشابهة في جميع الفقاريات ، ومثل ذلك في اليرقات المختلفة لأنواع مختلفة من الحشرات والحيوانات البحرية .

٥- الدليل من علم الفسيولوجيا : أى علم وظائف الأعضاء ، ومن خلال التحاليل والتراكيب أمكن وجود تقارب بين بعض المخلوقات وتحديد أصول بعضها .

٦- دليل من دراسة الدم المقارن : وخلاصته أن بعض الحيوانات تقبل دم نوع آخر ، وبعضها لا يقبله ، بل يكون أجساما مضادة له فدل ذلك على اتحاد أصل كثيرين فيها واختلاف غيرها عنها .

٧- الدليل من التشابه في التركيب الكيماوي وخلاصته أن العناصر الكيماوية والتي يصل عددها إلى ١٠٢ عنصر متشابهة في الكائنات الحية وإن اختلفت النسب ، بل بينها وبين الأرض تقارب .

٨- دليل التوزيع الجغرافي : حيث توجد أنواع واحدة من الطيور (النسر - الغراب - الحدأة) أو الحيوانات (الفيل - الجاموس - الحمار الوحشي ...) ولكنها اختلفت في أشكالها وأحجامها وعدها حسب البيئة التي تعيش فيها وطبيعة تلك الحياة .

خلاصة ما سبق - كما يقول التطوريون - :

لا يوجد خلق مستقل لإنسان أو حيوان أو نبات أو جماد ، بل كانت الأرض كرة نارية ، بردت بمضي الزمن ، فالتوي سطحها وبدأ في التجمد ، وظهرت التضاريس ، وبدأت الأبخرة تتصاعد ، ثم سقطت مطرا ، وانفجر بعض الماء من باطنها ، فكون البحار والمحيطات .

وبعد ملايين السنين بدأت كائنات هلامية بسيطة ، ثبتت فيها الخلايا الحية ، وقد انقسمت بعد إلى أحادية التركيب أو متعددة التركيب وهي أساس سائر الكائنات الحية .

الرد على التطوريين : -

هذه النظرية تتعارض مع الدين والعلم والواقع .

أما تعارضها مع الدين ، فلأن الإسلام قد ذكر كيفية الخلق الأول (آدم) والثاني (بنيه) وما بينهما مما له خصوصية في الخلق (حواء وعيسي) وأما اليهودية ، فقد بقيت في التوراة بقية من حق تصرح بخلق آدم خلقا مستقلا وليس متطورا ، وكذلك خلق حواء دون نشوء أو ارتقاء . ومن النصوص

(فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكرا وأنثي، خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض) . " وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية " . (وأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما . . وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة ، وأحضرها إلى آدم ، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي ، هذه تدعي امرأة لأنها من امرء أخذت) .

وفي المسيحية إشارة إلى خلق آدم وزوجه ، فحين سئل المسيح عن حكم الطلاق قال : (أما علمتم أن الخالق في البدء جعلهما ذكرا وأنثي وقال لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته) .

بل إن الديانات الوضعية لتقول بالخلق ، مثل البوذية ، البراهمانية ، الكونفوشيوسية ، وأساطير اليونان وتاريخ القدماء ليقطع بوجود خالق خلق الكون ، وإن اختلف في تحديده وتسميته .

وأما معارضة النظرية للعلم فمن الجوانب التالية :-

أولا : أن الحكم على الشئ فرع عن تصوره ، وشرط الحكم الإحاطة بجميع أطراف المحكوم عليه ، وأن جريان التجربة وتكرارها مع اختلاف الزمان والمكان واتحاد النتيجة ، كل ذلك قيد لكون الشئ حقيقة علمية .

ثانيا : أن الفروض النظرية ، والملاحظة ، لا يرتقيان إلى درجة النتائج بل هما مقدمات لها ، ودون إيجاب أو سلب لحكم ما ، فإجراء التجربة قيد لابد منه للوصول إلى نتيجة .

ثالثا : إن دارون - ولا شك - كانت تحركه اعتبارات نابعة من علم الاجتماع وهي عوامل لا يمكن أن يكون لها مكان في المبادئ العلمية .[1]

رابعا : اعتراف داروين بأن الحفريات منقوصة الحلقات في ميدان البحث العلمي ، وهو ما يبطل صحة ما ذهب إليه ، ومن أقواله " إن السجل

---

[1] ما أصل الإنسان ، موريس بوكاي ص ٤٤

الجيولوجي أشبه ما يكون بكتاب فقد بعض صفحاته ، ولم يبق منه سوي صفحات قليلة متناثرة ، وفي تلك الصفحات الباقية لم يبق إلا كلمات قليلة .[١]

خامسا : لم يقدم دارون ومعاونوه همزة الوصل بين الإنسان بصورته الحالية وبين أصله الذي تطور عنه كما يزعم " إن الأصل المشترك الواحد الذي انحدرت منه القردة العليا والإنسان لم يعرف إلى الآن ، حيث أبيد منذ أزمان سحيقة جدا ولم يعثر عليه ، وهذا السلف ليس مثل القردة ، ولا هو بالإنسان ، وهو يجمع بين صفات القردة والإنسان .[٢]

"ولكي نكون أمناء مع أنفسنا ومع ضمائرنا نقول : بأن الثغرة الوحيدة في هذه النظرية هي تلك الحلقة المفقودة بين الإنسان وبين القردة العليا "[٣]

سادسا : وجه موريس بوكاي ، نقدا إلى دعوى الانتقاء تذكر منه ما يبطل مذهب دارون ، ومن ذلك .

أ - إن الحوادث والكوارث والحرائق والفيضانات والزلازل والبراكين لا تنتقي وهي تهلك وتدمر كل ما يصادفها .

ب - الموت لا يميز بين الموتي ، فقد يهلك السليم ويبقي السقيم .

ج - لماذا تطور نوع بنظام الطفرة دون سائر الأنواع .

د - لا تزال كائنات بسيطة تتكاثر منذ آلاف السنين دون انقراض .

هـ - تؤكد الدراسات الحديثة لبعض الكائنات الحية أن منها ما يتفق مع أسلافه منذ ملايين السنين مثل سمكة (السيلاكانث) والطحالب الزرقاء والإسفنج والرخويات .

و - مع قدرة الظبي على الجري سريعا ، فإن رائحة تنبعث من قدميه تدل الحيوانات المفترسة على أماكن تواجده ، فيفترس، فلم تغنه السرعة ولا القوة عن الهلاك[٤]

ز - إن الجانب العملي - عند داروين - أبعد ما يكون عن الرسوخ والصلابة ففي الوقت الذي نري فيه ملاحظات ممتعة تماما من ناحية الأنواع المختلفة فإنها لا تذكر شيئا يستحق الذكر بخصوص التطور نفسه وهو أمر مختلف تماما .[٥]

---

(١) نظرية التطور ٧٨
(٢) نظرية التطور ١٤١
(٣) ما أصل الإنسان ٤٦
(٤) ما أصل الإنسان ٥٠ ، ٥١
(٥) المرجع السابق

سابعا : النظرية إلى الظن والتخمين أقرب منها إلى الحقيقة واليقين ، فصيغ الكلام عند دارون ترد بـ (يحتمل ، من المفروض ، قد يحدث ، نرجح) ، مع الاعتراف بغيبة بعض عناصر البحث وفقدان سنده .

وأما معارضة النظرية للواقع من الجوانب التالية : ـ

١- أن فصائل القردة التي ينسب إليها ترقي النوع الإنساني مثل الشمباتزي لا تزال موجودة على ما هي عليه حتى وقتنا ولم نسمع أن أحدا منها قد تحول إلي إنسان ، ولم يذكر لنا سبب تحول بعضها إلى بشر دون الآخرين .

٢- فرق جوهري بين الإنسان والقرد من ناحية الصفات العقلية ، والمهمة المنوطة بكل نوع ، فضلا عن الطاقات الكامنة بكل منهما ، وإذا سلمنا جدلا بالتطور العضلي فماذا يقولون في العقل ، والإبصار ، والتذكر

٣- الأصل : عودة الأشياء إلى حقيقتها ، أو بقاء جوهرها وإن اختلفت أشكالها فلماذا لا ينجب الإنسان قردا الآن باعتبار ما كان .

٤- قضية التوالد قائمة على أسباب ومسببات وقوانين وسنن ، فمن وضع ذلك ومن ركب الكون على هذه الأسباب والمسببات ، قد تتوالد الطحالب في الماء العذب والراكد ، دون الماء المالح ، وقد يجي في الماء المالح ما لا يصلح للحياة في الماء العذب مثل بعض الأسماك ، ولا تزال تلك الكائنات على ما هي عليه ، وزيادة الحجم وصغره يختلف تماما عن الخروج من نوع إلى نوع . .

٥- إن الكشوف العلمية والبحوث الجيولوجية لتؤكد التوافق بين إنسان اليوم وبين الحفريات التي توجد من ملايين السنين ، وما ظهرت بقية لإنسان سبق إلا وكان متشابها مع إنسان اليوم في تركيبه وتكوينه .

٦- ألا يدل القاسم المشترك بين الكائنات الحية على وجود خالق ، فاوت بين الأنواع فجعل هذا إنسانا وذاك حيوانا . . الخ .

إن التفاوت في أفراد النوع الواحد ، بل الأسرة الواحدة لهو من أبلغ الأدلة على خالق لهذا الكون تفاوت في الألوان والألسنة والأعمار والأرزاق وسبل العيش ومصادره . . . الخ .

خطر هذه النظرية :-

تعد هذه النظرية ركيزة أساسية لدعاة الإلحاد ، فداروين نفسه قال : "على أن أخبرك كرجل شريف ، بأنني بلغت غاية الكفر والإلحاد في قولي ، إنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق " [(١)] من رسالة لصديق له ٠ وقوله "ما يقال بأن كل نوع من الأنواع خلق مستقلا بذاته خطأ محض وإني لعلي تمام الاعتقاد بأن الأنواع دائمة التحول " [(٢)]

ويقول موريس بوكاي : " لقد وجد ماركس في صفحات الكتاب المادة المطلوبة لتصفية العقيدة الدينية وإزالتها من الوجود ، وهو رأي يشاركه فيه مؤسسو الاتحاد السوفيتي ، بخاصة " لينين" ٠[(٣)]

" إن من أسباب ذيوع النظرية وشيوعها رغبة بعض العلمانيين في محاربة الدين والقضاء عليه " [(٤)]

وإذا كان خطر النظرية واضحا في تقوية الإلحاد ، فإنها كذلك تسقط قيمة الإنسان كسيد للمخلوقات التي نراها وتجعله شقيقا للحيوانات بل لأدناها وأخسها القردة ، كما تقضي على الاعتقاد بالبعث بعد الموت والحساب ، حيث لا خالق ولا مجازي ولا جنة ولا نار ، إنها الطبيعة التي تفعل ما تشاء - كما يزعمون - ٠

جاء الحق وزهق الباطل :-

إذا كانت هذه النظرية وغيرها قد لاقي بعض النجاح أو الرواج في الأوساط العلمية في فترة من الفترات ، ولعبت عوامل عدة دورها ، في الذيوع والانتشار ، فإنها لم تخرج عن كونها نظريات دعا إليها أفراد قلائل ، وعارضها الجم الغفير ، وأثبتت البحوث العلمية ، لا الفرضيات أو النظريات ، أن الكون مخلوق ، وأن له خالق ، وكلما أمعن الباحثون في الكون والنفس ، كلما تأكد لهم أن النظام المحكم الدقيق الخاضع للرعاية والعناية والتوازن لا يمكن أن يكون خبط عشواء ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى كتاب : الله يتجلي في عصر العلم ، الإسلام في عصر العلم ، الإسلام يتحدي ، قصة الإيمان ، الله والعلم الحديث ، مع الله في السماء ، مع الله في الأرض ، الله والكون ، تفسير الآيات العلمية ، في ملكوت السموات ٠

---

(١) نظرية التطور ٢٧
(٢) نظرية التطور ١٣٩
(٣) ما أصل الإنسان
(٤) المرجع السابق ٤٤

الدين الإسلامي والعلم

الدين يطلق في اللغة علىٰ كل اعتقاد يقوم علي التقديس والتقرب، قال تعالي (لكم دينكم ولي دين) [١]. (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)[٢]

وفي اصطلاح المسلمين يطلق علي : وحي الله إلى خلقه على لسان أنبيائه لصلاحهم في المعاش والمعاد .

والأديان على ظهر الأرض الآن ، تنقسم إلى قسمين :

١ـ دين وضعي ٢ـ دين سماوي

والقسم الأول : لا يعنيه أمر العلم لا من قريب ولا من بعيد ، فالتركيز على العلاقة بين العابد والمعبود هو الركيزة الأساسية لدي واضعيه ، ومن يقرأ البوذية ، البراهمانية ، الكونفوشيوسية ، الوثنية ، معتقدات الصابئة ، يدرك أنه لا خوض في أمر العلم من قبل هذه المعتقدات .

والقسم الثاني : ينقسم من حيث الزمن والنسبة إلى :

أ ـ دين أهل الكتاب (اليهود والنصاري) وكتابهم ، التوراة والإنجيل .

ب ـ دين الإسلام ، وكتابه (القرآن الكريم) .

وإذا كان الإسلام هو القاعدة التي ننطلق منها في فكرنا وحكمنا وهو الميزان الذي توزن به معتقدات الآخرين وأفكارهم وقيمهم فوجب البدء به ، قال تعالي : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)[٣] فوجب الإنطلاق من الاسلام .

الدين الإسلامي والعلم :ـ

يقدر الإسلام كل معرفة ، ويطلق عليها علما ما دامت نافعة ، وكل معرفة لا فائدة منها تسمي لهوا ، وبهذا يتسع مفهوم العلم في الإسلام عنه في الغرب ، الذي لا يطلق كلمة علم إلا علي المعارف التجريبية ، وأما العلوم النظرية كالدين، والأخلاق والفن والاجتماع ، فإنها تسمي ثقافة ، وبهذا يتسع مفهوم العلم في الإسلام ليشمل المعرفة النظرية والتجريبية معا .

فما موقف الإسلام من العلم ؟ وما مجاله في الإسلام ؟ وما دور الدين في مساندة العلم ؟ ودور العلم في خدمة الدين ومتى يتعارضان ؟

---

(١) الكافرون ٦

(٢) آل عمران ٨٥

(٣)

ولماذا تخلفنا في مجال العلم التجريبي ونحن على الإسلام وتقدم غيرنا ؟ وهم لا يدينون بالإسلام ؟ وهل إقصاء الدين شرط كي يتقدم المسلمون كما فعل الغرب ؟ أو أن التقدم مكن مع بقاء الدين بل التخلف سببه عدم الاهتمام بأوامر الدين ؟

هذه الأسئلة نجيب عنها في الصفحات التالية :

أولا : موقف الإسلام من العلم :-

١- العلم صفة كمال ، وقد وصف الله به نفسه، وأكثر من ذكر ذلك في القرآن ، ووصف الله به ، ورد بصيغة الماضي (علم) والحاضر (يعلم) واسم الفاعل الدال على الذات والصفة (عالم) ومن صيغ المبالغة صيغة (فعال) علام ، و (فعيل) عليم • ويبين أن علمه لا حد له (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) [1]• (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) [2]

٢- الإسلام دين علم لا جهل ، ويكفي أن الاعتقاد لا يصح من المقلد والمحاكي ، بل لابد من الدليل والطمأنينة ، وهو يوجب المعرفة طوعا أو كرها ، فلا صحة لصيام ولا صلاة ولا زكاة ولا حج إلا بعلم ولابد من الحد الأدنى لصحة الصلاة وذلك بحفظ قدر من القرآن على العامة والخاصة والمتعلم والجاهل •• الخ

٣- ظهر اهتمام الإسلام بالعلم من الآيات الأولى للتنزيل فأول آية من القرآن (اقرأ) وختم المقطع الأول من التنزيل بقول الحق (الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم) [3]

كما أقسم الله بحروف الكتابة وأدواتها وما يكتب ، قال تعالى (ن • والقلم وما يسطرون • ما أنت بنعمة ربك بمجنون)[4]

٤- أثنى الله على العلماء كما أثنى على العلم في كثير من أي القرآن ، فهم أعرف الناس بالله ، (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[5] • وأشدهم له خشية (إنما يخشى الله من عباده

---

[1] الكهف ١٠٩
[2] لقمان ٢٧
[3] العلق ١ ، ٤
[4] القلم ١ ، ٢
[5] آل عمران ١٨

العلماء)[١] وأبصرهم بآياته (وما يعقلها إلا العالمون) [٢]، وأقدرهم على استنباط الأحكام من كتابه (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [٣] وكلامهم فصل (ولا ينبئوك مثل خبير)[٤] . ولذلك وجب الرجوع إليهم عند كل خلاف (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [٥] . (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [٦]

٥- لم يفرق الإسلام بين طلب العلم الديني والعلم الدنيوي (بلغة العصر) فالعبرة بالقصد، فمن طلب العلم الديني لجاه أو سمعة أو منصب أو كسب مادي فلا أجر له ولا ثواب ، ومن طلب الطب أو الهندسة أو الصيدلة أو الجغرافيا .. الخ لنصرة الإسلام وخدمة المسلمين فهو مأجور - إن شاء الله - والنصوص الآمرة بطلب العلم مطلقة ، بل يري بعض العلماء أن الأمر فيها للعلم الدنيوي أو التجريبي ، وفي الحديث (طلب العلم فريضة) و" الحديث حسن " وفي الحكمة المشهورة " اطلبوا العلم ولو في الصين " وهل كان العلم الديني بالصين ؟ ويري آخرون أنه إشارة إلى تحمل كل مشقة في سبيل الطلب ولو كان في أقصي الأرض ، وهو ما عرفه العرب في زمنهم من بعد المسافات .

٦- كما امتدح الله العلم والعلماء ، فقد عاب الحق الجهل والجهلاء ، وبخاصة معطلي العقل عن التفكير ، قال تعالي (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) [٧]

وبين أن من توفر له العلم وبخاصة الديني - فلم ينتفع به ، فهو كما ورد في النص (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) - (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) [٨]

---

[١] فاطر ٢٨
[٢] العنكبوت ٤٣
[٣] النساء ٨٣
[٤] فاطر ١٤
[٥] الأنبياء ٧
[٦] الزمر ٩
[٧] الأعراف ١٧٩
[٨] الجمعة ٥

ثانيا : دور الدين الإسلامي في مساندة العلم :-

لم يتوقف الأمر في الإسلام عند حد مدح العلم وأهله ، بل قدم الإسلام مساندة حقيقية عملية للعلم بعامة والعالم التجريبي بخاصة ، مع مراعاة أن خطاب القرآن عام ، وأن نصوصه تخاطب البشرية أجمع ، وأما الانتفاع بها بعد الإيمان فهو خاص بالمسلمين •

ويمكن بيان أسس المساندة في الآتي :-

١- أسقط القرآن القدسية عن الطبيعة ، وأزال الرهبة عن مكوناتها ، ففي الوقت الذي نزل فيه النص القرآني ، كان بعض الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم والحيوانات ، ويتهيبون أو يعبدون الجن والملائكة والليل والحجر والشجر •• الخ •

كان الإنسان يتصور نفسه أدني الكائنات الموجودة ، وكل ما عداه أقوي منه ، فتقرب إليه طالبا رضاه ، وخضع له طالبا عفوه ، وذبح له ابتغاء مرضاته، واستعاذ به طالبا عونه ، (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [١]

جاء الإسلام ليقول - بعد الدعوة إلى الإيمان - أن الكون مسخر لخدمة الإنسان وأنه لا شئ من المحسوسات يعلو قدر الإنسان ومكانته وركز على الآلهة المزعومة ، فصرح بأنها مسخرة لخدمة الإنسان ، وأبان بعض جوانب الخدمة في بعض الآيات قال تعالي : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض)[٢](وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه)[٣] (الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار) [٤]

وبين الحكمة من تسخير الشمس والقمر (ولتعلموا عدد السنين والحساب)[٥] إن التصريح بالتسخير دافع إلى الإقدام لا إلى الإحجام ، وباعث علي البحث لا الكسل ، فأي عذر للمتقاعدين وقد دعاهم الله إلى النظر ؟

٢- ذكر القرآن ما يسمي الآن بآداب البحث العلمي ، فقد نهي عن التقليد دون توفر الدليل وبخاصة تقليد الآباء والموروثات البالية ، وهو أوضح ما يكون في

---

(١) الجن ٦
(٢) البقرة ٢٩
(٣) الجاثية ١٣
(٤) ابراهيم ٣٢ ، ٣٣
(٥) الإسراء ١٢

قصة إبراهيم ومحمد عليهما السلام وبين أن بعض الموروثات سبب اضلال والإضلال ، كما نهي الإسلام عن الظن (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) [١]

وعن الكلام بلا دليل (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) [٢] وعندما خاض قوم أهل الكهف في عددهم ، قال تعالي (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) [٣] ونهي عن الهوي في الأحكام في كثير من الآيات ، وبين أن الهوي سبب الضلال في الاعتقاد ، وهو في العلم أشد منه إضلالا فالموضوعية قيد من أجل الوصول (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثني وفرادي ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) [٤]. (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) [٥]

مع إيمان الباحث بأن قدره في العلم محدود (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) [٦] ولا يزال المجهول أكثر من المعلوم بالنسبة لسكان الأرض ، فأمر ذي القرنين وسدهما وأمر دواب السماء ، والعوالم الأخري لم يزل غيبا بالنسبة للإنسان وما هو غائب أكثر مما هو حاضر ، (ويخلق ما لا تعلمون) [٧]

٣- الإشارة إلى كثير من قوانين العلم التجريبي في القرآن :

القرآن كتاب هداية وإعجاز ، وليس كتاب علم بالمفهوم الغربي بل هو كتاب علم بالمفهوم الإسلامي، وقد أعجز القرآن البشرية في مبناه ومعناه، وإعجاز المبني ثابت ، وإعجاز المعني يتجدد بتجدد الزمان ، ونحن في زمن العلم التجريبي الصليبي الإلحادي ، وقد حرص الغرب علي نقد القرآن والطعن فيه ، كما حرص المسلمون علي إقامة الدليل علي إعجاز القرآن لغير المسلمين في القرن العشرين ، ورأي كثيرون أن خير ما يستشهد به علي كون القرآن وحيا من الله هو الحقائق العلمية التي وردت في القرآن منذ أربعة عشر قرنا علي لسان نبي أمي ، والتي حار فيها علماء الغرب ، بل دفعت بعضهم إلى اعتناق الإسلام ، نذكر منها :-

أ- قانون النظام :-

قال تعالي (الذي خلق سبع سموات طباقا ما تري في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك

---

(١) النجم ٢٨
(٢) النمل ٦٤
(٣) الكهف ١٥
(٤) سبأ ٤٦
(٥) آل عمران ٦٤
(٦) الإسراء ٨٥
(٧) النحل ٨

تبصر خاسئا وهو حسير) [١] ، (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ٠ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)[٢] (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) [٣]

وقد اكتشف العلماء المعاصرون مدي انتظام الأفلاك في مدارها وسبحها وبزوغها ٠ وأفولها في غير اختيار ولا إرادة منها ، فضلا عن القدرة في التكوين بما يبهر الرائي ويهدي الضال٠

ب ـ قانون الرعاية والعناية :ـ

فلكل صنعة قانون صيانة ، وقد جعل الله قانون الرعاية والعناية للكون في يده ، قال تعالي (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا) [٤] ٠ (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) [٥] وقد فصل العلماء بعض قوانين الرعاية والعناية في بعض المخلوقات التي انتهت إليهم دراستها ، مثل : كرات الدم البيضاء ودورها في مقاومة الجراثيم في جسم الإنسان وارتفاع نسبة الملوحة في مياه البحار والمحيطات حتى لا تفسد بمضي الزمن ، حركة المد والجزر ودورها في غسيل الشواطئ ، الدورة المستمرة بين ماء الأرض وماء السماء، استبقاء للحياة ، حركة الجذب والطرد في سبح الكواكب والأقمار حول الشمس ، واختلافها باختلاف المسافة وقد نهي الإسلام الإنسان عن خرق قانون العناية ، قال تعالي (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) [٦] ٠ وبين أن سوء السلوك الإنساني أدي إلي الفساد (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) [٧] وهو ما يعاني منه الإنسان الآن ، الإشعاع النووي ، الأوزون ، الأسلحة النووية ، الجرثومية ، غاز الأعصاب ، التلوث البيئي وطبقة الأوزون ، الجفاف ٠٠٠ الخ٠

ج ـ قانون الكمية والمقدار :ـ

فكل شئ في الوجود بقدر، والنسبة أساس الحياة وأن لم يعقل ذلك إلا العلماء ، قال تعالي : (إنا كل شئ خلقناه بقدر)[٨]

---

(١) الملك ٣
(٢) يس ٣٨ ـ ٤٠
(٣) الزمر ٥
(٤) فاطر ٤١
(٥) آل عمران ٥٦
(٦) الأعراف
(٧) الروم ٤١
(٨) القمر ٤٩

(وكل شئ عنده بمقدار)[1] (وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)[2] (وخلق كل شئ فقدره تقديرا)[3] والعلماء كتبوا كثيرا حول قانون الكمية وبخاصة المشتغلين بالكونيات . إن زيادة الأوكسجين قليلا كاف بحرق الكون عند اشتعال عود ثقاب ، ونقصانه كفيل بقتل الكائنات الحية من الإنسان والحيوان ، والتبادل بين الإنسان والحيوان وبين النبات في الأوكسجين وثاني أكسيد الكربون ووزن الأرض لو زاد عما هو عليه لزادت الجاذبية واختلت حركتها ، وشقت الحركة عليها ، وأثر ذلك على مدار القمر ، ولو فقدت كثيرا من وزنها لضعفت جاذبيتها وطارت الأشياء من عليها ، وما أمسكت ماء ولا هواء .... الخ

د - قانون السببية :-

ويراد به قيام الأشياء على أسباب ومسببات ، وقد استخدم القرآن هذا القانون ، في إثبات وجود الله وقدرته ، قال تعالي : (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون)[4] . وذكر أمر ذي القرنين حين طلب منه بناء السد ، فقال للطالبين (ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوي بين الصدفين قال انفخوا ...)[5] وهناك قراءتان في قول الله تعالي (فأتبع سببا) .

هـ - قانون الغاية :-

تنزه فعل الله عن العبث ، وخلقه عن الهوي ، قال تعالي (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا)[6] ، (خلق السموات والأرض بالحق تعالي عما يشركون)[7]

إن المخلوقات لا تحصر ، وما يراه الناس عبثا يراه غيرهم منفعة ، وما جهلنا الحكمة من وجوده ، فقد أدركها غيرنا ، لقد قدمت الفئران للبشرية الشئ الكثير ، فمعظم التجارب تجري عليها ، ويتم الانتقال منها إلى الحيوانات ، ثم يكون الإنسان خير مستفيد من هذه التجارب ومثل ذلك بعض الحيوانات والحشرات والنباتات ..... الخ .

و - قانون التوازن :-

فكل استهلاك يقابله إنتاج ، وكل موجب يقابه سالب ، والليل يقابله النهار ، والأرض يقابلها السماء ، والذكر يقابله الأنثي (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)[8] والحياة يقابلها الموت .

---

(١) الرعد ٨
(٢) الحجر ٢١
(٣) الفرقان ٢
(٤) الطور ٣٥
(٥) الكهف ٩٥ ، ٩٦
(٦) ص ٢٧
(٧) النحل ٣
(٨) الذاريات ٤٩

ز ـ قانون الهداية :ـ

فقد ألهم الله الكائنات الحية عامة هدايتها ، قال تعالي (سبح اسم ربك الأعلي • الذي خلق فسوي • والذي قدر فهدي) [١] وحين سئل موسي عن صفات ربه قال (ربنا الذي أعطي كل شئ خلقه ثم هدي) [٢] وقد كتب كثيرون عن عجائب الممالك الحية مثل : مملكة النحل ، والنمل ، مملكة الطيور ، وكيف إنها تدبر شئون معاشها بما يعجز الإنسان في بعض البلدان عن مثله •

ح ـ قانون الجاذبية :ـ

قال تعالي : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوي علي العرش) [٣] ويقول العلماء هل النفي منصب علي العمد أم الرؤية رأيان : أحدهما : أنها مرفوعة على عمد لا تري ، وقد فصل ذلك المرحوم د/ الغمراوي في كتابه : الإسلام في عصر العلم ، (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) [٤] (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) [٥]

ط ـ قانون الطفو :ـ

وهو أوضح ما يكون في قول الله تعالي (ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد علي ظهره) [٦] ويقول في آية أخري (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) [٧]

إن كثيرين قد كتبوا في هذا الأمر ، نذكر من هؤلاء :

الدكتور الغمراوي • محمد أحمد في كتابه (الإسلام في عصر العلم)

الدكتور وجدي • محمد فريد في كتابه (الإسلام في عصر العلم)

الدكتور حنفي أحمد في كتابه (التفسير العلمي للآيات الكونية)

الدكتور وحيد الدين خان في كتابه (الإسلام يتحدي)

الشيخ نديم الجسر في كتابه (قصة الإيمان)

الدكتور أحمد زكي في كتابه (مع الله في السماء)

الدكتور أحمد زكي في كتابه (مع الله في الأرض)

الدكتور محمد جمال الدين الفندي في كتابه (الله والكون)

الدكتور موريس بوكاي في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة)

---

(١) الأعلي ١ ، ٢

(٢) طه ٥٠

(٣) الرعد ٢

(٤) يس ٣٨ ، ٤٠

(٥) الحج ٦٥

(٦) الشوري ٣٢ ، ٣٣

(٧) الرحمن ٢٤

٤- فتح الباب للخيال العلمي : فأساس البحث العلمي في الفضاء الخيال ، وهو يلعب أساسا في دفع العقل نحو الانطلاق إلى الآفاق ، وإذا كانت بعض القوانين العلمية تولد حسبما قدر لها ، مثل قانون الجاذبية ، فليس ذلك هو الأساس بل الاستثناء ، والأساس أن تلتمس الأسباب ، والإسلام منذ ظهوره قد دعا الناس عامة والمسلمين بخاصة إلى الخروج من دائرة الأرض إلى آفاق أرحب وأوسع، بشرط أن تلتمس الأسباب ، قال تعالي (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان • فبأي آلاء ربكما تكذبان • يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)[١] يقول بعض المفسرين المعاصرين :

إنها دعوة إلى ارتياد الفضاء ، بشرط أن تلتمس الأسباب (لا تنفذون إلا بسلطان) وما لم تلتمس الأسباب سيكون الهلاك (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) •

وقد ذكر القرآن أن البحث في الكون والآفاق هاد إلى وجود الله ، إذا كان الباحث موضوعيا ، قال تعالي (سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٢] ويري بعض العلماء المعاصرين أن ارتياد الفضاء وعد إلهي لابد من تحقيقه ، قال تعالي (فلا أقسم بالشفق • والليل وما وسق • والقمر إذا اتسق • لتركبن طبقا عن طبق)[٣]

كما أن الأمر الإلهي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)[٤] قد فتح الباب للخيال العلمي دون حد والمفسرون يقولون : إن التعبير بـ (ما) في النص لتذهب النفس فيه كل مذهب •

٥- توفير طاقة العقل حين نهاه عن البحث في الغيب ، ودعاه إلى البحث في الواقع ، قل المبحوث فيه أو كثر ، قال تعالي (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)[٥] • (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت • وإلى السماء كيف رفعت • وإلى الجبال كيف نصبت • وإلى الأرض كيف سطحت)[٦] • (وفي

---

(١) الرحمن ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥
(٢) فصلت ٥
(٣) الانشقاق ١٦ ، ١٩
(٤) الأنفال ٦٠
(٥) يونس ١٠١
(٦) الغاشية

أنفسكم أفلا تبصرون) [(١)]. (قل سيروا في الأرض فانظروا)[(٢)] . (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا) [(٣)]

آيات تبلغ حدا في الكثرة تدعوا إلى :

- النظر في النفس .
- النظر في الآفاق .

كل ذلك توجيه إلى الواقع ، وأما الأمور الغيبية فقد قدم الإسلام للعقل كفايته منها ، فذكر المبدأ والمعاد ، والعالم الأعلى ، والعالم الآخر وما يجري بعد القيامة من نشر وحشر وميزان وحوض وصراط وجنة ونار حتى لا يبدد العقل طاقته فيما لا طائل من ورائه .

٦ـ الدعوة إلى التفكير : باعتباره باعث الهداية ، دالا على وجود الله محققا مقصد الدعوة من الإيمان بالخالق ، بل إن الإسلام قد احتكم إلى العقل وهو يذكر الوحدانية ، ويقيم الدليل على نفي التعدد ويثبت التوحيد وفي إطار إثبات النبوة استخدم القياس ، وذكر القيامة وقدم الدليل المقنع على وقوعها سواء من حيث إمكانية البعث والحساب أوالثواب والعقاب .

وكم ذكر القرآن المقدمات وترك النتائج للعقل ، وكم ذكر النتائج وترك المقدمات وأحيانا يذكر المقدمات والنتائج ، كل ذلك نماء العقل الذي هو أساس المعرفة ومحل ادخارها ، والوعاء الحاوي لها ، فهل لمنصف أن يقول بعد هذا : إن الإسلام يعادي العلم ؟ .

ثالثا : دور العلم في خدمة الدين :ـ

العلم التجريبي خادم للدين الإسلامي وبخاصة أن الإسلام قد مدحه ودعا إليه .. الخ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

ويمكن بيان دور العلم في خدمة الدين في النقاط التالية :ـ

أـ ساعد العلم التجريبي في بيان معني كثير من الآيات الكونية في القـرآن ، وكم اقتصر السابقون في بيانها على الدلالات اللغوية للكلمات أو فسرت في ضوء الثقافة التي سادت عصورهم ، فأتي التفسير مصادما للعلم في عصرنا مع العلم الحديث ، ومن يقرأ تفسير السابقين للرعد والبرق والصواعق ويقرأ تفسير المعاصرين في ضوء المعطيات العلمية .. يري الفرق واضحا .. ومثل ذلك تفسير كلمة (لواقح) وجريان الشمس ، ومنازل القمر ، وحركة

---

(١) الذاريات ٢١

(٢) العنكبوت ٢٠

(٣) الروم ٩ ، فاطر ٤٤ ، غافر ٢١

القمر ، ووتدية الجبال وحركتها إلى غير ذلك من الآيات الكونية كما أن الحديث عن النطفة الأمشاج والعلقة والمضغة .. الخ في ضوء العلم اتخذ البيان أسلوبا يتناسب مع لغة العصر .

كما أن الدراسات المتعلقة بعمل القلب وجهاز السمع وآلة الإبصار وجهاز الإحساس ، والغدد ووظائفها والجوارح وخواصها ، تقوي الإيمان وتخدم الدين والدعوة إليه .

ب - بيان حكمة التشريع في كثير من آيات التحريم :

الأصل أن يقبل الحكم الشرعي الإلهي ، وإن لم يتوفر علم للمكلف بحكمته (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ..) [١] . (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) [٢]

إلا أن بعض الأنفس تحتاج إلى براهين أخري ، لمحو الشك وتجلية الحقيقة وبخاصة إذا لم تكن على الإسلام فأظهر العلم حكمة تحريم بعض ما حرم الله ، مثل الآثار الضارة المترتبة على وطء الحائض ، وتحريم الزنا ، وأكل الميتة وشرب الدم ، وشرب الخمر .. الخ .

ج - نتائج العلم التجريبي خير وسيلة لتبليغ الدين ، فالإذاعة والتلفزيون والفيديو، والكاسيت ، والتليفون ، والحاسب الآلي ، وشبكة الإنترنت ، كل هذه الوسائل ، إن استخدمت في طاعة الله فهي خادمة للدين مساعدة على بث اليقين، في الآونة الأخيرة ، طبعت آلاف النسخ من القرآن لقراء مختلفين ، كما طبعت كتب التراث علي اسطوانات ، ويسرت أسباب البحث العلمي ، وجمعت آلاف الأحاديث في اسطوانة واحدة كل ذلك خدمة للعلم وأهله ، فضلا عن البوصلات والساعات ومكبرات الصوت والأقمار الاصطناعية .

د - يتم الاحتكام إلى العلم في كثير من المختلف فيه ، فالخلاف في أي المتوفيين قد سبق الآخر يؤخذ فيه برأي العلم ، ما لم تتوافر القرائن أو الشهود والأمر بالفطر وجوبا في رمضان يكون برأي الطبيب لا الفقيه ، واستئصال طرف أو قطع جزء من داخل الإنسان يكون برأي العلم لا الفقه ، وكم من أمور أفتي الفقهاء فيها بعد أخذ رأي الأطباء وفي كثير من الأحكام يقولون : إن إخبار طبيب عدل مسلم بالفعل أو الترك هو حكم شرعي .

---

(١) النور ٥١
(٢) التوبة ١٢٤

ولا يتوقف الأمر عند حد الطب ، فعلم الهندسة والصيدلة والبيولوجي كل ذلك يحتكم إليه في بعض الأحوال .

هـ - إظهار الإعجاز العلمي في عصر العلم ، كما ظهر الإعجاز اللغوي في عصر اللغة ، ولا يخفي على أحد ، المؤتمرات العلمية التي عقدت لمناقشة هذا الجانب ، بل أسست روابط علمية تحت مسميات شتي لدراسة النص القرآني المتعلق بالأنفس والآفاق ، ومن أشهرها " رابطة الإعجاز العلمي للقرآن" ويكفي هذا الجانب ما كتبه وحيد الدين خان في كتابه : الإسلام يتحدي ، وما كتبه موريس بوكاي في كتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) ، (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة) وآخرون .

إن حصاد العلم التجريبي المنزه عن الهوي خادم للدين لا مصادم له ، لأن الدين - ممثلا في مصدريه الكتاب والسنة - والكون ، قد صدرا عن ذات تتصف بصفة الكمال والعلم المطلق ، ولا يتعارض الكون المنظور مع الكون المسطور ، بل هما معا هاديان للإنسان في هذه الحياة ، إذا التمس الإنسان أسباب الهداية ، فهل من مجيب ؟ ولا ننس "القاعدة العظيمة " لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول " .

رابعا : مجال العلم في الإسلام :-

إذا أردنا بالعلم مفهومه في الإسلام : الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل أو المعرفة الحقة النافعة المقرونة بالدليل يكون العلم في الإسلام شاملا ، للأمور الغيبية والأمور المحسوسة ، ويكون استيفاؤه أو تحصيله للأمور الغيبية عن طريق الوحي ، والأمور الحسية من طريق البحث والتجربة .

وإذا أردنا بالعلم مفهومه الغربي (ما نتج عن التجربة وقام على المحسوس) يكون مجال العلم المحسوسات دون المعقولات أو الميتافيزيقا ، وعلى آية حال ، فالعلم في الأمور الغيبية ينطلق من الحاضر إلى الغائب ومن المرئي إلى اللا مرئي ، وهو منهج الدين نفسه ، فالأثر يدل على المؤثر والصنعة تدل على الصانع ، والحدث يدل على المحدث .. الخ . إلا أن بعض المجالات لا سبيل لبحثها من جانب العلم ، والعلم بها متوقف على الوحي فقط ، كالحديث عن الملأ الأعلي وما يحويه ، والآخرة ومافيها وإن كان القرآن قد استخدم المعلوم للوصول إلى المجهول (وما يستوي الأعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور والظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات)[1](أم نجعل الذين آمنوا

---

[1] فاطر ١٩ ، ٢١

وعملوا الصـالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) [١] ومجال العلم في الإسلام رحب وأدوات العلم متوفرة في الإنسان (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) [٢]

ومادة البحث موجودة (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)[٣] ولن تخرج البحوث التجريبية عن هذين المجالين وآداب البحث مشار إليها في القرآن (الملاحظة - التجربة - استخلاص النتائج) .

فكان الإطلاق في مجال المحسوسات مع التقيد بالموضوعية والنهي عن الهوي وعدم التعصب إلا للحق وقبول الفرضيات الأخري مع الانتهاء إلى النتيجة مقرونة بالدليل .

خامسا : متى يتعارض الدين مع العلم أو العلم مع الدين ؟

أجاب عن هذا التساؤل المرحوم الدكتور عبد الله دراز قائلا :

" لا يعني ذلك الصراع الصوري الذي يستغل فيه اسم العلم أو اسم الدين، ليكون ستارا للمقاصد الخفية ، والمطامع المختلفة من الثروة والنفوذ ... كما لا نعني الصراع الحقيقي الدائم بين النزعات الروحية السامية وبين النزعات المادية المضادة ، التي تهدف إلى الفوضي والإباحية ، وإنما نطلب تفسير المعارضة الفكرية التي تقع بحسن نية بين المعسكرين العلمي والديني ... إن هذه المعارضة تحدث فيما نعلم على إحدي صورتين :

- الصورة الأولي : أن يقف أحد الطرفين موقف المعارض لما عند الآخر جملة لا بناء على حجة تدحضه أو شبهة تضعفه بل عفوا واعتباطا ، أو لجهله به ظنا منه أن كل ما لم يدخل في دائرة علمه في الحال فليست له حقيقة ، وهذا جهل وغرور ، فإن التكذيب بما لم يحط الإنسان بعلمه ولما يأته تأويله خطأ لا يرتكبه الراسخون في العلم أو الدين ، وإنما يقع فيه المغرورون من أنصاف المتعلمين وأدعياء العلم ، وهؤلاء علمهم جهل مركب ، وإنما الإنصاف أن يكون كل امرئ عارفا قدر نفسه بناء غير هدام فيثبت ما وصل إليه في البحث ولا ينفي ما وصل إليه غيره .

---

(١) ص ٢٨

(٢) النحل ٧٨

(٣) فصلت ٥٣

وقد رأينا المتخصصين في فرع من العلم ، يقبلون ما انتهي إليه غيرهم في فرع آخر ، ولا يعيدون التجربة ، ولو فعلوا ذلك ما تقدمت العلوم .

ألم يسلم العلماء بانشطار الذرة ، مع أنه لا يمارس ذلك إلا النفر القليل ، فلماذا لا يسلم علماء التجربة بالروحانيات التي مارسها الأنبياء وإن تعذر عليهم تجربتها ...

- الصورة الثانية : أن تكون هناك مسألة ومسائل معينة تنطق فيها العلوم والأديان بحكمين متناقضين ، وإنما يحدث ذلك حين تتناول الأديان إلى جانب عنصرها الروحي شيئا من موضوعات العلوم وحقائق المشاهدات وتذهب في ذلك مذهبا معينا ، تفرضه على المتدينين بها فرضا ، فهذا الجانب وإن كان عرضيا في الأديان .. فهو يعد معيارا لما في كل دين من صحة وفساد ، على قدر اتفاقه مع مقررات العلم الصحيح وقضايا العقل السليم ، أو اختلافه معها ، فإنه إذا كان الدين حقا ، والعلم حقا وجب أن يتصادقا ويتناصرا ؛ أما إذا تكاذبا وتخاذلا فإن أحدهما لا محالة يكون باطلا وضلالا [1]

وإضافة إلى ما سبق يمكن القول إن الخلاف ينتج عن الآتي :

١- أن يحرف الدين ويصرف عن أصله مثل اليهودية والنصرانية .

٢- أن يتدخل بعض علماء الدين في الأحكام العلمية بالإثبات أو النفي ، مثل نفي الصعود للقمر ومخالفة من قال بذلك ، ودعوى أن مركبات الفضاء لم تنزل على سطح القمر بل في صحراء ما دعيت بأنها سطح القمر .

٣- أن يقيد معنى النص الديني عند مفهوم معين عند بعض علماء الدين ، ويرفض ما عداه من معان ، وبخاصة إذا كان المعنى مستقيا من فلسفات بائدة كالقول : بأن الأرض مركز الكون ، وبثباتها وعدم دورانها ، وعدم كرويتها ... الخ . مما ذكره الرازي في تفسيره (الذي جعل لكم الأرض فراشا)[2] ولا يزال البعض يقول بذلك ، فضلا عن الفتاوي التي تحرم ما عداه .

٤- أن تكون الحقيقة العلمية قيد البحث ، ولم يهتد إليها بعد ، وإنما هي نظريات يدعي كونها حقائق فضلا عن كونها مخالفة للنص القرآني ، فإذا انتهى الباحثون من مرحلة فرض الفروض والملاحظة والتجربة ، وانتهوا إلى حقيقة علمية ، وبقي الصدام قائما ، فإما أن يتوسع في دلالة النص وذلك بالنظر في كل معان الكلمات الواردة فيه في ضوء اللغة ، أو أن ما يدعي كونه حقيقة ليس كذلك ، وتنبئ الأيام عن بطلانه .

---

(١) دراز " الدين " من ٧٦ إلى ٧٨ بتصرف .

(٢) البقرة ٢٢

٥- أن يتدخل علماء التجربة فيما اختص به الوحي ، مثل الحديث من طريق التجربة عن وجود الله وصفاته والملأ الأعلي ، والعالم الآخر وما فيه ٠٠٠ الخ كل ذلك يؤدي إلى صدام بين العلم والدين ، لأن العلم قد تجاوز مجاله ودخل في دائرة غيره فيكون الصدام حين يحاول النفي من طريق العلم أو الإثبات من طريق التجربة ٠

٦- أن يتدخل العلم في قضايا حسمها الوحي في مجال المحسوسات ولا سبيل لأهل العلم بالقول الفصل فيها ، فضلا عن أن يأتي كلامهم مناقضا للدين مثل القول بالتطور ، والانشطار الكوني ، وخرافة الميتافيزيقا ٠٠ ونفي الخلق ، والقول بالطفرة والصدفة ٠٠ الخ

٧- قطع أهل العلم بأنهم قد وصلوا إلى الكلمة الأخيرة في موضوع ما ، نافين بذلك ما عداه ، وبخاصة إذا أخبر الوحي بما لم يصل إليه البحث العلمي ، مثل يأجوج ومأجوج ، سد ذي القرنين ، (ما بث فيهما من دابة) ٠

٨- القطع بأن التفسير العلمي لأمر ما مما أشار إليه القرآن هو القول الفصل دون النظر إلى النصوص الأخرى وثيقة الصلة بالموضوع ، فمثلا : تفسير السموات السبع [١] ، مع ذكر اسم كل طبقة والقطع بأن ذلك هو المراد ، دون تذكر قوله الله تعالي (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) [٢] ٠ (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ٠ وحفظا من كل شيطان مارد) [٣] أي أن النجوم في السماء الدنيا وهي أبعد من الغلاف الجوي بمئات أو آلاف الكيلو مترات

٩- محاولة تفسير خوارق العادات تفسيرا علميا ، أو قياسه على نتائج العلم الآن، وكيف يقال : إنه خارق للعادة ثم يفسر من قبل أهل العلم ووفق قواعدهم ، كتفسير (الطير الأبابيل) [٤] بأنه وباء الجدري الذي أصاب الأحباش وتفسير الحمل بالمسيح بكون أمه خنثي مشكل ، والوحي بأنه نوبات صرع أو استشراف نفس إلى الملأ الأعلي فتتوهم التلقي دون وجوده كحقيقة ٠٠ الخ ٠

١٠- تقييد أو تغييب علماء الدين لمعاني كثير من النصوص الدينية ، وهو أوضح ما يكون في القرن العشرين ، حين قفز الطب في مجال بحثه قفزات واسعة ترتب عليها : القدرة على زرع القلب ، الكبد ، الكلي ، العين ، القرنية ، الأطراف ، فضلا عن نقل الدم وصناعته ٠

---

(١) راجع في ملكوت السماوات ٠ علي عبد العظيم
(٢) الملك ٥
(٣) الصافات ٦ ، ٧
(٤) الفيل ٣

وقد آثار بعضهم الثائرة بين أهل الدين وأهل العلم ، ولو جعلوا الأمر محل بحث يهدف إلى الوصول للحقيقة ، لكان الأمر محمودا، ولكن البعض وقف موقف الند من البعض الآخر ، فمن رجال الدين من يقول بحرمة الأمور التالية كلها ومن رجال العلم من يقول بوجوب ذلك وأكثر منه (التلقيح الصناعي - الهندسة الوراثية - الاستنساخ !! - حمل الرجال !!!) قلب النوع الإنساني (الذكر أنثي والأنثي ذكر) التحكم في النوع عن طريق الهرمونات ٠٠٠ الخ) ولو راعي علماء الطب ومن شاكلهم ، أن البحوث العلمية لابد أن تقيد بالأخلاق والقيم ، ولا تتجاوز حد المسموح ، ونظروا إلى عواقب الأمور الدينية والدنيوية، وإلى الآثار السلبية على التجاوز في بحوثهم وتجاربهم ٠٠٠

أقول : لو التقي الطرفان وفق هذه الضوابط وما يراه آخرون من أهل العلم الديني والدنيوي لانتفي الخلاف ، ولقام الوئام وولي الشقاق ، وأما الحجر الكلي من قبل بعض علماء الدين فممنوع ، والإطلاق الكلي للتجريبيات فساد - لو قتل رجل غيره ، ثم قلب نفسه امرأة ، هل يقام عليه الحكم ، لو تحكمنا في النوع فكان الناتج ذكورا هل تدوم الحياة ؟ لو خصبنا البويضة بعد وفاة الزوج بسنين عددا ، هل يثبت النسب ؟ ٠

وخلاصة القول : إن الدين المنزل لا يعارض العلم ما دام التحريف لم يمتد إليه، والبحث العلمي إذا وصل إلى مرحلة اليقين لا يعارض الدين ٠

سادسا :لماذا تخلفنا ونحن على الإسلام ، وتقدم غيرنا في مجال الكونيات وهم لا يدينون به ، ومنهم من لا يدين إطلاقا ؟

إذا كان العلم التجريبي له هذه المنزلة في الدين الإسلامي ٠ فلماذا لم ننهض في مجال الصناعة ٠ مع أن وسائلها متوفرة ؟ المادة الخام ، الموارد البشرية ، الموقع الجغرافي ٠٠٠ الخ ٠

وللإجابة نقول : إن عوامل عدة لعبت دورها في تخلف المسلمين منها ما يعود إلى الماضي ومنها ما يعود إلى الحاضر ٠

وأسباب التخلف في مجال العلم التجريبي في الماضي ترجع إلى الآتي :

١- الفهم القاصر لمدلول كلمة العلم في القرآن والسنة ، وتحويل معنى الكلمة من الإطلاق إلى التقييد ، أي من المعرفة العامة إلى المعرفة الدينية فقط ٠

٢- الاشتغال والتركيز على نشر العلم الديني في البلدان المفتوحة ، فضلا عن تثبيت الدين في قلوب المتبعين •

٣- النظر إلى العلم الديني على أنه نوع قربة إلى الله ، على مستوي الأفراد والأسر ، دون العلم التجريبي •

٤- قيام مدارس للعلوم النظرية دون العلوم التجريبية ، فهناك مدارس للغة العربية (مدرسة الكوفة - مدرسة البصرة) ومدارس للحديث ومدارس للفقه ، فضلا عن مجالس التفسير •• الخ وأما مدارس العلوم التجريبية فلم نسمع عنها بنفس القدر •

٥- الإنفاق على المؤسسات الدينية دون العلوم التجريبية !!! • فأوقاف الأمراء والسلاطين وأهل الخير كانت حكرا على دور تحفيظ القرآن وبناء المساجد والجامع الأزهر والزيتونة والقيروان •

٦- المذهبية في الإسلام ، كان لها كبير الأثر في المعارف النظرية دون العلوم التجريبية ، فمدارس النحو والصرف ، ومدارس الفقه ، ومدارس التفسير ، ومدارس العقيدة ، ودعوي ذلك بعد بمذهب الكوفيين والبصريين ومذهب الإمام أحمد والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة والإمام ابن حزم والإمام الليث ومذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد وكذلك مذهب الرافضة ، وافتراق كل مذهب من هذه المذاهب إلى جماعة ، وصراع أهل السنة والجماعة مع الصوفية ، وافتراق الصوفية إلى ألف فرقة ، كل ذلك أنتج علوما نظرية من أجل تثبيت المذهب أو إبطاله مذهب الغير ، أو المقارنة بين مذهبهم ومذهب غيرهم ••• الخ حتى امتلأت المكتبات بملايين الكتب من جراء الصراع المذهبي، والكثير منه عقيم ، والنافع منه لم يحسن استخدامه من قبل الخلف كما كان السلف يفعلون •

٧- الصراع بين المسلمين وغير المسلمين قام على أساس من العلوم النظرية وبخاصة العقدية دون العلوم التجريبية •

٨- حركة الترجمة في عصر الأمين والمأمون وغيرهما ركزت على التراث اليوناني والفارسي وهو في مجمله نظري ، فلم يؤد إلى النهوض بالجانب التجريبي في الفكر الإسلامي •

أسباب التخلف العلمي في العصر الحاضر :-

إذا كانت الأسباب السابقة من أسباب التخلف في الماضي ، فإن الحاضر قد أثرت فيه عوامل عدة ، نذكر منها :

١- التعليم النظري غير مكلف للدول والأفراد عكس التعليم التجريبي ، فبناء كلية نظرية أيسر من إقامة معمل في كلية الطب أو الصيدلة ، كما أن ما يدفعه الطالب ثمنا للكتب في سنوات الدراسة الأربع في كلية نظرية لا يساوي ثمن كتاب واحد في كلية عملية ، أو آلة من الآلات (قياس الضغط) . (السكر) .(سماعة الأذن . . .) .

٢- البعد الزمني للدراسة ، فسنوات الدراسة في المعرفة النظرية أقل منها في الدراسة التجريبية ، والتي تصل أحيانا إلى ست أو سبع سنوات .

٣- حرص الغرب على بقاء الشرق متخلفا في مجال التكنولوجيا وذلك بحجب المنح الدراسية عن مجال التكنولوجيا المتطورة فضلا عن التركيز على المنح النظرية ، في مجال الدين الإسلامي أو الفنون والعلوم النظرية . وأما العلوم التجريبية ، فلا يؤذن للمبتعث بالإقدام على المراحل المتقدمة في مجال الذرة والفضاء والطاقة النووية . . الخ بل أنفقت أمريكا ملايين الدولارات بعد تفكك الاتحاد السوفيتي حتى لا يهاجر علماء روسيا إلى إيران ، وخيروهم بين العمل في أمريكا وبين البقاء في روسيا مع تقاضي الرواتب .

٤- عدم قيام المؤسسات الخاصة بالإنفاق على مؤسسات البحث العلمي ، كما هو في الغرب، وإنما التركيز على الكسب العاجل دون النفع الآجل ، بينما تقوم المؤسسات الخاصة في الغرب في الإنفاق على البحوث التجريبية ، لنماء المنتج وتطويره فضلا عن الحصول على براءات الاختراع .

إن السنوات الأخيرة قد شهدت تطورا في الإنفاق على المعامل من أهل الخير ، ولكنه إنفاق محدود ، لا يفي بالثورة الصناعية الموجودة الآن .

٥- الحقد على الكفاءات العلمية في المجال التكنولوجي ، وخوف بعض المتربعين علي كراسي الإدارة والأقسام من النابغين ، معتقدين أن ذلك سيزلزل مناصبهم لذلك كان التهديد عند التفكير في التطوير ، وأحيانا الفصل التعسفي من العمل، والاتهام بالفساد والجنون لهؤلاء العباقرة .

٦- ضعف الموارد المادية لدي بعض الدول الإسلامية ، وإن لم يكن ذلك مانعا مطلقا ، بدليل أن إمكانيات باكستان غاية في البساطة ، ومع ذلك كان الإصرار

على الإلتحاق بالنادي النووي ، فكان لها ما أرادت رغم أنف أمريكا ، شرطي العالم الحديث .

سابعا : ما السبيل للتقدم . وهل إقصاء الدين شرط حتى يتقدم المسلمون ؟

الإسلام نهانا عن اليأس (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)[١] (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)[٢] إن إدراك ما فات غير متعذر ولكنه يفتقر إلى الإرادة ، والتنفيذ ، وإن إصلاح السياسة التعليمية في بلاد الإسلام قيد لابد منه ، إذا أردنا أن نكون ، ويمكن إيجاز السبيل في الآتي :-

١- الإكثار من الابتعاث في ميدان العلوم التجريبية دون العلوم النظرية .

٢- التعاقد مع الكفاءات العلمية التجريبية في الغرب للتدريس في بلاد الإسلام ، وإعادة المهاجرين إلى بلادهم ، لأداء ما افترض عليهم .

٣- تشجيع النابهين والنابغين في ميادين العلوم التجريبية ، وبخاصة في مراحل العلم الأولي ، المتوسطة ، الثانوي ، الجامعية ، وإقامة نوادي للموهوبين ، ومدارس خاصة للمتفوقين ، ورعايتهم من قبل الأفراد والدول .

٤- الحد من الدراسات النظرية والإكثار من الدراسات التجريبية حتى تتغير توجهات العقول من المعارف النظرية إلى المعارف التجريبية .

وإقصاء الدين ليس شرطا كما يزعم العلمانيون وما يقوله لنا الغربيون ، من أن إقصاء الدين شرط للرقي ، لأنه معوق عن الرقي ، وبطلان ذلك واضح في حق الأفراد وحق الدول .

أما في حق الأفراد ، فقد رأينا كبار علماء الإسلام التجريبيين كانوا أشد الناس التزاما بالدين ، وجمعوا بين العلم الديني والعلم الدنيوي في وقت واحد ، وألفوا في العلوم الدينية ، كما ألفوا في العلوم التجريبية ، نذكر من هؤلاء :-

- أبو بكر الرازي : محمد بن زكريا الرازي (٢١٥ هـ ميلاده) له دائرة معارف في الطب والجراحة وكتابه الخريف والربيع بحث فيه الأمراض المرتبطة بكل فصل كما كتب في نفس الوقت في العقائد والفلسفات والكيمياء .

---

(١) يوسف ٧٨

(٢) آل عمران ١٣٩

ـ ابن سينا : أبو علي الحسن بن عبد الله (ولد ٣٧٠ هـ) له كتاب في الطب احتوي على وصف ٧٦٠ دواء ، واستخدم السمك الرعاش كبديل عن العلاج بالكهرباء وله مؤلفات في الطب تزيد على العشرين ، وله مؤلفات في التفسير والحديث والفلسفة .

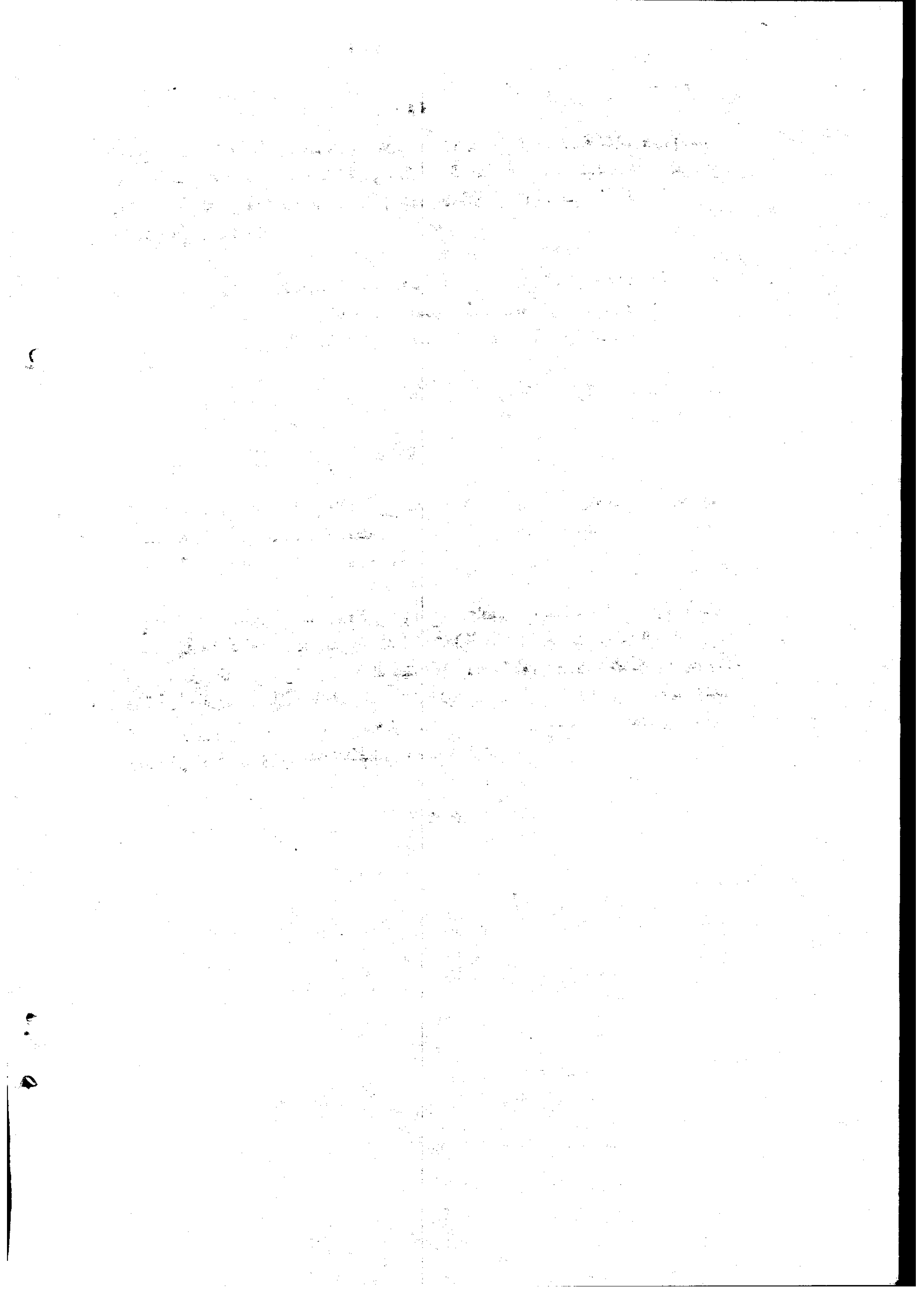
ـ ابن النفيس : أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم (ولد ٦٠٧هـ) مكتشف الدورة الدموية ، وكان مدير المستشفي الناصري بالقاهرة / في عهد هارون الرشيد ، كان عالما بالفقه والحديث واللغة والمنطق والفلسفة .

ـ ابن الهيثم : الحسن بن الهيثم ، قيل عنه : إنه ليس أكبر فيزيائي مسلم فحسب، ولكنه أكبر فيزيائي العصور الوسطي ، وأول من فكر في بناء سد علي أعالي النيل ، جمع بين الفلك والرياضة والطب .

ـ وفي عصر صدر الإسلام ، لم يفرق بعض علماء الإسلام بين المعرفة الدينية والمعرفة التجريبية ، وقد تقدمت الصناعات ، وتم اختراع الساعات ، والبارود وغير ذلك من الصناعات التي سبق المسلمون فيها غيرهم.

ـ وأما على مستوي الدول ، في الواقع المعاصر ، فباكستان من خير البلاد الإسلامية وأشدها تمسكا بالدين ، قد أنتجت القنبلة الذرية ، فلم يقف الدين بينها وبين الرقي العلمي ، وإيران !!! أنتجت صواريخ متطورة وآلات عسكرية بحرية فائقة مع أنها من أشد الناس تمسكا بالدين ، وهناك دول أخري ، عند أهلها التزام ديني بالغ ، وتقدمت في مجال التكنولوجيا ، بل الدين هو الضابط للتقدم والراعي للأخلاق والموجه للعلم إلى مصلحة البشر .

* * *



فهرس الموضوعات

* * *